الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

الإمارات

2019-2020

أحلام ليپل السعيدة

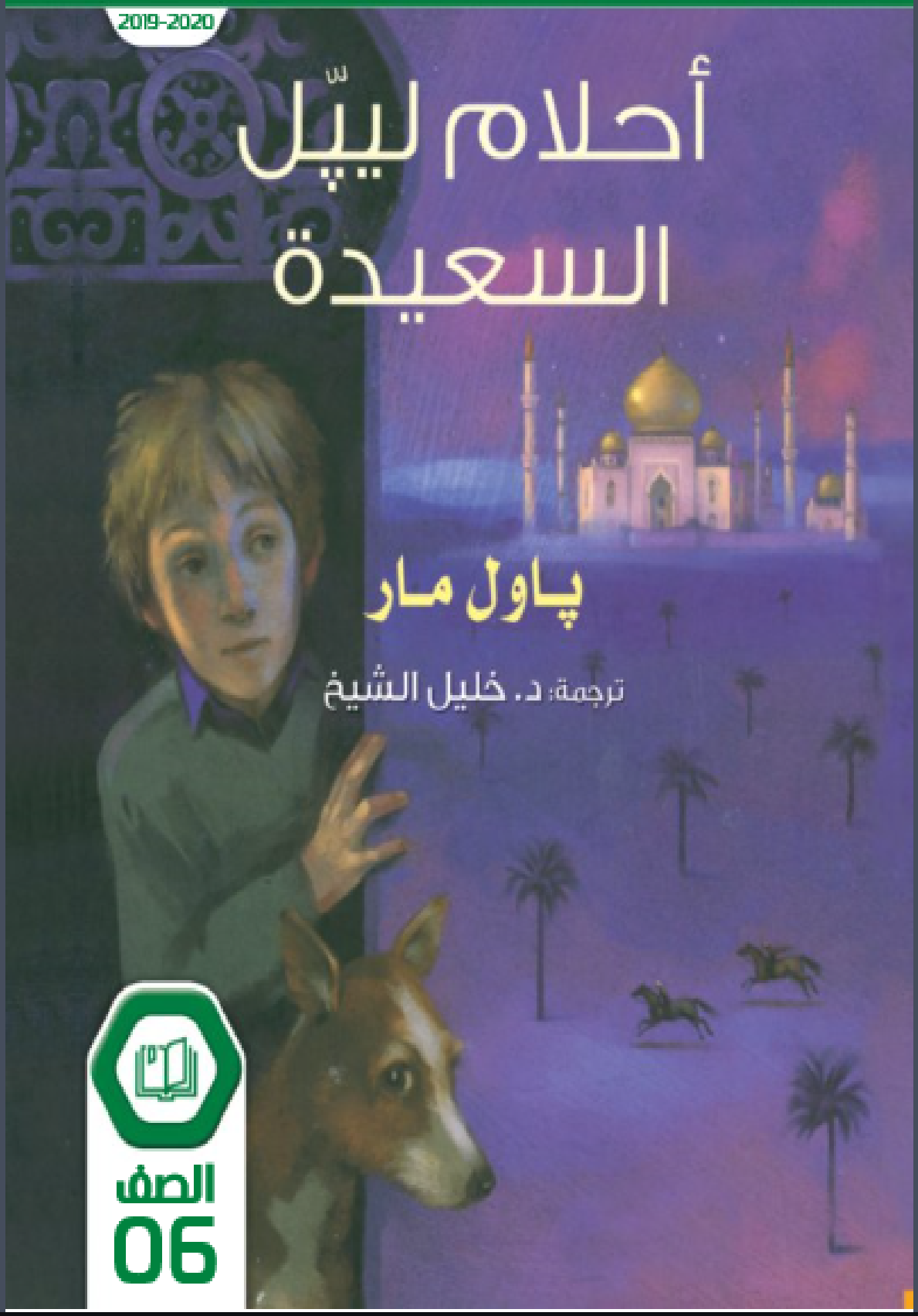

پاول مار

ترجمة: د. خليل الشيخ

الصف
06

أحلامُ ليبّل
السَّعيدة

مسرد الشخصيات في رواية "أحلام ليل السعيدة":

- **ليل:** طالب صغير يحب قراءة القصص الخيالية.
- **السيدة يعقوب:** المربية التي أحضرها والدا ليل لرعايته في أثناء سفرهما.
- **السيدة يشكي:** امرأة كبيرة في السنّ، وهي جارة ليل.
- **أرسلان:** زميل جديد التحق بمدرسة ليل.
- **أسلم:** صديق ليل في الأحلام، وهو ابن الملك.
- **جميلة:** زميلة جديدة التحقت بمدرسة ليل، وهي شقيقة أرسلان، وكانت رفيقة ليل في الواقع وفي الأحلام بالاسم نفسه.
- **السّيدة غوني:** والدة كل من أرسلان وجميلة.
- **سندباد:** معلم ومؤدب الأمير أسلم.
- **الكلب (موك):** رفيق ليل في الواقع والحلم.
- **والد ليل:** يعمل بالصحافة.
- **والدة ليل:** مهتمة بالتراث.
- **المعلمة السّيّدة كلوي:** مربية الصف في مدرسة ليل.
- **المعلم السّيّدُ (غولتيوت):** معلم مادة الرسم في مدرسة ليل.
- **الطالبة (الفيروز):** زميلة ليل في الصف. (عريف الصف)
- **صاحبة النّزل:** المرأة التي لجأ الأصدقاء إلى نزلها الذي تملكه مع زوجها.
- **الملك:** والد كل من أسلم وجميلة.
- **الخالة:** زوجة عم الأميرين أسلم وجميلة.

«عندما يتكرّرُ الحُلُم في كلّ ليلة، فإنّه يشغلُنا تمامًا مثلما تشغلُنا مسائلُ حياتِنا اليوميّة. وعندما يكونُ صاحب مهنة ما واثقًا من مقدرته على أنْ يَحلُم أثناءَ النّوم مدّة اثنتي عشرة ساعةً، فإنّه سيغدو ملِكًا، أو سعيدًا كالملكِ الّذي يحلُم اثنتي عشرة ساعةً أثناءَ نومه، بأنّه قد غدا واحدًا من أصحابِ المهنِ».

كتب هذه العبارات بليز باسكال Blaise Pascal .

كان باسكال فيلسوفًا ورياضيًّا، عاش في القرن السابع عشر في فرنسا (وكان أوّل من فكّر باختراع الآلة الحاسبة، على سبيل المثال).

اعتاد باسكال أنْ يدوّن آراءه وأفكاره وخواطره فوق قُصاصات صغيرة من الورق، كي لا ينساها. وقد عُثر، بعد وفاته، في المنزل الذي كان يعيش فيه، على كمّية ضخمة من تلك القصاصات المقسّمة طولًا وعرضًا. وكان من الصعب أن تتمّ عملية قراءتها وفكّ رموزها.

أما ملاحظاته فقد كانت مقروءة تمامًا، وقد نُشرت في كتاب سُمّي «أفكار».

عندما قرأتُ الملاحظة الموجودة في أعلى الصفحة، أخذتُ أتساءل، ما الذي يمكن أن يحدث مع إنسان يتكرر الحلم نفسه معه أثناء نومه؟ وهل يستطيع يا ترى أن يفرّق عندئذ بين الحلم والواقع؟

من هنا جاءت ولادة هذا الكتاب.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

ليبّل

ما أعجبَ أحوالَ هذا الطَّقسِ!

فها نحنُ في شهرِ حزيرانَ، كما يقولُ التَّقويمُ السَّنَويُّ. لكنَّ هذا الطَّقسَ يتصرَّفُ بمكرٍ وَخداعٍ، وكأنَّنا ما زلنا في مَطلعِ شهرِ نيسانَ.

يغادرُ ليبّل منزلَهُ ليشتريَ، على سبيلِ المثالِ، اللَّبنَ لعائلتِهِ ولَهُ، وتكونُ الشَّمسُ مُشرقةً. فما إنْ يبتعدُ عنْ منزلِهِ ما يقربُ مِنْ ثلاثِمئةِ خطوةٍ حتّى يبدأَ المطرُ الغزيرُ بالهطولِ. يستمرُّ هذا المطرُ مدَّةَ أربعِ دقائقَ (وَهيَ المدَّةُ الزَّمنيَّةُ الَّتي يَحتاجُها ليبّل حتّى يعودَ إلى منزلِهِ، فيقرعَ الجرسَ، ويندفِعَ إلى الدّاخلِ، ويرتدِيَ مِعطفَهُ المَطَريَّ، وَيعودَ).

وما إنْ يبتعدُ ليبّل عنْ منزلِهِ ما يقربُ مِنْ ثلاثِمئةِ خطوةٍ، حتّى تشرقَ الشَّمسُ، وَنَظَرًا لأنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَملكُ الرَّغبةَ في العودةِ ثانيةً إلى المنزلِ، فقد صارَ يتوَجَّبُ عليهِ أنْ يتسوَّقَ وهوَ يَرتدي مِعطَفَهُ المَطريَّ تحتَ أشعَّةِ الشَّمسِ. وعندما لا يعودُ إلى منزلِهِ سريعًا عندَ رؤيتِهِ لقَطراتِ المطرِ الأولى، لأنَّه يقولُ لنفسِهِ: «سيتوقَّفُ هطولُ المَطرِ حالًا»، فإنَّ نُزولَ الأمطارِ يستمرُّ مدَّةَ ما بعدَ الظُّهرِ، يَعودُ بعدَها ليبّل إلى منزلِهِ مبتلًّا كمِمحاةِ السَّبّورةِ. وقد قالَ لهُ والدُهُ مِرارًا:

ـ لستُ أعرفُ، على وجهِ التَّحديدِ، ما الَّذي بينَكَ وبينَ الطَّقسِ، مَعَ أنَّهُ عالَمٌ غنيٌّ وجميلٌ ومتنوِّعٌ!

من قائل هذه العبارة؟

كانَ والدُهُ حَسَنَ الحديثِ، وكان يُمضي

سحابةَ يومهِ في المنزلِ؛ ليكتبَ مقالةً للصَّحيفةِ الَّتي يعملُ فيها.

لهذا صارتْ حياةُ ليّل أكثرَ صعوبةً. فهوَ يذهبُ في الصَّباحِ إلى المدرسةِ،ويذهبُ بعدَ الظُّهرِ، عندما يَعودُ من مدرستِهِ، إمّا إلى النَّسوْقِ، وإمّا إلى المكتبةِ العامَّةِ ليستعيرَ كُتُبًا مِنها (كانتْ معظمُ الكُتبِ الَّتي يستعيرُها عنِ الشَّرْقِ).

لِكنْ عَلينا أنْ نُوضِّحَ للقارِئِ، في ما أَعتقِدُ، طبيعةَ هذا الاسمِ: ليّل.

إنَّ اسمَ عائلةِ هذا الفَتى هو (ماتّنهايم) وهذا الأمرُ يَسْري عَلى أبيهِ، وعلى أُمِّهِ، وعلى ليّل بطبيعةِ الحالِ.

أمّا اسمُهُ الأوَّلُ فَمسألةٌ فيها قَدْرٌ مِنَ الصُّعوبَةِ.

فَقدْ سمّاهُ والِداهُ، في الواقعِ، (فيليب).

و(فيليب) ليسَ اسماً رديئًا. فقدْ اختارَهُ لهُ والداهُ، بعدَ بحثٍ طويلٍ، وبعدَ أنِ اقتنعا بالاسمِ، وإنْ كانَ مِنْ غيرِ المفهومِ: لماذا لمْ يناديا ابنَهُما باسمِ (فيليب) هذا على الإطلاقِ؟ لكنَّ الأمورَ جَرَتْ هكذا، فقدْ سَمَّياهُ ليَبْقَى مُؤْمِنَيْنِ بأنَّهُ اختصارٌ طبيعيٌّ لاسمِ (فيليب).

وهذا ما ظلَّ الفتى يُؤمِنُ بهِ، حتَّى بُلوغِهِ سِنَّ السادسةِ، ودُخولِهِ إلى المدرسةِ، هُناكَ فوجِئَ الصَّبيُّ بأنَّ اسمَهُ: (فيليب ماتْهايم).

ويومَ صارَ قادِرًا على القراءةِ والكتابةِ، وصارَ زُملاؤُهُ قادرينَ على ذلكَ أيضًا، واجهَ ليَبْقَى مُشكلةً أُخرى؛ فعندما كانَ يَكتبُ اسمَهُ، كانَ الآخرونَ يَقرؤونَهُ (بيليب)؛ لأنَّ كثيرينَ مِنْ هؤلاءِ لمْ يَكونوا يَعرفونَ أنَّ الحرفَيْنِ اللاتينيَّيْنِ (Ph) يُلفظانِ في العادةِ كحرفِ الفاءِ.

وهذا ما كانَ يحدثُ في بدايةِ حصَّةِ الرَّسمِ، على سبيلِ المثالِ، عندما يَجري توزيعُ أوراقِ الرَّسمِ على التَّلاميذِ.

كانَ مُعلِّمُ الرَّسمِ ويُدْعى السَّيِّدُ (غولتبوت) يَندفِعُ إلى داخلِ غُرفةِ الصَّفِّ، ويَتَّجِهُ إلى السَّبُّورةِ، ويَستخرجُ أوراقَ الرَّسمِ، ويَضعُها على المِقعدِ الأوَّلِ (حيثُ تَجلسُ (إلفيرا) تِلميذَتُهُ المُفضَّلةُ) ويُخاطِبُها بقولِهِ:

ـ وَزِّعي الأوراقَ يا (إلفيرا) من فضلِكِ!

ثُمَّ يَجلِسُ على كرسيِّهِ، ويَبدأُ بقراءةِ الجريدةِ.

كانتْ (إلفيرا) تُواجِهُ بَعْضَ الصُّعوباتِ في قراءةِ الأسماءِ الموجودةِ في أعلى الورقةِ. فكانتْ تنادي (سابينا)، فتتقدَّمُ (سابينا) نحوَ الأمامِ وتأخذُ ورقةَ الرَّسمِ الخاصَّةَ بها، ثُمَّ تُنادي على (روبرت) فيتقدَّمُ (روبرت) نحوَ الأمامِ، ويأخذُ ورقةَ الرَّسمِ الخاصَّةَ بهِ.

ثُمَّ يَأْتي (أندرياس) الَّذي يَتقدَّمُ هُوَ الآخرُ نَحوَ الأمامِ، ويأخذُ ورقتَهُ. كانَ الأمْرُ يَمْضي عَلى هذا النَّحْوِ، حَتّى تَصلَ (إلفيرا) إلى المَجموعةِ الَّتي تَضُمُّ اسمَ (فيليب). فَعندَما كانتْ (إلفيرا) تُنادي: (بيليب)، كانَ الصَّمتُ يَسودُ قَليلاً، فتُكَرِّرُ

(إلفيرا) النِّداءَ ثانيةً: (بيليب). غيرَ أنَّ أحدًا لا يَتقدَّمُ نَحوَها ليَتناولَ الوَرقَةَ.

عندَها يَلحظُ المعلِّمُ السَّيِّدُ (غولتبوت) أنَّ أمرًا غيرَ عاديٍّ يَحدثُ في غُرفةِ الصَّفِّ، فيَطوي الجَريدةَ، ويَستخرجُ قِطعةَ اللُّبانِ من فمِهِ، ويَضعُها في ورقةٍ فِضِّيَّةٍ، ويَدُسُّها في جَيبِهِ.

فَقدْ كانَ هذا المُعلِّمُ قارئًا مُواظِبًا للجَريدةِ، مِثلما كانَ أحدَ المُغرمينَ بمضغِ اللُّبانِ.

كانَ المعلّمُ (غولتبيوت) يَدخلُ إلى غُرفةِ الصَّفِّ، واللُّبانُ في فَمِهِ. وَعندما تَبدأُ الحِصَّةُ يَستخرجُ قِطعةَ اللُّبانِ من فَمِهِ، وَيَلُفُّها بِعنايةٍ وَيضعُها في ورقةٍ فضِّيّةٍ؛ ليستخدمَها مُجدّدًا عندما يَنتهي الدَّرْسُ. وكانَ تلاميذُ الصُّفوفِ المُتقدِّمةِ يَزْعُمونَ أنَّه يَمْضُغُ قِطعةَ اللُّبانِ ذاتَها مُنْذُ خَمسِ سَنواتٍ، لكنَّ هذا الزَّعْمَ غيرُ صحيحٍ. فَقَدْ حَدَّثَتْ (إلفيرا) تلاميذَ صَفِّها أنَّها شاهَدَتْ هذا المُعلِّمَ، وَهوَ يَشْتَري اللُّبانَ

مِنْ إحدى الماكيناتِ قَبلَ ما لا يَزيدُ على ثلاثةِ أسابيعَ.

وَلَمْ تَكُنِ الحِصَّةُ الدِّراسيَّةُ تَبدأُ عِنْدَ المُعلِّمِ (غولتبيوت) عِنْدَ سَماعِهِ صوتَ الجَرسِ، بَلْ عِندما يَتِمُّ الفراغُ مِنْ تَوزيعِ أوراقِ الرَّسمِ. لِذلكَ كانَ يَشْرَعُ بِقراءةِ الجَريدةِ، وَمضغِ اللُّبانِ، قَبلَ أنْ يَتساءلَ عَنِ السَّبَبِ الَّذي أدّى فَجْأةً إلى توقُّفِ تَوزيعِ تِلكَ الأوراقِ.

كانَ ليَيل آخرَ مَنْ يَعلمُ. لَمْ يَدُرْ بِبالِهِ أنَّ اسمَهُ هوَ السَّببُ وراءَ هذا التَّوقُّفِ. وَعندما صَرخَ المعلّمُ بصوتٍ مملوءٍ بالتَّأنيبِ:

ـ (فيليب ماتّنهايم). هلْ عُدتَ لتَحلُمَ ثانيةً؟ ألا تريدُ أنْ تأخذَ ورقتَكَ؟ أمْ أنَّكَ تَنتظرُ حَتّى يَأتيَ مَنْ يوصلُها لَكَ؟

أُصيبَ ليَيل بالذُّعْرِ، وَهَرولَ إلى الأمامِ، وأخذَ ورقتَهُ المُخَصَّصةَ للرَّسمِ.

وَهكذا كانَ مقدَّرًا على ليَيل أنْ يَستمعَ إلى اسمِهِ الَّذي يُجْري نُطْقُهُ بِصِيَغٍ مُختلفةٍ: فَهو يُدعى ليَيل عِنْدَ والدَيهِ، وبَعضِ أصدقائِهِ وَخالِهِ. أمّا غالِيَّةُ تلاميذِ صَفِّهِ فَيُنادونَه (فيليب). وَعِنْدَ بَعضِ تلاميذِ الصَّفِّ الرّابعِ الَّذينَ لا يَعْرِفونَ أنَّ الحرفَينِ(Ph)يلفُظانِ فاءً، فَإنَّهُ يُدعى (پيليب).

أمّا هوَ فيُفضِّلُ أنْ يُدعى ليَيل وَهُوَ ما سيحدُثُ في هذهِ الرِّوايَةِ.

الفَصْلُ الثّاني
مَخْبَأُ القِراءَةِ

هُناكَ ثلاثةُ أَشياءَ يُحِبُّها ليتل على وَجْهِ الخُصوص:

فَهوَ يُحِبُّ جمعَ الصُّوَرِ، وَيُحِبُّ الفَواكِهَ المَحفوظَةَ، وَيُحِبُّ قراءةَ الكُتُبِ.

إِنَّهُ يُحِبُّ، في الواقِعِ، أَشياءَ كثيرةً، لكِنَّها كلَّها تتمحورُ حولَ تِلكَ الأَشياءِ الثَّلاثَةِ.

لِذلكَ يُمكِنُنا أَنْ نُؤَكِّدَ أَهَمِّيَّةَ الأَشياءِ الثَّلاثَةِ الَّتي سَبَقَتِ الإِشارةُ إليها.

وَنظرًا لأَنَّهُ يَعشَقُ الصُّوَرَ، فقدْ صارَ يُحِبُّ الحَليبَ واللَّبَنَ والكريما الحُلْوَةَ والحامِضَةَ، ويحِبُّ التَّسَوُّقَ. وَهذه مَسائِلُ تَحتاجُ إلى شيءٍ مِنَ الإيضاح.

لَقَدْ بَدَأَتِ الحِكايَةُ عِندما عَثَرَ ليتل في المَخْزَنِ المَوْجودِ فَوقَ السَّطْحِ على ثَلاثَةِ كُتُبٍ قَديمةٍ هِيَ: «معجزةُ البَحْرِ العَميقِ» و«مَعَ ناصِبِ الشِّراكِ» و«الشَّرَقُ».

كانَتْ تِلكَ الكُتُبُ تَحْوي صُوَرًا ملوَّنَةً كَبيرةً، وفي أَسفلِ كُلٍّ مِنها شَرحٌ بَسيطٌ. وَكانَتْ بَعْضُ الصُّوَرِ غَيرَ موْجودَةٍ أَحْيانًا، وَيوجَدُ بَدَلًا مِنها مُستطيلٌ كَبيرٌ وَقَدْ كُتِبَ تَحْتَهُ:

«الشَّيْخُ أَحْمَدُ يَثْأَرُ بِعُنْفٍ مِنَ القَتَلَةِ».

وَكانَ عَلى ليتل أَنْ يَرْسِمَ الكَيْفِيَّةَ الَّتي تَمَّ فيها هذا الثَّأْرُ. وَقَدْ خَلُصَ ليتل إلى نتيجةٍ مفادُها، أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ قَدْ أَجبرَ هؤلاءِ القَتَلَةَ على تَناوُلِ حَساءِ البَصَلِ الوَرَقِ؛ لأَنَّ تَناوُلَ هذا الحَساءِ الكَريهِ، يُمثِّلُ في نَظَرِ ليتل أَقْصى العُقوباتِ الَّتي يمكنُ لَهُ أَنْ يَتخيَّلَها.

وقد وضح له أبوه أن هذه الصور تم تجميعها، ووضعت في ألبوم خاص بها. وكان على الراغبين في الحصول عليها شراء نوع معين من الشوكولاتة.

وبعد زمن قصير اكتشف ليتل أن هذه المجموعة من الصور ما تزال موجودة. فعلى عبوات الحليب، ثمة عدد من النقاط التي يجري جمعها وتسمى (بيني) ويمكن للمرء أن يحصل على صورة مثيرة عندما يتمكن من جمع مئة نقطة.

وقد استطاعت كلمة «مثيرة» أن تملأ وجدان ليتل بالخيال، فاستطاع أن يجمع ما يقرب من الثمانين نقطة (ثلاث وسبعين نقطة على وجه التحديد).

ولم تكن تلك النقاط موجودة على عبوات الحليب وحدها، بل كانت موجودة فوق علب اللبن والكريما الحلوة والحامضة.

منذ ذلك الوقت صار ليتل يعشق التسوق، ويكرس نفسه له، حتى في أثناء ذلك الطقس المراوغ الذي يسود المدينة. وهكذا استطاع أن يظل حريصا على شراء عبوات الحليب أو الكريما الحامضة عند كل عملية تسوق.

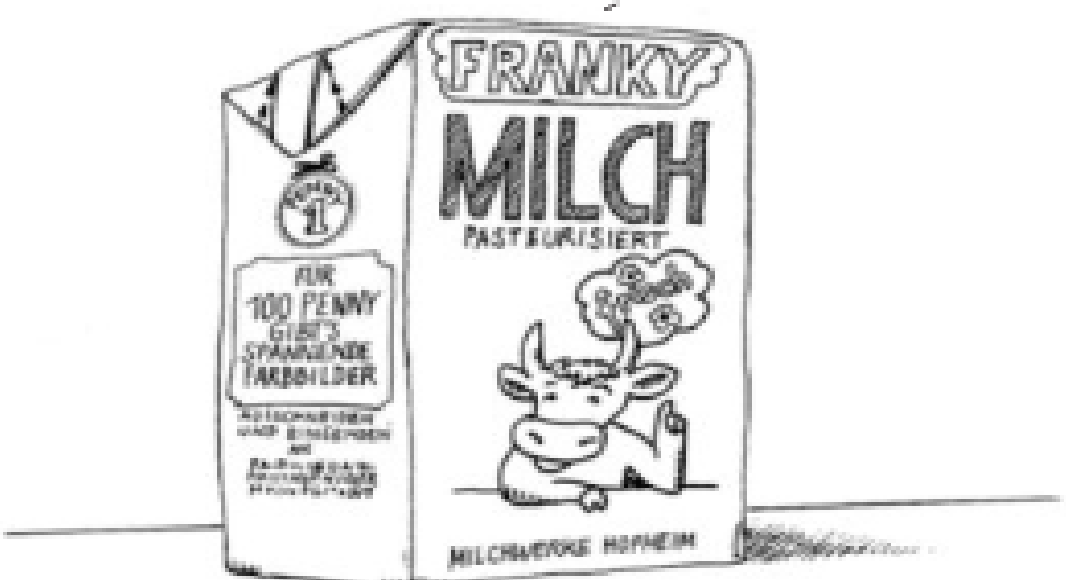

أمّا الفواكهُ المَحفوظةُ فتأتي في المَرتبةِ الثّانيةِ بَينَ الأشياءِ الّتي يُفَضّلُها. وقَد جاءَ حُبُّهُ لَها مُرافِقًا لِصداقَتِهِ للسّيّدَةِ (يشكي)، وحبِّه لها.

والسّيّدةُ (يشكي) هذهِ سَيّدَةٌ عَجوزٌ، سَمينَةٌ، ذاتُ نظّاراتٍ سَميكةٍ، وهي أرملةٌ يَفصِلُ بَينَ بيتِها الواقعِ في الشّارعِ المُقابِلِ، وَمنزِلِ والدَيهِ، مَنزِلانِ.

تَعَرّفَ ليّل إلى هذهِ المَرأةِ، عِندَما أخطَأَ مُوَزّعُ البريدِ، فوضعَ رسالةً لها في صُندوقِ بَريدِ والدَيه. فَقامَ ليّل بإيصالِ الرّسالةِ إليها.

كانَ بابُ مَنزِلِها مَفتوحًا، فَدخلَ ليّل إلى المَنزِلِ، فَوجَدَ السّيّدةَ (يشكي) تَتناوَلُ الحَلوى بَعدَ أنْ فَرَغَتْ مِنْ تَناولِ طَعامِ الغَداءِ. وكانتِ الحلوى هي الكَرزُ المُعَلَّبُ الحامِضُ، مَمزوجَةً بِقَليلٍ مِنَ الكَريما.

وقَدْ طَلَبَ إليها ليّل أنْ تَأذَنَ لَهُ بِأخذِ النُّقاطِ عَنْ عُلبَةِ الكريما، عِندَها دَعَتْهُ السّيّدَةُ (يشكي) إلى تَناوُلِ صحنٍ صغيرٍ مِنَ الحلوى، فأُعجِبَ ليّل بالكرزِ إعجابًا لا

حدودَ لَهُ، حَتّى تَساءَلَتِ السّيّدةُ (يشكي) بِشَيءٍ مِنَ الدَّهشَةِ:

ـ هَلْ طَعْمُ الكَرزِ عِندي أطيبُ مِنَ الكَرزِ في مَنزِلِكُم؟

ـ لَيسَ في مَنزِلِنا كَرزٌ عَلى الإطلاقِ. رَدَّ ليّل.

ـ ماذا؟ ألا تَقومُ والِدتُكَ بِتَحضيرِ الكَرزِ؟ سَألَتْهُ السّيّدَةُ (يشكي) مُجَدَّدًا.

ـ كَلّا. عَلى الإطلاقِ! رَدَّ ليّل وهو يُخرِجُ نُواةَ إحدى حَبّاتِ الكرزِ مِنْ فمِهِ، فلَعَلّها لا تعرفُ كَيفَ يَتِمُّ تَحضيرُ ذلكَ.

ونَظرًا لأنَّ ليّل قد لاحظَ أنّه يُمكِنُ أنْ يَتَشَكّلَ لدى السّيّدةِ (يشكي) انطباعٌ سَلبيٌّ عَنْ أمّهِ، أضافَ بِسرعَةٍ قائلًا:

ـ لكِنَّها تَستطيعُ أنْ تُفرِّغَ التَّلفِئَةَ المَركَزِيَّةَ الموجودَةَ في المَنزِلِ مِنَ الهَواءِ.

ـ وهـذا أمـرٌ ذو أهَمِّيَّـةٍ. ردَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي)، وَهُما يَتناوَلانِ الحَلوى الَّتي تُقَدَّمُ في العادةِ بَعدَ الفَراغِ مِنْ وَجبةِ الطَّعامِ.

مُنْذُ ذلكَ الوَقتِ صار ليْل يَزورُ السَّيِّدَةَ (يشكي) بَيْنَ الحينِ والآخرِ. وكانتْ تَفرحُ عِندَما تراهُ، فَتُعْطيهِ عُلبَةً مِنَ الفَواكِهِ المَحفوظةِ، أوْ بَعضَ النِّقاطِ الَّتي جَمَعَتْها، فَقَدْ صارَتْ تَجْمَعُ النِّقاطَ، وَتُعْطيها لَه.

وَلعلَّ مِنَ الضَّروريِّ أنْ نُوضِّحَ أنَّ ليْل لَمْ يُواظِبْ على زِيارتِها مِنْ أجلِ الفَواكِهِ أوْ مِنْ أجلِ جَمْعِ مَزيدٍ مِنَ النِّقاطِ، بَلْ لأنَّهُ ارْتاحَ لها، وَأحَبَّ الحَديثَ مَعَها، مِثْلَما أحَبَّتْهُ هي، وأحَبَّتِ الحديثَ مَعَهُ.

أمّا الكُتُبُ الَّتي تَقعُ في المَرتبةِ الثّالِثَةِ بَينَ الأشياءِ الَّتي يُحِبُّها، فَقِصَّتُها عَلى النَّحوِ التّالي:

نَظرًا لأنَّ ليْل يُحِبُّ الكُتُبَ، فَقَدْ كانَ يَقرؤُها باسْتِمتاعٍ. وَكانَ يحبُّ القراءةَ أثناءَ السَّفرِ بِالقِطارِ، وَيَظلُّ يَقْرأُ دونَ تَوقُّفٍ.

وَنَظرًا لِعِشْقِهِ لِلقِراءةِ، صارَ يَبقى وَحيدًا في أوقاتِ المَساءِ؛ لأنَّ المادَّةَ المَقروءةَ تَزدادُ، كُلَّما انْفَرَدَ الإنْسانُ بِنَفْسِهِ.

وَنَظَرًا لِحُبِّهِ الاخْتِلاءَ بِنَفْسِهِ، فَقَدْ أَحَبَّ لِيَلِ الْحُجْرَةَ الْخَشَبِيَّةَ الواقِعَةَ تَحْتَ الدَّرَجِ في الطّابِقِ الأَرْضِيِّ؛ لِأَنَّها كانَتِ الْمَخْبَأَ الَّذي اعْتادَ أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ.

كانَتْ عائلَةُ (ماتْنهايم) تَعيشُ في مَنْزِلٍ مُسْتَقِلٍّ، كانَ يَسْكُنُهُ جَدُّ لِيَل وجَدَّتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقَرِّرا الهِجْرَةَ إِلى (أُسْتراليا). وَكانَتْ غُرْفَةُ لِيَل تَقَعُ في الطّابِقِ الأَوَّلِ مُقابِلَ الدَّرَجِ تَمامًا. وَكانَ لِبابِ غُرْفَتِهِ لَوْحٌ زُجاجِيٌّ حَليبِيُّ اللَّوْنِ، يَسْتَطيعُ والِداهُ أَنْ يَعْرِفا، عِنْدَما يَنْظُرانِ إِلى غُرْفَتِهِ، إِذا ما كانَ النّورُ في غُرْفَتِهِ مُضاءً أَو غَيْرَ مُضاءٍ، دونَ أَنْ يَتَكَبَّدا مَشَقَّةَ صُعودِ الدَّرَجِ.

وَعِنْدَما كانَ لِيَل يَرْغَبُ، بَعْدَ الذَّهابِ إِلى سَريرِهِ، أَنْ يَقْرَأَ ساعَةً أَو أَكْثَرَ بِقَليلٍ، كانَتْ أُمُّهُ تَدْخُلُ إِلى غُرْفَتِهِ، بَعْدَ نَحْوِ خَمْسَ عَشْرَةَ دَقيقَةً، وَتُخاطِبُهُ بِقَوْلِها:

ـ لِيَل، لِيَل! أَما يَزالُ الضَّوْءُ مُشْتَعِلًا في غُرْفَتِكَ؟ عَلَيْكَ أَنْ تَنامَ في الحالِ! إِنَّ لَدَيْكَ مَدْرَسَةً في الصَّباحِ الباكِرِ.

ثُمَّ تُداعِبُ شَعْرَهُ، وَتَنْظُرُ حَتّى يَضَعَ كِتابَهُ أَسْفَلَ السَّريرِ، وَتُطْفِئُ النّورَ، وَتَعودُ إِلى الطّابِقِ الأَرْضِيِّ.

وَقَدْ حاوَلَ لِيَل أَنْ يَقْرَأَ وَهُوَ راقِدٌ تَحْتَ السَّريرِ، مُسْتَعينًا بِالمِصْباحِ اليَدَوِيِّ، لَكِنَّ ذلِكَ لَمْ يَكُنْ مُريحًا وَلا مُمْكِنًا. فَقَدْ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَ المِصْباحَ في يَدٍ، والكِتابَ في اليَدِ الأُخْرى، وَعِنْدَما يَنْتَهي مِنْ قِراءَةِ إِحْدى الصَّفَحاتِ، يَعْجِزُ أَنْ يَقْلِبَها لِأَنَّ يَدَيْهِ مَشْغولَتانِ.

لِهذا فَقَدْ تَوَصَّلَ لِيَل في نِهايَةِ الأَمْرِ إِلى ضَرورَةِ الذَّهابِ إِلى المَخْبَإِ.

كانَ المَخْبَأُ خَزانَةَ حائِطٍ مُنْحَرِفَةَ الشَّكْلِ، قامَ والِدُهُ بِتَرْكيبِها تَحْتَ

الدَّرَجِ المُؤَدِّي إِلى السَّقْفِ العُلْوِيِّ. وكانَتِ الخَزانَةُ تُسْتَخدَمُ مَخْزَنًا لِكلِّ ما يُعيقُ الحركةَ داخِلَ المنزلِ، فكانتْ فيها العُلَبُ الَّتي تَحْوي الزَّيْتَ الخاصَّ بالدُّهانِ، والعُبُواتُ الَّتي تَحْتَوي الخِيارَ المُخَلَّلَ، والكرتوناتُ الفارِغةُ، وصَناديقُ شَرابِ الليمونِ. وكانَ في داخِلِ المَخبأِ إضاءةٌ. وعندما كانَ ليبّل يَنهضُ مِنْ سَريرِهِ بِحُجَّةِ الذَّهابِ إلى الحَمّامِ (وَهُوَ يَتَأَبَّطُ كِتابَه)، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يعودُ مِنَ الحَمّامِ إلى غُرفةِ نَومِهِ، بَلْ يَتَسَلَّلُ إلى جِهَةِ اليَسارِ، فَيَفْتَحُ بِهدوءٍ بابَ المَخْبأِ، وَيُضيءُ النّورَ، ثُمَّ يجلسُ فوقَ قارِبِهِ الجِلْدِيِّ المَلفوفِ بانتظارِ فصلِ الصَّيْفِ، وَيغلقُ بابَ المخبأِ مِنَ الدّاخلِ، ويَشرعُ بالقِراءةِ.

وَعِنْدَ المَساءِ يَستَمِعُ إلى صوتِ والدِهِ قادمًا مِنْ غُرفةِ المَعيشةِ، وَهو يُخاطِبُ أُمَّهُ بصوتٍ غيرِ مُرْتَفِعٍ:

ـ النّورُ مُطْفَأٌ في غُرفةِ ليبّل، يبدو أَنَّهُ أَخلدَ إلى النَّومِ. ثُمَّ يعودُ بَعدها إلى غُرفةِ المَعيشَةِ.

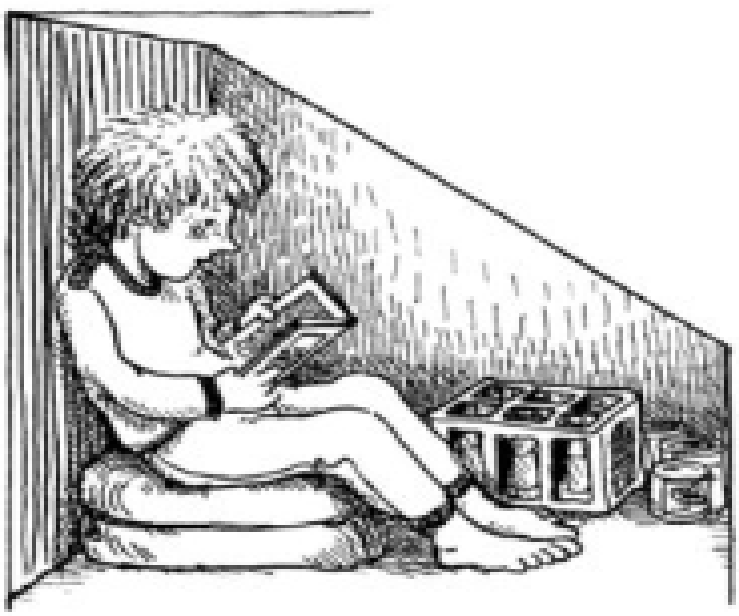

مُنْذُ ذلكَ الوَقْتِ وليَيل يُمضي أَوْقاتًا مُريحةً في هذا المخبأ. فقدْ كانَ يَقرأُ، ويَشربُ في تِلكَ الأثناءِ بعضَ زُجاجاتِ عصيرِ الليمونِ (كانَتِ الصَّناديقُ إلى جانبِ القاربِ الجِلْديِّ، لذلكَ لم يَجِدْ عَناءً في خِدْمَتِهِ لِنَفْسِهِ).

وكانَ ليَيل يَتَمَكَّنُ من الذَّهابِ إلى سَريرِهِ، قَبلَ أَنْ يَفقِدَ والِداهُ غرفتَهُ للاطمئنانِ

عليهِ، قبلَ أَنْ يَخلُدا إلى النَّومِ.

كانَ هذا المَكانُ مَخبأً لم يجرِ اكتشافُه إلى اليومِ، وإنْ كان أبوهُ قد أخذَ يَعجبُ؛ لأنَّهُ صارَ عليهِ أَنْ يَشتَرِيَ صُندوقَ ليمونٍ جديدًا كُلَّ خَمسةِ أيّامٍ، ويُرَدِّدُ في هذه الأثناءِ:

ثَمَّةَ شيءٌ غيرُ مفهومٍ يَحدثُ هاهُنا.

الفَصْلُ الثّالثُ
خُطَطُ السَّفَرِ

في هذه اللَّحظةِ الزَّمَنِيَّةِ تَحديدًا الَّتي كانَ الطَّقسُ فيها غَيرَ مُستَقِرٍّ، والَّتي تَمَكَّنَ ليَيل في أثنائِها أَنْ يَجمعَ ما يَقْرُبُ مِنَ الثَّمانينَ نُقطَةً (ثلاثٍ وسَبعينَ نُقطةً تَحديدًا)، وأَنْ يَكتَشِفَ المَخبأَ الموجودَ تَحتَ الدَّرَجِ. قَرَّرَ والِداهُ أَنْ يُسافِرا لِمُدَّةِ أسبوعٍ، وأَنْ يَترُكاهُ وحدَهُ، مِنْ أَجلِ أَنْ يَذهَبا وحبلَينِ إلى (فيينّا)، ويَستَمتِعا بالرِّحلةِ

إلى هُناك، أَوْ هذا ما كانَ يَظْهَرُ لَهُ عِنْدَما كانَ يَتَحدَّثُ مَعَ والِدَيْهِ.

وكانَ والِداهُ بالمقابلِ يَحلِفانِ بِكُلِّ غالٍ ومُقَدَّسٍ، أَنَّهما لا يُفَكِّرانِ على هذا النَّحوِ، وأَنَّهما يَشعُرانِ بالحُزنِ؛ لأَنَّهما لا يَستَطيعانِ اِصْطِحابَه.

وكانَ ليَيل يَتَصرَّفُ وَكَأَنَّه لا يُصَدِّقُ كلمةً واحدةً مِمّا يُقالُ. فَإذا كانا

غيرَ قادرَيْنِ على اِصْطحابِهِ إلى (فينا) فَلا أَقلَّ مِنْ أَنْ يَشْعُرا بِشَيْءٍ مِنْ تَأْنيبِ الضَّميرِ.

ثُمَّ سارتِ الأمورُ على النَّحوِ الآتي:

عادَ ليبّل ذاتَ ظهيرةٍ مِنَ السُّوقِ وقد إبْتَلَّتْ مَلابِسُهُ مِنَ المَطَرِ. وَعِنْدَما شَرَعَ يَضَعُ عُبوّاتِ الحليبِ الثَّلاثَ داخِلَ الثَّلّاجَةِ، كي يُفسحَ المجالَ لعُلَبِ اللَّبنِ الثَّلاثِ، وعلبةِ الكريما الحامضةِ، دخلَ والدُهُ إلى المَطبخِ بِوَجْهٍ رَزينٍ، وخاطبَه قائلاً:

ـ تعالَ يا ليبّل. فَهناكَ أمرٌ ينبغي أَنْ أُحدِّثَكَ بِشأنِهِ.

ـ هل تُريدُ أَنْ تَتحدّثَ مَعي عَنِ الحَليبِ؟ سَألَ ليبّل. ثُمَّ أضافَ: إنَّه لَيسَ حامضًا، لكِنَّهُ كَثيفٌ نِسبيًّا. وإذا نَظَرْنا إلى العُبْوَتينِ فَإنَّنا...

ـ عنْ أيِّ حَليبٍ تَتَحَدَّثُ؟ تَساءلَ والِدُه حائرًا.

ـ حَسنًا. فَهلْ تُريدُ الحديثَ عَنِ الخَزانةِ الموجودةِ في غُرفةِ المَعيشةِ؟

قالَ ليبل.

ـ كلّا. فأنا لا أُريدُ الحديثَ معكَ حولَ الحليبِ. قال والِدُه وَهُوَ يُساعدُ ليبل في خَلْعِ مِعْطَفِهِ المَطَرِيِّ، ويَعلّقُهُ عَلى ظَهْرِ الكُرْسِيِّ.

ـ عَنِ اللَّيمونِ إذَنْ؟ سَأَلَ ليبل وَهُوَ يَشْعُرُ بِشَيءٍ منَ الارْتِياب.

ـ لَيْسَ عَنِ اللَّيمونِ أيضًا، بَلْ عَنْ (فينّا). أُريدُ أنْ تَتحدّثَ معّا عَنْ (فينّا).

ـ أنا أُفَضِّلُ الحَديثَ عَنْ بَغْدادَ، قالَ ليبل وَهُوَ يَشْعُرُ بَشيءٍ مِنَ الارتياحِ، فَأنا أعْرِفُ كَثيرًا عَنْ بَغدادَ، وَهذا مَوْجودٌ في كِتابِ الشَّرْقِ. فَالشَّيْخُ أحمَدُ...

ـ ليبل.. إصغِ إليَّ هذه المَرّةَ لو سَمَحْتَ. هُناكَ مُؤْتَمَرٌ سَيُعقدُ في (فينّا) قَريبًا. وَينبغي أنْ تُسافرَ أمُّكَ إلى هُناكَ.

ـ ما هُوَ المُؤْتَمَرُ؟ تَساءلَ ليبل.

ـ هُناكَ يَتحدَّثُ النّاسُ عَنْ أشياءَ مُهِمَّةٍ، على الأقلِّ في نَظَرِ والدتِكَ.

ـ هَلْ سَيكونُ الحديثُ عَنِ الكَنائِسِ القَديمةِ واللَّوْحاتِ الزَّيْتِيَّةِ وما شابَهَ ذلِكَ؟

ـ تَمامًا.

ـ وَهَلْ سَتَتحدّثُ أمّي هي الأُخرى؟

ـ أَجَلْ، سَتَتحدّثُ.

ـ وَكَمْ سَيَستَمِرُّ هذا المُؤتَمَر؟

ـ أُسبوعًا.

ـ حَسَنًا. إذَنْ سَنكونُ وَحدَنا مَعًا طيلَةَ الأسبوعِ. قالَ ليبل ثُمَّ أضافَ:

وَهـذا يَعني أَنَّ اِسْتِهلاكَنا مِنَ الحليبِ سَيَكونُ أَقلَّ مِنَ المُعْتادِ.

ـ كَلّا يا ليل. أَتَعْلَمُ...

ـ عَفْوًا؟

ـ لَقَـدْ قَـرَّرْتُ أَنْ أُسـافِرَ مَـعَ أُمِّـكَ إِلى (فيينّـا). رَدَّ أَبـوهُ، ثُـمَّ تَنَفَّـسَ الصُّعـداءَ.

ـ وَماذا عَنّي؟ تَساءَلَ ليل وَهُوَ يَشْعُرُ بِالذُّهولِ. أَلَنْ أُرافِقَكُما؟

ـ هذا غيرُ مُمْكِنٍ لِلأَسَفِ. إِنَّ لَدَيْكَ دَوامًا مَدْرَسِيًّا.

ـ لكِنَّكُـما لا تَسْـتَطيعانِ أَنْ تَـتْرُكاني هُنـا أُسْـبوعًا كامِـلًا وَحيـدًا. رَدَّ ليـل غاضِبًـا.

ـ هَـلْ تَمْـزَحُ؟ أَجـابَ أَبـوهُ. سَيَكونُ هُنـا شَـخصٌ وَظيفَتُـهُ أَنْ يَعْتَنِـيَ بِـكَ وَيَرْعـاكَ.

ـ مَنْ هُوَ هذا الشَّخْصُ؟

ـ مـا زِلْنـا في طَـوْرِ البَحْـثِ عَنْـهُ، لكِنَّني أَعِـدُكَ أَنَّنـا لَـنْ نُسـافِرَ إِلّا إِذا عَثَرْنـا عَـلى شَـخْصٍ لَطيفٍ يَرْعاكَ.

ـ لكِنَّكُـما لَـنْ تَدَعـاني لِمُـدَّةِ أُسْـبوعٍ عِنْـدَ شَـخْصٍ غَريـبٍ. أَجـابَ ليـل مُحْتَجًّـا.

شَعَرَ الأَبُ بِشَيْءٍ مِنَ الحَسْرَةِ، لكِنَّهُ قالَ:

ـ أَلا تَسـتَطيعُ أَنْ تَسْـتَوْعِبَ مـا قلتُـه لَـكَ؟ إِنَّنـي أَرْغَـبُ في أَنْ أَكـونَ إِلى جانِـبِ والِدَتِـكَ أَثْنـاءَ إِلْقائِهـا مُحاضَرَتَهـا.

ـ وَأَنا أُحِبُّ أَنْ أَكونَ مَعها كَذلكَ. ردَّ ليل.

ـ هَلْ تَعْلَمُ، أَنَّني لَمْ أَزُرْ (فيينّا) مِنْ قَبْلُ؟

ـ وَأنا كَذلكَ لَمْ أَزُرْها.

ـ صَحيحٌ. لكِنَّكَ ما تَزالُ في العاشِرَةِ، وَأَنا في الثّامِنَةِ والثَّلاثينَ. قالَ الأبُ، ثُمَّ أضافَ: فَكِّرْ بِالأمرِ جَيِّدًا. فَلَعَلَّكَ تَعتادُ الأمرَ عِنْدَما تُفَكِّرُ فيهِ.

ـ إطْلاقًا. قالَ ليبل، وَخَرَجَ مِنَ المَطْبخِ.

وَبَعْدَ بِضْعَةِ أيّامٍ، كَرَّرَتْ أُمُّهُ المُحاوَلَةَ ذاتَها.

ـ ليبل. إنَّكَ ابني الكَبيرُ، وَأنتَ فَتىً ناضِجٌ، أليسَ كَذلكَ؟

ـ إنَّكِ تَقولينَ ذلكَ لِأنَّكِ تُريدينَ أنْ تَتَحَدَّثي مَعي عَنْ (فيينّا). رَدَّ ليبل.

وَكانَ ذلكَ صَحيحًا.

ـ لَقَدْ قُمْنا اليَوْمَ بِالحُجوزاتِ الخاصَّةِ بِالسَّفَرِ.

ـ أنا وَأنتَ؟ إلى أيْنَ؟ سَألَها ليبل.

ـ كَلّا! نَحْنُ: أنْا وَأبوكَ، قالَتِ الأُمُّ. وَسَنُسافِرُ إلى المُؤتَمَرِ في (فيينّا)، الَّذي سَبَقَ لِأبيكَ أنْ حَدَّثَكَ عَنْه.

ـ وَماذا عَنّي؟ سَألَ ليبل، وَهُوَ يَشْعُرُ بِالقَلَقِ. هَلْ سَتَتْرُكاني هُنا وَحيدًا أُعاني مِنَ الجوعِ؟

ـ سَيَأتي شَخصٌ ما، لِيَطْبُخَ لَكَ، وَيَرْعاكَ في أثناءِ غِيابِنا عَنِ المَنْزِلِ. قالَتِ الأُمُّ. وَفَوْقَ ذلكَ فَإنَّكَ لَنْ تَجوعَ، فَفي الثَّلّاجَةِ كَثيرٌ مِنْ عُلَبِ اللَّبَنِ الَّذي تَأكُلُ مِنهُ أربَعَ عُلَبٍ يَوميًّا، وَهذا يَكْفي لِيُبْقِيَكَ حَيًّا.

ـ وَمَنِ الَّذي سَيَأتي إلى هُنا لِرِعايَتي؟

ـ في الجَريدَةِ الَّتي يَعْمَلُ فيها أبوكَ، هُناكَ سِكْرتيرَةٌ. وَلِهذِهِ السِّكْرتيرَةِ شَقيقَةٌ، وَلِهذِهِ الشَّقيقَةِ صَديقَةٌ عاطِلَةٌ عَنِ العَمَلِ، سَتَتَوَلّى رِعايَتَكَ، وَسَتَأتي إلى هُنا، وَتَسْكُنُ مَعَكَ.

ـ بِبَساطَةٍ وَدونَ مُقابِلٍ!

ـ كَلّا. سَنَدْفَعُ لَها بِطَبيعَةِ الحالِ. رَدَّتِ الأُمُّ. سَنَدْعوها يَومَ الأَحَدِ القادِمِ لِتَناوُلِ القَهْوَةِ مَعَنا، حَتّى تَتَعَرَّفَ إِلَيْها.

ـ ما اسمُها؟

ـ السَّيِّدَةُ (يعقوب). قالَتِ الأُمُّ. هَلْ أَنْتَ مُوافِقٌ على أَنْ تَجيءَ يومَ الأَحَدِ القادِمِ؟

ـ لا أَدري. رَدَّ ليئل حائِرًا.

إِنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ يومَ السَّبْتِ كَمِّيَّةً أَكْبَرَ مِنَ المُعْتادِ مِنَ الكَريما، قالَتِ الأُمُّ وَهِيَ تَضْحَكُ. فَالكَريما تَكادُ تَكْفينا نَحْنُ الثَّلاثَةُ. فَإِذا صِرْنا أَرْبَعَةً...

ـ حَسَنًا، دَعيها تَأْتي لأَراها، رَدَّ ليئل

وكانَ ليئل في تِلْكَ الأَثْناءِ يَتَمَنّى أَنْ يَعْرِفَ ما الَّذي سَتَقولُهُ السَّيِّدَةُ (يشكي) عَنْ هذا كُلِّهِ. لكِنَّهُ كانَ مُتَرَدِّدًا بِخُصوصِ تَوْجيهِ الأَسْئِلَةِ لَها

عَلى نَحْوٍ مُباشِرٍ، وَقَدْ ظَلَّ يُفَكِّرُ طيلَةَ الوَقْتِ كَيْفَ يَحْكي لَها عَنِ الأَمْرِ. وَأَخيرًا تَمَكَّنَ لَيْثٌ مِنَ العُثورِ عَلى حَلٍّ، فَهَرْوَلَ في الحالِ صَوْبَ المَنْزِلِ الَّذي تَسْكُنُ فيهِ السَّيِّدَةُ (يشكي).

ـ يا سَيِّدَةُ (يشكي). ـ قالَ لِيَثٌ ذلِكَ، وَهُوَ يُخاطِبُها مِنْ بَوّابَةِ المَنْزِلِ ـ سَيِّدَةُ (يشكي). هَلْ أَسْتَطيعُ أَنْ أَسْأَلَكِ سُؤالًا؟

ـ تَسْأَلُني؟ تَساءَلَتِ السَّيِّدَةُ (يشكي) وَهِيَ تَشْعُرُ بِالدَّهْشَةِ. بِالطَّبْعِ تَسْتَطيعُ أَنْ تَسْأَلَني. اخْلَعْ مِعْطَفَكَ المَطَرِيَّ المَبْلولَ، وَاجْلِسْ هُناكَ بِكُلِّ هُدوءٍ! عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تُريدُ أَنْ تَسْأَلَني؟

ـ سَأَسْأَلُكِ عَنْ أَحَدِ الأَطْفالِ. ثُمَّ أَضافَ سَريعًا: لَكِنَّ هٰذا الطِّفْلَ لَيْسَ طِفْلًا حَقيقِيًّا. إِنَّهُ طِفْلٌ مُتَخَيَّلٌ.

ـ يَبْدو أَنَّ المَسْأَلَةَ صَعْبَةٌ. قالَتِ السَّيِّدَةُ (يشكي)، ثُمَّ أَضافَتْ: هَلْ تُريدُ أَنْ تَسْأَلَني عَنْ لُغْزٍ مُعَيَّنٍ؟

ـ لَيْسَ تَمامًا. قالَ لِيَثٌ.

ـ إِذَنْ هَيّا اِسْأَلْ. قالَتِ السَّيِّدَةُ (يشكي)، وَهِيَ تَضْغَطُ، كالمُعْتادِ، عَلى نَظّارَتِها،

عِنْدَما تَشْعُرُ بِالتَّوَتُّرِ.

سألَ لِيَثٌ:

ـ إِذا كانَ لَدى الأَبِ وَالأُمِّ طِفْلٌ، وَيُريدانِ أَنْ يَتْرُكاهُ وَحيدًا. فَهَلْ يُحِبّانِهِ؟

ـ سَيَتْرُكانِهِ وَحيدًا؟

ـ أَجَلْ.

ـ آه. سَيَتْرُكانِهِ في إِحْدى الغاباتِ. أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟

ـ كَلّا، كَلّا. سَيَتْرُكانِه في المَنزِلِ.

ـ هكذا. لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَنْ قِصَّةِ (هانسل وغريتل). إِنَّ الأَمْرَ يَبْدو أَكْثَرَ تَعْقيدًا مِمّا ظَنَنْتُ. سَيَتْرُكانِه في المَنزِلِ إِذَنْ. هَلْ سَيَتْرُكانِه في المَنْزِلِ إِلى الأَبَدِ؟

ـ كَلّا. لِمُدَّةِ أُسبوعٍ.

ـ إِلى أَيْنَ سَيَذْهَبانِ؟

ـ إِلى (فيينّا) لِحضورِ أَحَدِ المُؤْتَمَراتِ.

ـ وَهَلْ سَيَتْرُكانِه دونَ أَنْ يَكونَ مَعَهُ أَحَدٌ؟

ـ لا. سَتَكونُ مَعَهُ السَّيِّدَةُ (يَعْقوبُ).

ـ وَمَنْ تَكونُ السَّيِّدَةُ يَعْقوبُ هَذِهِ؟

ـ إِنَّها شَقيقَةُ إِحْداهُنَّ، يَعْرِفُها أَبي، أَعْني والِدَ ذلِكَ الطِّفْلِ.

ـ إِذا كانَ الأَمْرُ كَما حَدَّثْتَني، أَنا عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّ الأَبَ، وَالأُمَّ يُحِبّانِ ابْنَهُما. أَجابَتِ السَّيِّدَةُ (يشكي) عَنِ اقْتِناعٍ، ثُمَّ أَضافَتْ: سَيَمُرُّ الأُسبوعُ سَريعًا، وَبِإِمْكانِ هذا الفَتى أَنْ يَزورَ صَديقَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ.

ـ لَيْسَ عِنْدَهُ صَديقَةٌ. رَدَّ لِيبّل وَهُوَ يُفَكِّرُ كَيْفَ اسْتَطاعَتِ السَّيِّدَةُ (يشكي) أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ هذا الطِّفْلَ شابٌّ صَغيرٌ.

ـ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ سَيِّدَةً عَجوزًا تَقْطُنُ بِجِوارِهِمْ.

ـ هذا صَحيحٌ تَمامًا. قالَ لِيبّل سَعيدًا. ثُمَّ عادَ إِلى المَنْزِلِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ.

الفَصْلُ الرّابِعُ
السَّيِّدَةُ يَعْقوبُ تُقَدِّمُ نَفْسَها

ثُمَّ جاءَ عَصْرُ يَومِ الأَحَدِ، وَجاءَتِ السَّيِّدَةُ (يَعْقوبُ) مَعَهُ. وَعِنْدَما سَلَّمَتْ أُمُّ سَكَتْ بِيَدَيِّ لِيبَل، وَاحْتَفَظَتْ طَويلاً بِهِما، حَتّى ظَلَّ لِيبَل مُضْطَرًّا لِلْوُقوفِ أَمامَها، وَهِيَ تُخاطِبُهُ بِقَوْلِها:

ـ هذا هُوَ إِذَنْ (فيليب) الصَّغيرُ. أَنا واثِقَةٌ أَنَّ العَلاقَةَ بَيْنَنا سَتَكونُ عَلى ما يُرامُ، وَأَنَّ التَّعامُلَ سَيَكونُ مُريحًا. أَنا سَعيدَةٌ جِدًّا لِأَنّي سَأُمْضي الأُسْبوعَ المُقْبِلَ في هذا المَنْزِلِ. ثُمَّ تَرَكَتْ يَدَيْ (فيليب)، وجَلَسَتْ، وَفَرَغَتْ تَتَأَمَّلُ الطّاوِلَةَ المُعَدَّةَ لِشُرْبِ القَهْوَةِ. بَعْدَها اتَّجَهَتْ صَوْبَ الأُمِّ، وَقالَتْ:

ـ يا لَلرَّوْعَةِ! تُرى هَلْ هِيَ مِنْ صَناعَتِكِ أَمْ أَنَّكِ قُمْتِ بِشِرائِها؟ (وَهُنا كانَ حَديثُها يَدورُ عَنْ قالِبِ الحَلْوى).

ـ لا هذا وَلا ذاكَ. أَجابَتْ والِدَةُ لِيبَل، وَهِيَ تَجْلِسُ إِلى المائِدَةِ.

ـ لَقَدْ قامَ أَبي بِوَضْعِ القالِبِ في الفُرْنِ وإِنْضاجِهِ، وَأَنا ساعَدْتُهُ في ذلِكَ. قالَ لِيبَل مُوَضِّحًا ذلِكَ بِفَخْرٍ، فَأَرْدَفَتِ السَّيِّدَةُ يَعقوبُ بَعْدَ هذا قائِلَةً:

ـ هذا رائِعٌ تَمامًا! (وَكانَتْ تَنْطِقُ كَلِمَةَ تَمامًا، وَكَأَنَّ عَلى المَرْءِ أَنْ يَكْتُبَها تَماآمًا). جَلَسَ لِيبَل قُبالَتَها، أَيْ عَلى الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ الطّاوِلَةِ، كَيْ يَتَمَكَّنَ مِنْ مُشاهَدَتِها.

كانَتْ تَبْدو شَبيهَةً بِبَعْضِ العَرّافاتِ في التِّلْفِزْيونِ؛ فَقَدْ كانَتْ تَرْتَدي (بلوزَةً) خَضراءَ، وَتَضَعُ عَلى عُنُقِها مَنْديلاً أَخْضَرَ اللَّوْنِ، مُثَبَّتًا بِمِشْبَكٍ. وَكانَ الحَجَرُ المَوجودُ في المِشْبَكِ أَخْضَرَ اللَّوْنِ كَذلِكَ، تَمامًا كَلَوْنِ الأَقْراطِ في أُذُنَيْها. أَمّا شَعْرُها الأَشْقَرُ فَكانَ مُسَرَّحًا بِعِنايَةٍ. وَقَدْ بَقِيَتْ جامِدَةً لا

تَكادُ تَتَحَرَّكُ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ إِلّا جِذْعُها العُلْوِيُّ. وعندَما كانتْ تَبتسِمُ كانتْ أَسنانُها تَظهرُ عَلى نَحْوٍ غَريبٍ في فمِها، وَلَعلَّ ذلكَ يَرجِعُ إِلى أَنَّ أَسنانَها العُلوِيَّةَ مائِلَةٌ بَعضَ الشَّيءِ إِلى الأَمامِ. وهذا ما يُفسِّرُ قِلَّةَ ابتِسامِها.

لَقَدْ قَدَّرَ لِيتِل أَنَّها في سِنِّ والِدَتِهِ. وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُ أَثناءَ شُربِ القَهوةِ، أَنَّ لَدَيها إِضافَةً إِلى «عَامَّاما»، تَعبيرًا آخَرَ وهوَ «لا شُكرًا».

فَقَدْ قالتْ: «لا شُكرًا» عِندَما عَرَضَ عَليها أَبوهُ قِطْعَةً مِنَ الحَلوى، وَقالَتْها عِندما ناوَلَتْها أُمُّهُ وِعاءَ السُّكَّرِ، وَكَرَّرَتْها مَرَّةً ثالِثَةً عِندما نَبَّهَها لِيتِلُ لِوُجودِ الكريما.

وَفي النِّهايَةِ اسْتَطاعَ أَبوهُ أَنْ يُقْنِعَها بِتَناوُلِ قِطْعَةٍ صَغيرةٍ عَامَّامَا مِنْ قالَبِ الحَلوى. لكنَّها لَمْ تَتَناوَلْ الكريما، كَما لاحَظَ لِيتِلُ وَهُوَ يَشعُرُ بِالأَسى.

بَعْدَ أَنْ شَرِبوا القَهْوةَ، طافَ أَبوهُ وَأُمُّهُ وَمَعَهُما السَّيِّدَةُ يَعقوب بِأَرجاءِ المَنزِلِ، وَأَوْضَحا لَها ما يَحْوِيهِ المَطْبَخُ مِنْ أَدواتٍ وَأَجْهِزَةٍ.

كانَتِ السَّيِّدَةُ يَعقوبُ تُكَرِّرُ «آه. نعم» مِن حينٍ لآخَرَ، مثلما تقولُ كلمةَ «رائِعٌ» بينَ الفَينَةِ والأُخرى. لكنَّ ملامِحَ وجهِها كانتْ تشيرُ إِلى أَنَّها لَمْ تَستوعِبْ كثيرًا مِمّا يُقالُ.

كانَ والِدُ لِيتِل مغرمًا بِأدواتِ المطبخِ الفريدةِ، ويعاني مِنَ الضَّعفِ نحوَها. وقدْ قالتْ لهُ زوجتُهُ مازِحَةً ذاتَ مرَّةٍ، إِنَّهُ سيلِدُ مالَه وهوَ يشتري أدواتِ الخلطِ الإيطاليَّةَ، وأجهزةَ العصيرِ الأمريكيَّةَ، وماكيناتِ تقطيعِ أدواتِ السَّلطةِ الكهربائيَّةِ. ولوْ لَمْ تكُنْ تعملُ، لكانتْ أعلنتْ إفلاسَها منذُ زمنٍ طويلٍ.

وفي خاتِمَةِ المطافِ غادرتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ المنزلَ، فشرعَ والِدا لِيتِل

ينظـرانِ إلى بعضِهـا بارتبـاكٍ، وراَنَ الصَّمـتُ فـترةً مِـنَ الوقـتِ.

ـ لا أدري، لا أدري... قالتْ والدةُ ليبْل قاطعةً الصَّمْتَ المخيِّمَ.

ـ ما الَّذي لا تعرفينَهُ؟ سألَها ليبْل.

ـ إذا كانـتْ هـيَ المـرأةَ المناسبةَ لرعايتِـكَ أم لا. إنَّهـا امـرأةٌ كثـيرةُ التَّصَنُّـعِ. إنَّهـا شـبيهةٌ بعـضُ الـشَّيءِ... (وكانـتْ تفتّـشُ في تلـكَ الأثنـاءِ عَـنِ التَّعبـيرِ المناسـبِ).

ـ بالخالاتِ في الأفلامِ الكوميديَّةِ. علَّقَ ليبْل.

ـ إنَّها غيرُ صادقةٍ بعضَ الشَّيءِ. أضافَ الأبُ على الفورِ.

ـ صحيحٌ، هذا ما يُمكنُ قولُهُ. قالتِ الأُمُّ.

ـ ومِـنَ الواضـحِ أنَّـهُ لا خـبرةَ لَديهـا في مـا يتعلَّـقُ برعايـةِ الأطفـالِ. قـالَ الأبُ، ثُـمَّ أضـافَ: وأخْشـى أنَّنـا لا نسـتطيعُ أنْ نقبـلَ بِهـا. إنَّنـا لا نسـتطيعُ ذلـكَ يـا ليبْـل.

ـ هـذا مؤكَّـدٌ. لكـنَّ مِـنَ الصَّعـبِ أنْ نعثـرَ عَلى امـرأةٍ أُخـرى في هـذا الوقتِ القصـيرِ. أضافـتِ الأمُّ، وعَـلى وجهِهـا تبـدو، في هـذِهِ الأثنـاءِ، معـالمُ القلقِ.

ـ إذن فلـنْ أُسـافرَ معـكِ. قـالَ الأبُ بحـزمٍ، ثُـمَّ أضـافَ: ومَـنْ يـدري فلعلَّنـا

نسـتطيعُ أنْ نُسـافرَ إلى فيينّـا مـرَّةً ثانيـةً. وقـدْ نتمكَّـنُ نحـنُ الثَّلاثـةُ مِـنْ قضـاءِ إجـازةٍ طويلـةٍ هنـاكَ.

ـ كَلّا! لستُ محتاجًا إلى ذلكَ. ردَّ ليبْل.

تأمَّلتِ الأمُّ ابنَها مشدوهةً.

ـ يمكِنُكُـما أنْ تُسـافرا مطمئنَّيـنِ. فأنـا قـادرٌ عَـلى التَّعامـلِ معهـا. كَـما أنَّكُـما

لَنْ تغيبا إلّا أسبوعًا واحدًا، فضلاً عَنْ أنّني قادرٌ عَلى زيارةِ السَّيِّدَةِ يَشكي، صديقتي. سافِرا معًا إلى ڤيِنّا، فأنا لستُ طفلاً صغيرًا على كلِّ حالٍ. قالَ ليڤل ذلكَ بارتياحٍ.

الفَصْلُ الخامِسُ

وَداعٌ

كانَ موعدُ سفرِ والدَيْ ليڤل في السّاعةِ العاشرةِ، حيثُ يكونُ عادةً في المدرسةِ.

وقدِ استيقظَ الجميعُ في هذا اليوم مبكّرينَ عَنِ الوقتِ الَّذي اعتادوا الاستيقاظَ فيه، كي يتمكّنَ أبوهُ وأمُّهُ مِنْ توديعِهِ.

وقد حرصَ أبوهُ وأمُّهُ أثناءَ هذا الوداعِ عَلى تزويدِ ليڤل بمجموعةٍ مِنَ التّحذيراتِ والنّصائحِ، وهوَ يأكلُ اللَّبَنَ الَّذي اعتادَ أنْ يتناولَهُ في الصَّباحِ. وقدْ دسَّ ليڤل غطاءَ علبةِ اللَّبنِ في جيبِ بنطالِهِ؛ لأنَّهُ رأى أنَّ مِنْ غيرِ المُناسبِ أنْ ينشغلَ بجمعِ القُطَعِ أثناءَ لحظاتِ الوَداعِ.

وكانتْ غاليَّةُ النّصائحِ الَّتي تلقّاها تتعلّقُ بضرورةِ تنظيفِهِ أسنانَه، والاغتسالِ، ونظافةِ الملابسِ وما شابهَ ذلكَ. لكنَّ ليڤل كانَ يؤمنُ أنَّ عليهِ أنْ لا يُثقلَ ذاكرتَهُ بمثلِ هذهِ النّصائحِ، فسُرعانَ ما نَسِيَها.

لكنَّ ليڤل أقرَّ أنَّ هناكَ ثلاثةَ أمورٍ تستحقُّ الاهتمامَ في نظرِهِ:

النُّقودُ الموجودةُ في الصُّندوقِ الخشبيِّ الصَّغيرِ الموضوعِ فوقَ الخزانةِ للحالاتِ الطّارئةِ، حصولُهُ عَلى مصروفِهِ اليوميِّ، واتصالُهُ بالفندقِ الَّذي يُقيمُ فيهِ أبوهُ وأمُّهُ في ڤيِنّا في الحالاتِ الضَّروريَّةِ، حيثُ كُتِبَ رَقْمُ هاتفِ

الفندقِ عَلى قُصاصةٍ ورقيّةٍ وُضِعَتْ بالقربِ مِنَ الهاتِفِ.

أمّا السَّيِّدَةُ يعقوبُ فستجيءُ إلى المنزلِ أثناءَ وجودِهِ في المدرسةِ، وستكونُ موجودةً بعدَ رجوعِهِ منها، ولعلَّها تكونُ قدْ أعدَّتْ وجبةَ الغداءِ. هكذا كانَ الاتِّفاقُ.

في الختامِ عانقَهُ أبوهُ وأمُّهُ، وغادَرَهما ذاهبًا إلى المدرسةِ.

الإثْنَيْنُ
الفَصْلُ السّادِسُ
الجُدُدُ

اِعتادَ ليّل أنْ يذهبَ إلى المدرسةِ وحيدًا، ولمْ يكنْ ذلكَ سببًا للشُّعورِ بالانزعاجِ. فلمْ يكنْ أحدٌ مِنْ زملائِهِ يسكنُ في الشّارعِ الّذي يُقيمُ فيهِ. لكنَّهُ تمنّى لو أنَّ أحدًا يُرافقُهُ، في هذا اليومِ، أثناءَ الذّهابِ إلى المدرسةِ ليتبادلَ معهُ الأحاديثَ.

لقدْ جعلتْهُ لحظاتُ الوداعِ حزينًا، فسارَ ببطءٍ على امتدادِ الشّارعِ الموصلِ إلى المدرسةِ، وكانَ يشعرُ بالإحباطِ والوَحْدةِ. لكنَّهُ سُرعانَ ما نَسيَ تلكَ المشاعرَ المؤلمةَ عندما دخلَ إلى غرفةِ الصَّفِّ.

ففي هذا اليومِ جاءتْ مربيةُ الصَّفِّ السَّيِّدَةُ (كلوبي) متأخِّرةً عَنْ موعدِ الدَّرسِ ما يقربُ مِنْ عشرِ دقائقَ. ولمْ تَجِئْ وحدَها بلْ كانتْ تصطحبُ فتًى أسودَ الشَّعرِ، وإلى جانبِهِ فتاةٌ. وكانَ ذلكَ في منتصفِ السَّنةِ الدِّراسيّةِ. بقيَ الفتى والفتاةُ واقفَينِ إلى جانبِ المعلِّمةِ، وهما يحدِّقانِ في الأرضِ، بارتباكٍ. نظرتِ السَّيِّدَةُ (كلوبي) نحوَ التّلاميذِ، وانتظرتْ حتّى

هـ الجميعُ، وقالتْ:

ـ معي زميلانِ جديدانِ لكما. إنّ ما شـ ـ "، وسينضمّانِ لـ هذه

اللّحظةِ إلى هذا الصّفِّ. ثُمّ التفتتْ نحوَهما، وقالتْ لهما: هلْ مِنَ المُمكِنِ أنْ يذكرَ كلٌّ منكُما اسمَهُ؟

اقتربتِ الفتاةُ مِنْ أخيها، وهمَستْ لَهُ شيئًا في أُذنِهِ، لكنَّ الفتى هزَّ رأسَهُ، وبقيَ ينظرُ نحوَ الأسفلِ.

كانَ الصّفُّ ينتظرُ بشوقٍ، لكنَّ شيئًا لَمْ يحدثْ. فقدْ بقيَ الفَتى والفتاةُ صامتَينِ.

ـ حسنًا. أستطيعُ أنْ أقرأَ اسمَ كلِّ واحدٍ منكما. قالتِ المعلّمةُ بسرعةٍ. ثُمّ أضافتْ: وتستطيعانِ تصويبَ ما أقولُ إنْ أخطأتُ في القراءةِ. ثُمّ وضَعتْ يدَها على كتفِ الفَتى، وقالتْ:

ـ هذا أرسلانُ. فحَنى الفتى رأسَهُ. وهذهِ هيَ حميدةُ. فحنتِ الفتاةُ رأسَها كذلكَ، واستمرّتْ تنظرُ إلى الأرضِ. بعدَها قالتِ المعلّمةُ، وهي تفتّشُ في هذهِ الأثناءِ عَنِ المكانِ المناسبِ:

ـ والآنَ يتوجّبُ علينا أنْ نجدَ لهما مكانًا ليجلسا فيه... (فيليب) أنتَ تجلسُ وحيدًا على المقعدِ. تحرّكْ نحوَ اليمينِ، حتّى يجلسَ أرسلانُ إلى جانبِكَ. أمّا حميدةُ فستجلسُ إلى جانبِ أخيها حتّى تترجمَ لَهُ ما يتعذّرُ عليه استيعابُهُ.

وبينما كانَ القادمانِ يجلسانِ إلى جانبٍ ليتل، استأذنتْ (إلفيرا) وتساءلتْ بفضولٍ:

ـ سيّدةُ (كلوبي)، هَلِ الطّالبانِ أجنبيّانِ؟

ـ نَعَـمْ، إنَّهـما أجنبيـان، فقـد وُلـدَ أرسـلا [illegible] يَ مثلُكُـم مِـنْ مواليـدِ ألمانيـا.

ـ وهلْ هُما توأمانِ؟ تساءلَ (أولي).

ـ كيـفَ يمكـنُ أَنْ يكونـا توأمَـينِ، إذا كانَ واحـدٌ مِنهـما قـدْ وُلِـدَ خـارجَ ألمانيـا، والثـاني

في ألمانيا؟ إنَّ أرسلانَ أكبرُ مِنْ شقيقتِه بعامٍ.

ـ لِماذا هما إذن في صَفٍّ مدرسيٍّ واحدٍ؟

ـ إنَّ مستوى لغةِ أرسلانَ الألمانيَّةِ هو دونَ مستوى لغةِ شقيقتِه حميدةَ.

ـ ولكـنْ لمـاذا لا يتحـدَّثُ الألمانيَّـةَ عـلى نحـوٍ جيِّـدٍ، إذا كان يكبُرهـا بعـامٍ؟

أرادتْ (باربـرا) أَنْ تعـرفَ.

ـ لأنَّـهُ لَمْ يَمْـضِ عـلى وصولِـهِ إلى ألمانيـا إلّا عـامٌ واحـدٌ. وضَّحـتِ المعلِّمَـةُ، وقـدْ كادَ صبرُهـا يَنْفَـدُ، ثُـمَّ أضافـتْ: إذا كانَ لديكـم أسئلةٌ أخـرى، فاسـألوها. ولكـنْ ليـسَ الآنَ، بـلْ في أثنـاءِ الاسـتراحةِ.

ثُمَّ بدأتْ تشرحُ الدَّرسَ، وتوقَّفَ الجميعُ عَنْ طرحِ الأسئلةِ.

أخذَ ليئل يتأمَّلُ جيرانَه، ثُمَّ سألَ أرسلانَ هامسًا:

ـ ألا تفهـمُ اللُّغـةَ الألمانيَّـةَ أبـدًا؟ فانْحنـى أرسـلانُ بهـزِّ رأسِـهِ. لَمْ يسـتطعْ ليئـل أنْ يـدركَ مدلـولَ هـذه الحركـةِ، فأعـادَ السُّـؤالَ بصيغـةٍ مختلفـةٍ:

ـ هلْ تفهمُ الألمانيَّةَ؟

فَحَنى أرسلانُ رأسَهُ.

ـ ولكـنْ لمـاذا تلتـزمُ الصَّمـتَ، ولا تقـولُ شـيئًا عـلى الإطـلاقِ؟ سـألَهُ ليئـل مُجـدَّدًا. عندَهـا شرعَ أرسـلانُ ينقِّـبُ في حقيبَتِـهِ المدرسـيَّةِ وكأنَّـهُ لَمْ يسـتمعْ إلى السُّـؤالِ.

ـ لمـاذا جِئْتُـمْ إلى الصَّـفِّ في مُنتصـفِ السَّـنةِ الدِّراسِـيَّةِ؟ تسـاءلَ ليئـل هامسًـا.

عندَ هذا السُّؤالِ أجابَتْ حميدةُ:

ـ لقـد انتقـلَ أبي إلى هُنـا بِسـببِ العمـلِ، وكانَ علينـا أن نـأتيَ معـه. فلقـد قَدِمنـا مـن مدينـة (سِـندل فنجـن)(*).

ـ (سندل فنجن)؟ تَساءلَ ليئل.

ـ إنَّها قريبةٌ من مدينةِ (بوب لنجن)(*).

وَعِنْدَمـا لاحَظَـتْ حَميـدَةُ أنَّ حَديثَهـا عـنِ المَدينتيـنِ لَمْ يَـتركْ تأثيـرًا في نفـسِ ليئـل أضافَـتْ:

(*) تَقَعُ المَدينتانِ في الجَنوبِ الغَربيِّ لمدينةِ (شتوتغارت) وتَبعدانِ عنها قَرابةَ عشرينَ كيلومترًا.

ـ إنَّ الحياةَ جميلةٌ هناكَ.

ـ أَجَلْ. ردَّ ليثل وَأَطْرَقَ أَرْضًا، مَعَ أَنَّهُ لم يَكُنْ يعرفُ أَيْنَ تَقَعُ المدينتانِ.

بَعدها انحنتِ حميدةُ نَحْوَ الأَمامِ لِتَتَمَكَّنَ من رُؤْيةِ ليثل، لأنَّ أرسلان كان يجلسُ بينهما. ثُمَّ سألتهُ:

ـ ما اسمُكَ؟

ـ اسمي ليثل. ردَّ هامسًا.

وكانتْ حميدةُ أَوَّلَ إنسانٍ لا يقولُ بعدَ سؤالِهِ عَنِ اسمِهِ: ما هذا الاسمُ؟ وهلْ تُدعى كذلكَ حقًّا؟ بلِ اكتفتْ بتكرارِ الاسمِ، وحنتْ رأسَها، ووجدتِ الأمرَ عاديًّا.

بعدَ ذلكَ اتَّجهَ ليثل إلى جارِهِ الَّذي يجلسُ إلى جوارِهِ، وكرَّرَ سؤالَه لهُ:

ـ لماذا لا تتكلَّمُ؟

فتصدَّتْ حميدةُ مجدَّدًا للإجابةِ، وأوضحتْ:

ـ إنَّ أرسلانَ غاضبٌ؛ لأنَّهُ غادرَ مدينةَ (سندل فنجن). وهوَ لا يريدُ الانتقالَ إلى صفٍّ مدرسيٍّ جديدٍ، بلْ إنَّهُ لا يريدُ أنْ يأتيَ في الأصلِ إلى... وهنا همسَ أرسلانُ لشقيقتِهِ بلغتِهما، وكانتْ نبرةُ حديثِهِ تنطوي على شيءٍ مِنَ التَّأنيبِ، فتوقَّفتْ حميدةُ عنِ الكلامِ، ولمْ تتحدَّثْ معَ ليبْل مدَّةً ما قبلَ الظُّهرِ على الإطلاقِ.

بدأَ ليبْل يفكِّرُ، ورأى أنَّ أرسلانَ قدْ لا يستطيعُ احتمالَهُ، فابتعدَ عنْهُما قليلًا وهوَ يشعرُ بشيءٍ مِنَ الاستياءِ، ولمْ يتحدَّثْ معَ الاثنينِ بعدَ ذلكَ.

وعندما انتهى الدَّرسُ قرابةَ السَّاعةِ الثَّانيةَ عشرةَ، مدَّ أرسلانُ يدَهُ في جيبِهِ، وأخرجَ مِنْها ثلاثَ حبَّاتٍ مِنَ السَّكاكرِ، فأعطى لحميدةَ حبَّةً، وأبقى حبَّةً في يدِهِ، وناولَ الثَّالثةَ لجارِهِ ليبْل.

ـ هَلِ الحبَّةُ لي؟ تساءلَ ليبْل وهوَ يشعرُ بالمفاجأةِ.

أطرقَ أرسلانُ، وأخذَ يتأمَّلُ بدقَّةٍ كيفَ فتحَ ليبْل الورقةَ، ووضعَ الحبَّةَ في فمِهِ.

ـ شُكرًا، إنَّ طَعْمَها لذيذٌ. قالَ ليبْل وهوَ يمصُّ الحبَّةَ. أطرقَ أرسلانُ مجدَّدًا ثُمَّ غادرَ غرفةَ الصَّفِّ برفقةِ شقيقتِهِ.

تأمَّلَ ليبْل ورقةَ (الملبَّس). كانتْ تبدو عاديَّةً للوهلةِ الأولى: ورقةٌ حمراءُ، وعليها نِقاطٌ خُضرٌ. لكنَّ الخطَّ كانَ مختلفًا، وهوَ لا يستطيعُ أنْ يقرأَهُ. إنَّها كتابةٌ بلغةٍ أجنبيَّةٍ، دونَ أدْنى شكٍّ. بعدها طَوى ليبْل الورقةَ بعنايةٍ، ودسَّها في جيبِهِ. فهوَ لَنْ يحصلَ على مثلِ هذهِ الحَبَّةِ كلَّ يومٍ، ولا على ورقةِ (الملبَّسِ) القادمةِ مباشرةً مِنَ الشَّرقِ.

الفَصْلُ السَابِعُ
طَعامُ الغَداءِ مَعَ السَّيِّدَةِ يَعقوبَ

فوجِئَ ليّل بعدَ عودتِهِ مِنَ المَدرسةِ إلى المنزلِ، بسَماعِ صوتٍ يتحدَّثُ مِنْ غُرفةِ المَعيشَةِ. فهلْ تَراجعَ والِداهُ عَنْ فكرةِ السَّفرِ؟

اندفعَ نحوَ بابِ الغرفةِ وفتَحَهُ، فشاهدَ السَّيِّدَةَ يعقوبَ تتحدثُ بالهاتفِ وهي جالسةٌ على إحدى (الكَنَباتِ).

كانتِ السَّيِّدَةُ تصفُ غرفةَ المعيشةِ في منزلِ عائلةِ (ماتّنهايم):

ـ أربعُ (كنباتٍ)، وأريكةٌ جلديَّةٌ قديمةٌ، لا تَتناسبُ أبدًا مَعَ الأثاثِ.. ورقُ الجُدرانِ؟ ليسَ لديهم ورقُ جدرانٍ على الإطلاقِ. صحيحٌ، ليسَ هنا إلّا جدرانٌ بيضٌ، عليها لوحاتٌ مجنونةٌ تمامًا. ليسَ لديهم أشياءُ عصريَّةٌ، وليسَ عندهم ستائرُ. تخيَّلي يا أمّي: لا يوجدُ ستائرُ مُطلقًا في المنزلِ... هذا مؤكَّدٌ تمامًا.

ـ لكنَّ الستائرَ تجعلُ الغرفةَ مظلمةً. أجابَ ليّل منَ البابِ (وهوَ ما اعتادتْ أمُّهُ أنْ تقولَهُ).

ركضتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ فزعةً نحوَ البابِ.

ـ آه، هلْ عدْتَ يا (فيليب)؟ سألتْ وهيَ تفتعلُ الابتسامَ، بينما كانتْ تضعُ يدَها فوقَ سمّاعةِ الهاتفِ.

ـ اذهبْ إلى المطبخِ، وارفعِ الغطاءَ عنِ الطّنجرةِ. قالتْ لَهُ بصيغةِ الأمرِ، ثُمَّ أضافتْ: سآتي حالًا، فالطّعامُ جاهزٌ.

ذهبَ ليّل إلى المطبخِ، بينما ظلّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تواصلُ مكالمَتَها الهاتفيَّةَ.

ـ إنَّ عليَّ أنْ أتوقَّفَ الآنَ توقُّفًا تامًّا يا أمّي، فقدْ عادَ الفتى إلى المنزلِ.

سمعَ ليّل كلامَها عَنْ بُعدٍ، لكنَّ والدةَ السَّيِّدَةِ يعقوبَ، لَمْ تكنْ، عَلى ما يَظْهَرُ، متّالةً لإنهاءِ المُكالَمَةِ، فقدْ ظلّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تضعُ سمّاعةَ الهاتفِ عَلى أُذنِها، وتردُّ: نعمْ يا أمّي، كَلّا يا أُمّي.

وضعَ ليّل صحنَيْنِ عَلى المائدةِ، ووضعَ أدواتِ الطَّعامِ إلى جانبِ كُلِّ صحنٍ، وجلسَ على كرسيِّه ينتظرُ.

كانَ صَدى إجاباتِ السَّيِّدَةِ يعقوبَ يتردَّدُ مِنْ بعيدٍ، فقدْ ظلّتْ تكرِّرُ: «نَعَمْ يا أمّي، كَلّا يا أمّي».

لَمْ يكنْ ليّل يعرفُ نوعيَّةَ الصُّحونِ الَّتي يَنبغي أَنْ توضَعَ عَلى المائدةِ، لأنَّ السَّيِّدَةَ يعقوبَ لَمْ تُخبِرْهُ عَنْ نوعيَّةِ الطَّعامِ الَّذي أعدَّتْهُ. لهذا نهضَ واتّجهَ نحوَ الفرنِ الكهربائيِّ، ليستطلعَ ما الَّذي قامتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بطهوِهِ.

كانتِ الطَّنجرةُ الأولى مليئةً بالمَكرونةِ العريضةِ في ماءٍ يَغلي.

ـ لا بأسَ. همسَ ليّل.

لكنَّهُ عندما تأمَّلَ الطَّنجرةَ الثانيةَ، أُصيبَ بالذُّعْرِ، فقامَ على الفورِ بإغلاقِها: لقدْ كانتْ مليئةً بحساءِ البَندورَةِ!

حساءُ البَندورَةِ، ذلكَ الطَّعامُ الَّذي لمْ يَخترعِ العقلُ الإنسانيُّ طعامًا أكثرَ مِنْهُ قُبْحًا ورداءَةً وبشاعةً!

استدارَ ليَيْل وهوَ مملوءٌ بالغضبِ، وقامَ عنْ كُرسيِّهِ في المطبخِ، واتَّجهَ صوبَ المِرحاضِ. بقيَ ليَيْل واقفًا خلفَ البابِ مُعتقدًا أنَّ السَّيِّدَةَ يعقوبَ ستناديهِ مِنْ وراءِ البابِ المُقفلِ (كما تفعلُ والدتُهُ)، وسيرفضُ الخروجَ، كي يدلِّلَ على ما يعانيهِ مِنْ ألَمٍ.

بقيَ هناكَ نَحوَ ربعِ ساعةٍ، دونَ أنْ يناديَهُ أحدٌ، فخرجَ بعدَ أنْ شعرَ بالملَلِ، وقبلَ الخُروجِ ضغطَ على أداةِ تنظيفِ المِرحاضِ، وغسلَ يديهِ، وعادَ إلى المطبخِ.

كانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ جالسةً إلى مائدةِ الطَّعامِ. وكانتْ قدْ أزاحتْ صحنَها،

وبدأتْ تأكلُ شيئًا شاحبَ الحُمرةِ مِنْ إحدى العُلبِ.

كانتِ المعكرونةُ موضوعةً في أحدِ الصُّحونِ على الطَّاولةِ، وإلى جانبِها صحنٌ مليءٌ بالسَّلَطةِ، وصحنٌ آخرُ مليءٌ بحساءِ البَندورَةِ.

ـ ها قدْ عُدتَ أخيرًا. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ على سبيلِ التَّحيَّةِ، ثُمَّ أضافتْ: شهيَّةٌ طيِّبةٌ. هَلْ غسلتَ يديكَ بالصَّابونِ؟ لكنَّ ليَيْل ردَّ بصوتٍ مملوءٍ بالتَّأنيبِ:

ـ أهذا هوَ حساءُ البَندورةِ؟ ثُمَّ أضافَ: ألَمْ يُخبِرْكِ أبي أنَّنا جميعًا لا نُحبُّ هذا الحساءَ؟

ـ بلى. لقدْ أخبرَني. ردَّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ. لكنَّ هذا ليسَ حساءَ

البَنَـدورةِ، إنَّهـا صلصـةُ البَنَـدورةِ.

ـ إنَّها طعامٌ واحدٌ في نِهايةِ المطافِ. ردَّ ليَيْل غاضِبًا.

ـ لـو أنَّهـا طعـامٌ واحـدٌ كَـما تدَّعـي، لمـا كانَ لهـا تسـميَتانِ مختلفتـانِ. ردَّتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ وهـيَ تَمـلأُ صحنَهـا بالمعكرونـةِ، ثُـمَّ أوضحَـتْ: إنَّ الأولى حسـاءٌ، والثّانيـةَ صَلصـةٌ. أليـسَ كذلـكَ؟ ثُـمَّ تقدَّمـتْ نحـوَ صحـنِ ليَيْـل، ومعَهـا ملعقـةٌ كبـيرةٌ مملـوءةٌ بحسـاءِ البَنـدورةِ، وهـيَ تريـدُ أنْ تسـكُبَها فـوقَ صحـنِ ليَيْـل المملـوءِ بالمَعكرونـةِ. فصـاحَ ليَيْـل:

ـ لا، لا تفعلي! وأزاحَ صحنَه بعيدًا.

ـ (فيليـب)! هـذا سـلوكٌ غـيرُ مـؤدَّبٍ تمامًـا، فقـدْ كنـتُ عَـلى وشـكِ أنْ أسـكبَ الصَّلصـةَ فـوقَ مَفْـرَشِ الطّاولَـةِ. أعْطنـي صحنَـكَ!

ـ كَلّا. لا أسـتطيعُ. قـالَ ليَيْـل وهـوَ مملـوءٌ بخيبـةِ الأمـلِ، ثُـمَّ أضـافَ: لا أسـتطيعُ تنـاولَ هـذا الطَّعـام أبـدًا.

ـ إذن، فقدْ كانَ طَهوي للطَّعامِ بلا معنى. ردّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ تشعرُ بالإهانةِ، ثُمَّ أضافَتْ: يا لَها مِنْ بدايةٍ! أنتَ ترفضُ أنْ تأكلَ، وسيتَّهمُني والِداكَ بأنّي تركتُكَ تتضوَّرُ جوعًا.

ـ أستطيعُ أنْ آكلَ طبقَ المَعكرونةِ، مَعَ كمّيةٍ كبيرةٍ مِنَ السَّلَطةِ. اقترحَ ليّل.

وهنا نظرتْ إليهِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ لا تشعرُ بالرِّضا عَنْ هذا الاقتراحِ. لهذا ملأَ ليّل طبقَهُ بالمعكرونةِ البيضاءِ، وأضافَ إليهِ كومَةً مِنَ السَّلَطةِ، وبَدَأَ يأكلُ.

لكنَّ ليّل لَمْ يستطعِ ابتلاعَ اللُّقمةِ الأولى، وبقيَتِ السَّلَطةُ الخَضراءُ في فمِهِ؛ لأنَّ السَّيِّدَةَ يعقوبَ قدْ أضافتِ كثيرًا مِنَ السُّكَّرِ إلى نكهةِ السَّلطةِ، فكانَ طعمُها واضحَ الحَلاوةِ.

وقدْ مضغَ ليّل اللُّقمةَ الأولى مِنَ السَّلطةِ طويلًا، ثُمَّ أقدمَ بعدَ صعوبةٍ عَلى ابتلاعِها بشجاعَةٍ.

ـ هلْ تَسمحينَ، هلْ تسمحينَ لي بأنْ أغسلَ صَحنَ السَّلطةِ؟ سألَ ليّل بِحَذَرٍ.

ـ تغسلُ السَّلَطةَ؟ ردَّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وهيَ تفكِّرُ مَليًّا إنْ كانتْ قد سمعتْ ما قيلَ لَها على نحوٍ دقيقٍ. هلْ تريدُ أنْ تقولَ إنّي امرأةٌ غيرُ نظيفةٍ؟

ـ كَلّا، كَلّا. ردَّ ليّل بسرعةٍ، وأوضحَ قائلًا: إنَّ طعمَها غريبٌ، وأنا غيرُ معتادٍ على هذا الطَّعمِ! إنَّ مذاقَها حلوٌ تمامًا.

ـ هذا يرجعُ إلى السُّكَّرِ. أوضحتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، ثُمَّ سألَتْهُ: ألا تصنعونَ نكهةَ السَّلطةِ مِنَ الخَلِّ والسُّكَّرِ؟

ـ لا، إطلاقًا. إنَّ مذاقَ السَّلطةِ عِندنا حامضٌ دائمًا. أكَّدَ لها ليّل.

ـ حسنًا، ستكونُ السَّلطةُ في المرَّةِ القادمةِ حامضةَ المذاقِ. لكنَّني لَنْ أسمحَ لكَ أنْ تقومَ بغسلِها، فهذا جنونٌ. ثمَّ إنَّكَ تبدو لي ولدًا مُدَلَّلاً، عَصِيًّا عَلى الإصلاحِ.

لا! لنْ نستطيعَ التَّفاهُمَ إنْ بقيتَ عَلى هذه الشَّاكِلَةِ. فأنا لا أستطيعُ أنْ أطهوَ صِنفَينِ مِنَ الطَّعامِ أو ثلاثةَ أصنافٍ، لأنَّ هذا الشَّابَّ الصَّغيرَ لا يستطيعُ أنْ يأكلَها! فإذا كانتِ الصَّلصةُ لا تناسبُكَ والسَّلطةُ لا تعجبُكَ، فعليكَ أنْ تأكلَ المعكرونةَ. أمْ ترى يتوجَّبُ عليكَ أنْ تغسلَها هيَ الأُخرى، لأنَّكم تأكلونَها دونَ مِلْحٍ؟

لمْ يُجِبْ ليّل جوابًا، ولمْ تنتظرِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ منه أنْ يُجيبَ. لكنَّهُ اكتفى بأنْ أزاحَ باللُّعقةِ السَّلطةَ المكوّمةَ فوقَ المعكرونةِ، ونقلَها إلى طرفِ الطَّبقِ، وبدأَ يأكلُ المعكرونةَ. وكانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ قدْ شارفتْ على تناوُلِ ما في عُلبتِها الصَّغيرةِ مِنْ طَعامٍ.

ـ ماذا تأكلينَ يا تُرى؟ إنَّ هذا ليسَ صلصةَ البندورةِ. قالَ ليّل وهوَ ينتقي المعكرونةَ مِنْ طبقِه باستياءٍ.

ـ إنَّني آكلُ اللَّبنَ: اللَّبنَ مَعَ التوتِ، واللَّبنَ مَعَ التُّفاحِ. وقدْ مَزَجْتُهما معًا، إذا أردْتَ أنْ تعرفَ ماذا آكلُ عَلى وجهِ الدِّقَّةِ. ثُمَّ أضافتْ: إنَّ عَليَّ الانتباهَ إلى قَوامي، على العكسِ منكَ. فالمَعكرونةُ تسبِّبُ السِّمنةَ.

ـ هلْ أخذتِ اللَّبنَ مِنْ ثلّاجتِنا؟ أرادَ ليّل أنْ يسخرَ.

ـ بالطَّبعِ. لماذا؟ هلْ مِنْ غيرِ المَسموحِ أنْ آخذَ اللَّبنَ مِنَ الثَّلّاجةِ؟ تساءلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ وماذا فَعلتِ بأغطيةِ العُلَبِ؟ تساءلَ ليّل وهوَ في قمَّةِ التَّوتُّرِ.

ـ أيَّةَ أغطيةٍ تعني؟ سألتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ أغطيةُ عُلب اللَّبن. إنَّني بأمسِّ الحاجةِ للنُّقاطِ. صاحَ ليّل.

ـ أيَّةُ نقاط؟

ـ نقاطُ التَّجميعِ الَّتي توجدُ فوقَ الغِطاءِ. أينَ هيَ الأغطيةُ؟

ـ آه. أنتَ تَعني سدّاداتِ عُلبِ اللَّبنِ؟ إنَّها في سلَّةِ المُهملاتِ. أنا آسفةٌ فأنا لا أعلمُ أنَّ فوقَها نِقاطًا.

تركَ ليّل طعامَهُ، وهُرعَ صوبَ سلَّةِ المُهملاتِ وأخذَ يفتّشُ بينَ القُمامةِ عَنِ الأغطيةِ الَّتي توجدُ فوقَها نِقاطُ التَّجميعِ.

ـ ماذا تفعلُ هناكَ؟ يا للَقذارةِ! هلْ أنتَ مجنونٌ؟ صاحتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وقدْ هُرعتْ نحوَهُ، محاولَةً إبعادَهُ عَنْ سلَّةِ المُهملاتِ.

كانَ ليّل قدْ عثرَ في تلكَ الأثناءِ عَلى الغطاءينِ، وكانا مُلتصقينِ بالعبوةِ الَّتي كانتْ تحوي المعكرونَةَ، فقامَ ليّل بانتزاعِهما ودسِّهما في جيبِهِ عَلى الفورِ، قبلَ أنْ تتمكَّنَ السَّيِّدَةُ يعقوبُ مِنَ الحصولِ عَلَيهِما.

ـ (فيليب)، ارمِ القُمامةَ في الحالِ! صاحتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بتوتُّرٍ.

ـ إنَّها ليستْ قُمامةً. حاولَ ليّل أنْ يوضِّحَ لَها. إنَّها في الواقعِ...

ـ لا تعترضْ! أفرغْ ما في جيوبِكَ حالًا! قفْ مكانَكَ! ولا تتحرَّكْ والقذارةُ في جيبِكَ!

مدَّ ليّل يدَهُ في جيبِهِ، واستخرجَ ما كانَ فيها مِنْ أشياءَ، كانَ يحتفظُ بِها: غطاءُ علبةِ اللَّبنِ الَّتي تَناولَها في الصَّباحِ، وما عَليها مِنْ نِقاطٍ، ورقةُ (المِلَبِّسِ) الَّتي كانَ أرسلانُ قدْ أعطاها لَهُ، وغطاءُ العلبتينِ اللَّتينِ

استخرجَهُما مِنَ القُمامةِ. وبدلًا مِنْ أَنْ تدعهُ يقومُ بفصلِ الغطاءينِ قامتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بانتزاعِ كلِّ ما في راحَةِ يدِهِ، ثُمَّ مزَّقتهُ، وكوَّرتْهُ ورمتْ بِهِ في سلَّةِ المُهملاتِ.

ـ والآنَ اغسلْ يديكَ وأنتَ مكانَكَ، هلْ تسمَعُني؟ يا إلهي، إنَّ هذا أمرٌ مُقَزِّزٌ! أينَ الصّابونَ في المطبخِ؟ وكانَ وجهُها قدِ احمرَّ جرّاءَ الإثارةِ والتَّوتُّرِ.

ـ يا لَها مِنْ وقاحَةٍ! صاحَ ليّل في الوقتِ نفسِهِ. لقدْ رميتِ في سلَّةِ القُمامةِ بكلِّ شيءٍ؛ فقدْ كانَ في جيبي ورقةُ (المِلَيِّس)، ونقاطُ العلبةِ الَّتي تناولتُها في الصَّباحِ. لمْ يكنْ كلُّ شيءٍ قذرًا. لقدْ أضعتِ عليَّ ثلاثَ نِقاطٍ. ثلاثَ نُقاطٍ!

ـ هيّا اغسلْ يديكَ، واغسلْ أصابِعَكَ. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ تدفعُ ليّل إلى حوضِ الجَلي الخاصِّ بالمطبخِ، وتفتحُ صُنبورَ الماءِ بأصابِعِها، وتغسلُ يَديها. بعدَ ذلكَ أمسكتْ، وهيَ تشعرُ بالغَثيانِ، بيدي ليّل، وكانتْ حَذِرَةً تمامًا، حتّى لا تنقلَ البكتيريا إليها، فوضعَتْهُما أسفلَ صُنبورِ المياهِ، ولمْ تهدأْ إلّا بعدَ أنْ جَرى الماءُ فوقَهُما.

ـ هكذا همُ الأطفالُ! قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ ترتجفُ غضَبًا، وكانتْ في تلكَ الأثناءِ تقومُ بتنشيفِ يدَيّ ليّل بفوطةِ التَّنشيفِ الخاصَّةِ بالجَلي. ثُمَّ قالتْ:

ـ والآنَ يمكنُكَ أنْ تجلسَ، وتتناولَ طعامَكَ! ثُمَّ أضافتْ بقدرٍ مِنَ التَّسامُحِ: يمكنُكَ أنْ تضعَ بعضَ الزُّبدةِ أسفلَ المَكرونةِ، حتّى لا تظلَّ جافَّةً.

ـ لا. شكرًا. لمْ أعُدْ أشعرُ بالجوعِ. ردَّ ليّل الَّذي تركَ السَّيِّدَةَ يعقوبَ وحدَها في المطبخِ، وصَعِدَ إلى غرفتِهِ، واستلقى فوقَ السَّريرِ.

وضعَ ليلى يديهِ تحتَ رأسهِ، وأخذَ يحدّقُ في سقفِ الغرفةِ:

ـ لقدْ أضاعتْ ثلاثَ نقاطٍ، ورمتْ بها في سلّةِ المهملاتِ.

كانَ يشعرُ بالغضبِ الكبيرِ. فقرّرَ أنْ يذهبَ عندَ العصرِ إلى السّيّدةِ يَشكي، ويحكيَ لها كلَّ شيءٍ. فلا شكَّ أنّها ستتفهّمُ مشاعرَهُ، فهيَ الأخرى تجمعُ النّقاطَ، وتعرفُ طولَ المدّةِ الّتي يحتاجُها المرءُ ليتمكّنَ مِنْ جَمْعِ مئةِ نُقْطَةٍ.

الفَصْلُ الثّامنُ
لُقْيةٌ على غيرِ تَوَقُّعٍ

استطاعتْ فكرةُ الذّهابِ إلى السّيّدةِ يشكي أنْ تهدّئَ مِنْ روعِ ليلى، فتراجعَ غضبُهُ قليلاً، وأخذَ يشعرُ بالأسفِ لأنّهُ لمْ يتناولْ طبقَ المعكرونةِ.

اضطجعَ ليلى على جانبِهِ، فسمعَ صوتَ حفيفٍ تحتَ غطاءِ السّريرِ، رفعَ الغطاءَ فوجدَ على أعلى المِخدّةِ قُصاصةَ ورقٍ كُتِبَ عليها:

«مرحبًا يا ليلى. مساءُ الخيرِ».

كانَ ذلكَ خطَّ والدِهِ دونَ أدنى رَيبٍ. إنّها رسالةٌ مِنْ أبيهِ! كانَ مِنَ المؤكّدِ أنّهُ سيعثرُ عليها في المَساءِ، عندما يذهبُ إلى سَريرِهِ لينامَ.

أمّا وقدْ عثرَ عليها الآنَ، فلا بأسَ، إذا ما قامَ بقراءتِها. فاستمرَّ يقرأُ وهوَ يشعرُ بالإثارةِ:

«تُرى كيفَ مَضى اليومُ الأوّلُ مِنْ دونِنا؟ مِنَ المؤكّدِ أنّهُ ليسَ رديئًا، مثلَما كنتَ قدْ تخيّلتَ».

ـ أتعرفُ ما حلَّ بي؟ همسَ ليلى وواصلَ القراءةَ، فقدْ كانتِ القُصاصةُ

تحتوي على جملةٍ أخرى:

«إنّني أُراهنُ أنّكَ تتأمّلُ المزهريّةَ في هذه اللّحظةِ!».

لا تحيّةَ ولا وداعَ. غريبٌ! عَنْ أيّ مزهريّةٍ يتحدّثُ أبي؟ ولمْ يكنْ غيرُ مزهريّةٍ واحدةٍ في غرفةِ ليّل، موضوعةً على حافّةِ النّافذةِ.

قفزَ ليّل مِنَ السّريرِ، وتناولَ المزهريّةَ مِنْ حافّةِ النّافذةِ، وقلّبها، فسقطتْ مِنْ داخلِها قُصاصةٌ ملفوفةٌ، فقامَ ليّل عَلى الفورِ بفتحِها، كي يتمكّنَ مِنْ قراءةِ ما بداخلِها:

«تُرى هلْ ربحتُ الرّهانَ؟ أمّا وجبةُ «تصبحُ على خيرٍ» فستعثرُ عليها في جيبِ (روبِ) الحَمّامِ الخاصِّ بكَ. بعدَها قمْ بتنظيفِ أسنانِكَ! بالمناسبةِ هلْ لاحظتَ لماذا صارتْ غرفتُكَ أكثرَ ظلامًا مِنْ ذي قبلُ؟؟ تصبحُ على خيرٍ. أبوكَ».

فتّشَ ليّل في جيبِ (روبِ) الحمّامِ، فعثرَ على قطعةٍ صلبةٍ، مربّعةِ الأبعادِ مِنَ الشّوكولاتةِ، فقامَ باستخراجِها. كانتْ شوكولاتةٌ بالحليبِ مملوءةً بالبُندقِ، وهيَ الشّوكولاتةُ الّتي يفضّلُها!

أخرجَ الشّوكولاتةَ مِنَ الورقِ الفضيِّ الملفوفةِ بهِ، ووَضعَ في فمِهِ مربّعًا مِنْ تلكَ القطعةِ. ثُمّ تمدّدَ عَلى السّريرِ مِنْ جديدٍ، دونَ أنْ يشعرَ هذهِ المرّةَ بالغضبِ، بلْ عَلى العكسِ مِنْ ذلكَ شعرَ بشيءٍ مِنَ الارتياحِ.

ترى ما الّذي كانَ يعنيهِ والدُهُ بأنّ غرفتَهُ صارتْ أكثرَ ظلامًا مِنْ ذي قبلُ؟

لقدْ كانتِ الغرفةُ مملوءةً بالإضاءةِ تمامًا، كما هو الحالُ في فترةِ ما بعدَ الظُّهرِ.

لكنّ الرّسالةَ هذهِ مكتوبةٌ لكي تُقرأَ عندَ المَساءِ. عندَها ستكونُ الغرفةُ مظلمةً، ويكونُ المِصباحُ الكهربائيُّ قدْ أُضيءَ.

قفزَ ليّل مجدّدًا مِنَ السّرير، وهزَّ غطاءَ المِصباح. كانَ المصباحُ الكهربائيُّ معلّقًا على نحو يشبهُ غطاءَ العلبةِ المفتوحةِ. كانَ في داخلِ العلبةِ شيءٌ أسودُ مُرَبّعُ الشّكلِ، يمكنُ للمرءِ أنْ يراهُ بوضوحٍ عندما يُضيءُ المصباحَ.

صَعِدَ ليّل فوقَ طاولةِ الكتابةِ، وأمسكَ بغطاءِ المِصباحِ مِنَ الأعلى، فشارَفَ على أنْ يُمسكَ بذلكَ الشّيءِ الّذي قامَ أحدُهم باخفائهِ هنا. كانَ ذلكَ الشّيءُ كتابًا أو كتابَ جَيْبٍ كما يُسمّى، وعنوانُهُ: «حكاياتٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ».

وكانتْ صورةُ الغلافِ تعِدُ بحكاياتٍ مملوءةٍ بالمتعةِ والإثارةِ: فعلى الغلافِ صورةٌ لرجالٍ في أزياءَ شرقيّةٍ أثناءَ رحلةِ صَيدٍ.

استلقى ليّل للمرّةِ الثّالثةِ فوقَ السّريرِ، ووضعَ في فمِهِ باستمتاعٍ

قطعةً كبيرةً مِنَ الشوكولاتةِ، وشرعَ بتقليبِ الكتابِ. سقطتْ قصاصةُ ورقٍ مِنْ داخلِهِ، وكانتْ بخطِّ والدتِهِ هذهِ المرَّةَ:

«عزيزي ليّل. هذا الكتابُ مِنْ أجلِ أنْ تقرأَ فيهِ. وقدْ بحثتُ طويلاً حتّى تمكّنتُ مِنَ العثورِ على شيءٍ شرقيٍّ، آملةً أنْ ينالَ إعجابَكَ. لكنْ عليكَ أنْ تعدَني بقوّةٍ، أنّكَ ستطفئُ النّورَ في غرفتِكَ بعدَ نصفِ ساعةٍ. مُوافقٌ؟».

ـ طبعًا. سأتقيّدُ بذلكَ. قالَ ليّل وهوَ يضحكُ بسعادةٍ، ثُمَّ أردفَ قائلاً: أعدُ بقوّةٍ أنّني سأطفئُ النّورَ خلالَ نصفِ ساعةٍ. فالمصباحُ الكهربائيُّ ما يزالُ إلى الآنَ مضاءً، وسأقومُ بعدَ نصفِ ساعةٍ لإطفائِهِ، ثُمَّ أستلقي، وأقرأُ حتّى المساءِ.

«جميلٌ أنْ تتقيّدَ بذلكَ. أرجو لكَ نومًا سعيدًا. ولكَ مِنْ أُمّكَ ألفُ قُبلَةٍ وَقبلَةٍ». هكذا كانتْ خاتمةُ الورقةِ.

أعادَ ليّل القُصاصةَ إلى داخلِ الكتابِ، وتناولَ قطعةً أخرى مِنَ الشوكولاتةِ، ودسّها في فمِهِ، وشرعَ يُقلّبُ الكتابَ.

لاحظَ أنَّ الكتابَ مليءٌ بالحكاياتِ، وأنَّ شهرزادَ هيَ الّتي تحكيها. كما لاحظَ أنّها تنتهي جميعًا بجملةِ «ثُمَّ أدركَ شهرزادَ الصّباحُ فسكتتْ عَنِ الكلامِ المُباحِ». وهذا يَسري على جميعِ الحكاياتِ.

أمّا عناوينُ الحكاياتِ فمثيرةٌ وواعدةٌ بقصصٍ ممتعةٍ:

«حكايةُ ملكةِ الأفاعي» أو «حكايةُ البَحّارِ سندبادَ» أو حكايةُ «مَكْرِ النِّساءِ» أوْ عنْ «الملكِ وابنِهِ»...

قرّرَ ليّل أنْ يبدأَ بحكايةِ ملكةِ الأفاعي، فدسَّ قطعةً مِنَ الشوكولاتةِ في فمِهِ، فوقَ السّريرِ، واضعًا رأسَهُ فوقَ المخدّةِ. وهذا يعني أنّهُ سيبدأُ

بالقراءةِ، لكنَّ بابَ غرفتِهِ مفتوحٌ، ويمكنُ للسَّيِّدَةِ يعقوبَ أنْ تراهُ.

ـ يا لَلمصيبَةِ! قالَ غاضبًا، ثُمَّ شرعَ يخاطبُ نفسَهُ: الآنَ صرتُ أعرفُ لماذا لا تشعرُ بالجوعِ. فأنتَ لا تستطيعُ أنْ تتذوَّقَ حساءَ البندورةِ، أمّا السَّلطةُ فكانتْ حلوةَ المذاقِ، في حينِ كانتِ المعكرونةُ مالحةً جدًّا. الشوكولاتةُ وحدَها هيَ الرائعةُ المذاقِ. لهذا لمْ تحتجْ إلى طعامِ الغداءِ بطبيعةِ الحالِ، وتستطيعُ أنْ تظلَّ واقفًا في المطبخِ لساعاتٍ طويلةٍ وأنتَ تطبخُ.. بعدَ ذلكَ جلسَ ليبّل عَلى السَّريرِ ووضعَ الكتابَ جانبًا. كانَ يبدو متوعّجًا، ويشعرُ كأنَّ أحدًا ضبطَهُ متلبّسًا. لقدْ كانتِ الشوكولاتةُ مخصصةً للمساءِ. فكيفَ سيفسّرُ هذا الّذي حدثَ؟

ـ ولكنْ لماذا تدعُ النورَ مشتعلًا في وضحِ النّهارِ. إنَّ النورَ في أرجاءِ المكانِ،

فلماذا هذا الهَدْرُ للطّاقةِ؟ قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ ذلكَ وهيَ تُطفئُ النّورَ.

ـ لقدْ كانَ يتوجَّبُ عَليَّ أنْ أطفئَ النّورَ، هذا صحيحٌ. قالَ ليبّل ذلكَ، وهوَ يعتذرُ ثُمَّ أضافَ: لقدْ وعدْتُ أنْ أطفئَ النّورَ خلالَ نصفِ ساعةٍ.

ـ وعدْتَ. تساءلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، ثُمَّ أضافَتْ: وَعَدْتَ مَنْ؟

ـ لقدْ وَعَدْتُ والِدتي.

ـ ماذا وعدتَها؟

ـ وعدتُها أنْ أطفئَ النّورَ خلالَ نصفِ ساعةٍ. ردَّ ليبّل محاولًا إيضاحَ الأمرِ.

ـ أتريدُ أنْ تهزأَ بي؟ قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ غاضبَةً: أيُّها الشّابُّ العزيزُ، لقدْ جئتُ إلى هنا بكثيرٍ مِنَ النّوايا الحسنَةِ، مَعَ أنَّ والِدَيكَ لمْ يدفعا لي مبلغًا

كبيرًا. لكنّني لَنْ أسمحَ لطفلٍ مُدَلَّلٍ أنْ يضحكَ عليَّ. أعطِني الكتابَ في الحالِ، واجلِسْ أمامَ طاولتِكَ. فقدْ وعدتُ والديكَ أنْ أهتمَّ بواجباتِكَ المدرسيّةِ، وكانَ ذلكَ وَعْدًا حقيقيًّا، وليسَ وعدًا مُختَرَعًا. أتفهَمُني؟

ـ أنا لمْ أخترعْ وَعدي، كنتُ أغني... أكّدَ ليّل.

ـ توقّفْ عَنِ الحديثِ، وأعطِني الكتابَ، وقُمْ! قاطَعتْهُ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ هلْ تسمحينَ ـ هلْ تسمحينَ لي بأنْ أحتفظَ بالكتابِ؟ لنْ أقرأَ فيهِ. سأضعُهُ تحتَ المِخدَّةِ، وعندئذٍ سيختفي. كانَ ليّل يتحدَّثُ بسرعةٍ، وبعدَ ذلكَ قامَ بتخبئةِ الكتابِ تحتَ غطاءِ السَّريرِ.

ـ مُوافقةٌ. أجابتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بحنانٍ. ما هيَ واجباتُكَ لهذا اليومِ؟

ـ الرّياضياتُ واللُّغةُ الألمانيّةُ.

ـ إذن، هيّا ابدأْ بتحضيرِ الواجباتِ!

قفزَ ليّل عَنِ السَّريرِ، وجلسَ إلى مكتَبِهِ، وتناولَ حقيبَتَهُ المدرسيّةَ عَنِ الأرضِ وبدأَ يفتّشُ عَنْ دفترِ الرّياضيّاتِ.

بقيَتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ إلى جانبِهِ وهوَ يفتحُ الدَّفترَ عَلى مَضضٍ، ويتناولُ القلمَ مِنَ الحافظةِ، ويشرعُ بالحسابِ.

ـ سأراجعُ النّاتجَ في ما بعدُ. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بعدَ فترةٍ، وغادرتِ الغرفةَ.

حلَّ ليّل مسألتَينِ حسابيّتينِ دونَ رَغبةٍ. بعدَها تسلَّلَ نحوَ البابِ، وأرهفَ السَّمعَ، فلمْ يسمعْ للسَّيِّدَةِ يعقوبَ أيَّةَ حركةٍ. فتحَ البابَ بحذرٍ، فسمعَ صوتَها في الطّابقِ السُّفليِّ وهيَ تُجري مكالمةً هاتفيَّةً.

استخرجَ ليّل كتابَهُ مِنْ تحتِ المِخدّةِ، وجلسَ إلى مكتبِهِ الدّراسيِّ.

وعندَما تأمَّلَ الأمرَ بدقّةٍ، تبيّنَ لهُ أنَّ حِكايةَ مَكرِ النِّساءِ أكثرُ مناسبةً لمُقتضى الحالِ مِنْ ملكةِ الأفاعي. صحيحٌ أنَّهُ لا يعرفُ مَدلولَ كلمةِ «مَكْر»، لكنَّ هذا المَدلولَ ليس إيجابيًّا في كلِّ الأحوالِ. عثرَ على الحكايةِ في اللَّيلةِ الثّامنةِ والسَّبعينَ وخمسِ مِئةٍ، وبدأَ يقرأُ:

«كانَ يعيشُ في قديمِ الزَّمانِ، وفي سالفِ العَصْرِ والأوانِ، ملكٌ كانَ لَهُ عَلى رعيَّتِهِ عظيمُ السُّلْطانِ، وكانَ كثيرَ الجنودِ، يقفُ الحَرَسُ بينَ يديهِ كالسُّدودِ. وكانتْ لهُ الهيبةُ والجَلالُ، مَعَ حُسْنِ الفِعالِ وكثرةِ المالِ. لكنَّ المَلِكَ أمضى مِنْ حياتِهِ السِّنينَ الطِّوالَ، دونَ أنْ يرزقَهُ اللّهُ بنجلٍ مِنَ الأنجالِ. وهنا..» في هذهِ اللَّحظةِ فُتحَ البابُ، ودخلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بسرعةٍ. دسَّ ليثل الكتابَ بسرعةِ البرقِ في حقيبتِهِ المدرسيَّةِ، لكنَّها كانتْ قدْ شاهدَتْهُ.

وضعتْ يدَيها عَلى خصرِها، وانحنتْ عدَّةَ مرّاتٍ (وكانتْ تريدُ عبرَ هذهِ الحركاتِ أنْ تُعبرَ أنَّ هذا الّذي تخيَّلتهُ يحدثُ بدقَّةٍ). ثُمَّ قالتْ:

ـ أنتَ لمْ تحافظْ عَلى الثِّقةِ الَّتي منحتُكَ إيّاها. ثُمَّ مدَّتْ ذراعَها وقالتْ باختصارٍ: هاتِ الكتابَ.

فأعطاها الكتابَ بتردُّدٍ.

ـ لنْ تقرأَ اليومَ حرفًا واحدًا في هذا الكتابِ. كُنْ واثقًا مِنْ ذلكَ!

قالتْ ذلكَ بوجهٍ عابسٍ وهيَ تضعُ الكتابَ تحتَ إبطِها.

ـ ألنْ تسمحي لي أنْ أقرأَ فيهِ مساءً، بعدَ أنْ أُنهيَ واجباتي المدرسيَّةَ؟ سألَها ليلى.

ـ لنْ أسمحَ لكَ بالقراءةِ فيهِ مساءً. ردَّتْ بحزمٍ وهيَ تغادرُ الغرفةَ.

الفَصْلُ التّاسِعُ
المَخْبَأُ المُكْتَشَفُ

عندَ العشاءِ، كانَ هناكَ رقائقُ مِنَ الخبزِ المدهونِ.

وقدْ تناولَ ليلى قطعتَينِ مِنَ الخبزِ المدهونِ باللَّبنةِ، وقطعتَينِ مِنَ الخبزِ بالثُّقانقِ، كَيْ يُظهرَ نواياهُ الحسنةَ ولطفَهُ للسَّيِّدةِ يعقوبَ (لأنَّهُ لمْ يكنْ يأكلُ سوى قطعتَينِ في العادةِ).

بدتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ سعيدةً بهذا، وعلَّقتْ بصوتٍ مليءٍ بالارتياحِ:

ـ لعلَّهُ يمكنُنا أنْ نتفاهمَ، حتّى لو بدا التَّفاهُمُ بيننا عصرَ هذا اليومِ غيرَ ممكنٍ.

وكانَ ليّل يقومُ في تلكَ الأثناءِ بتنشيفِ ما تمَّ تنظيفُهُ مِنْ أواني المطبخِ. فأردفتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ قائلةً:

ـ ويبدو أنَّ طعامَ العشاءِ قد نالَ إعجابَكَ. فهوَ ليسَ بحلو ولا بمالح.

ـ أَجَلْ، أَجَلْ. أكّدَ ليّل. ونظرًا لأنَّهُ كان يرى أنَّ الفرصةَ مؤاتيةٌ، تساءلَ وهو يوجِّهُ حديثَه إلى السَّيِّدَةِ يعقوبَ:

ـ هل تسمحينَ لي بأنْ أقرأَ قليلاً في الكتابِ؟ نصفَ ساعةٍ فقط. فضحكتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وقالتْ:

ـ آه. لهذا السَّببِ تبدو على استعدادٍ للمساعدةِ والتَّعاونِ. لكنَّني كما قلتُ لكَ لنْ أسمحَ لكَ بالقراءةِ اليومَ. أمّا عندما تقومُ غدًا بحلِّ واجباتِكَ البيتيَّةِ، فسأسمحُ لكَ عندَها بالقراءةِ.

ـ وهلْ يتوجَّبُ عليَّ الذَّهابُ إلى السَّريرِ الآنَ، فنحنُ في السَّابعةِ مساءً. تساءلَ ليّل.

ـ تستطيعُ أنْ تشاهدَ (التَّلفزيون) قليلاً، وتذهبَ في الثَّامنةِ إلى سريرِكَ. أجابتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

جَلَسا في غرفةِ المعيشةِ، وشاهدا برامجَ ما قبلَ فترةِ السَّهرةِ في (التلفزيون). وقد عَرضَ برنامجَ «بلادُنا» في حلقتِهِ (التَّلفزيونيَّةِ) تلكَ، صورةَ (لفندل شتاين) [وهيَ قريةٌ تقعُ في جنوبِ ألمانيا، وفي ولايةِ باڤاريا تحديدًا].

كانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، عَلى النَّقيضِ مِنْ ليّل، تبدو مملوءةً بالإعجابِ.

إنَّ ليّل لا يكرهُ الجبالَ، لكنَّهُ يفضِّلُ تسلُّقَها عَلى مشاهدتِها في برنامجِ (تلفزيونيٍّ) مُسَلْسَلٍ؛ لذا كانَ يجلسُ وهوَ يشعرُ بالملَلِ. فجأةً اكتشفَ أنَّ السَّيِّدَةَ يعقوبَ قدْ خبَّأتْ كتابَهُ فوقَ الخزانةِ الموجودةِ في غرفةِ المعيشةِ.

كانَ الملـلُ يطـاردُهُ، وهـوَ يفكّـرُ كيفَ يمكنُـهُ أنْ يظفـرَ بالكِتابِ مِـنْ جديدٍ. وكانَ يتوجَّـبُ عَليـهِ، قبـلَ كُلِّ شيءٍ، أنْ يتمكَّـنَ مِـنْ إخـراجِ السَّـيِّدَةِ يعقـوبَ مِنَ الغرفـةِ. ولكـنْ كيفَ؟

وبينـما كانَ ليَيْـل يفكّـرُ بالأمـرِ، وجـدَ المسـألةَ قـدْ حُلَّـتْ تلقائيًـا. فقـدْ سـألَتْهُ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ، وقـدْ نهضَـتْ:

ـ ألا يوجدُ في المنزلِ فُسْتُقٌ أو بعضُ أنواعِ الكَعكِ المُمَلَّحِ؟

ـ بَلى، إنَّها في الجانبِ العُلويِّ الأيمنِ مِنْ خزانةِ المطبخِ.

ردَّ ليَيْـل بسرعـةٍ وهـوَ يحبـسُ أنفاسَـهُ خوفًـا مِـنْ أنْ تكلِّفَـهُ بالذَّهـابِ إلى المطبـخِ، وإحضـارِ تلـكَ الأشـياءِ. لكنَّهـا ذهبـتْ بنفسِـها، ومـا إنْ خرجَـتْ حتّـى وقـفَ ليَيْـل عَـلى أطـرافِ أصابعِـه، وتنـاولَ الكتـابَ، وخبّـأهُ تحـتَ (كَنزتِـهِ).

وعندمـا رجعـتِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ إلى الغرفـةِ، وجـدتْ ليَيْـل جالسًـا فـوقَ (الكَنَبَـةِ)، وهـوَ في غايـةِ الهـدوءِ، لكـنَّ قلبَـهُ كانَ ينبـضُ بصـوتٍ عـالٍ، حتّـى خَـشِيَ أنْ تلحـظَ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ ذلـكَ. لكنَّهـا لَمْ تلحـظْ شـيئًا.

بقـيَ ليَيْـل جالسًـا، مِـنْ بـابِ الحَـذَرِ، حتّـى السّـاعةِ الثّامنـةِ، وأبـدى شـيئًا مِـنَ الاعـتراضِ عندمـا طلبـتْ إليـهِ السَّـيِّدَةُ يعقـوبُ أنْ يذهـبَ إلى سريـرِه لينـامَ، فقـدْ كانَ حريصًـا عَـلى ألّا يُثـيرَ الرِّيبـةَ؛ لأنَّ الأطفـالَ الَّذيـن يذهبـونَ إلى أسرَّتِهـم طواعيـةً، دونَ إبـداءِ اعـتراضٍ، يُثـيرونَ الرِّيبـةَ.

فقالتِ السَّـيِّدَةُ يعقوبُ بحَزْمٍ:

ـ الاعتراضـاتُ غـيرُ مسـموحةٍ، عليـكَ أنْ تذهـبَ الآنَ إلى الحـمّامِ، ثـمَّ بعـدَ ذلـكَ إلى سريـرِكَ! وسـأجيءُ لأراكَ بعـدَ ربـعِ سـاعةٍ، لأطمئـنَّ أنَّـكَ في سريـرِك. وهكـذا غـادرَ ليَيْـل الغرفـةَ ببـطءٍ، وهـو يتصَنَّـعُ التَّذمُّـرَ، إلى الطابـقِ

العُلويّ، مَعَ أنّه كانَ يودُّ لو يصعدُ الدَّرجَ بسرعةٍ خاطفةٍ.

وعندما صَعِدَتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بعدَ خمسَ عشرةَ دقيقةً إلى غرفةِ ليّل، وجدَتْهُ قد استحمَّ، ونظّفَ أسنانَهُ، واستلقى في سريرِهِ، ثمَّ خاطَبَها بصوتٍ مملوءٍ بالرَّغبةِ في النَّومِ: «تصبحينَ على خيرٍ».

ـ تصبحُ على خيرٍ. إلى اللِّقاءِ غدًا صباحًا. ردّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وهيَ تطفئُ النّورَ في الغرفةِ، وتغلقُ بابَها.

انتظرَ ليّل ما يقربُ مِنْ خمسَ عشرةَ دقيقةً، بعدَها قفزَ عَنْ سريرِهِ، وتأبّطَ كتابَهُ وذهبَ، حافيَ القدمَينِ، إلى المخبأِ الّذي اعتادَ القراءةَ فيهِ. فتحَ البابَ، وتسلّلَ بِحَذَرٍ، ثُمَّ أغلقَ البابَ وراءَهُ بالمِفتاحِ، وأشعلَ المِصباحَ الكهربائيَّ، وجلسَ، مستمتعًا، فوقَ القاربِ الجلديِّ. وبعدَ أنْ رشفَ رشفةً كبيرةً مِنْ عصيرِ اللّيمونِ، أسندَ ظهرَهُ إلى الحائطِ، وشرعَ يقرأُ.

أعادَ ليّل قراءةَ الأسطرِ الأولى مِنَ الحكايةِ، الّتي تحكي عَنِ الملكِ الّذي ظلَّ يتمنّى أنْ يرزقَهُ اللّهُ بولدٍ ليكونَ وليَّا لعهدِهِ. وقدْ دعا هذا الملكُ اللّهَ تعالى، وتوسّلَ إليهِ كي يمنحَهُ هذا الولدَ، فاستجابَ اللّهُ لدعائِهِ، ورزقَهُ صبيًّا جميلاً شبيهًا بالبَدْرِ في أوانِ اكتمالِهِ.

هنا توقّفَ ليّل عَنِ القراءةِ، وأصاخَ السَّمْعَ، فقدْ خُيِّلَ إليهِ أنّهُ سمعَ حركةً في الخارجِ، لكنّهُ أخطأَ بالتّأكيدِ، فالسَّيِّدَةُ يعقوبُ تستطيعُ أنْ تنظرَ مِنَ الأسفلِ إلى غرفتِهِ؛ لتتأكّدَ إنْ كانَ النّورُ فيها مضاءً أم غيرَ مُضاءٍ. فاستمرَّ يقرأُ:

«وقدْ كَبِرَ هذا الصبيُّ، حتّى بلغَ سنَّ الخامسةِ. وقدْ كانَ في حاشيةِ الملكِ رَجُلٌ حكيمٌ، يُعدُّ مِنْ كِبارِ العُلماءِ، ويُدْعى (سندباذ). فقامَ الملكُ،

وأعطاهُ الصَّبيَّ.

وعندَما بلغَ ذلكَ الصَّبيُّ سِنَّ العاشرةِ، كانَ هذا الرَّجُلُ الحكيمُ قدْ أحسنَ تعليمَهُ وتهذيبَهُ، فلمْ يوجَدْ شبيهٌ للملكِ الأميرِ في العِلْمِ والتَّربيةِ والفَهمِ.

وجريًا على ما فعلهُ جدُّهُ مَعَ والِدِهِ، أحضرَ المَلِكُ كوكبةً مِنْ أحسنِ فُرسانِ العَرَبِ؛ ليعلِّموا ابنَهُ الفروسيَّةَ. وفي أحدِ الأيامِ قالَ سِندبادُ الحَكيمُ إنّي أشعرُ أنَّ ثَمَّةَ مصيبةً قادمةً تسيرُ نحوَ الأميرِ، وهيَ ستحُلُّ بهِ إذا تفوَّهَ في الأيامِ السَّبعةِ القادمةِ، بكلمةٍ واحدةٍ، فهُرِعَ إلى الأميرِ، وحلَّفَهُ أنْ يَصْمتَ طيلةَ الأيامِ السَّبعةِ القادمةِ حتّى ينجوَ بحياتِهِ. فوافقَ الأميرُ، وصامَ عَنِ الكَلامِ.

وقدْ تَرامى إلى مسامعِ الملكِ أنَّ ابنَهُ يرفضُ الكَلامَ، ولا يقبلُ أنْ يفوهَ بكلمةٍ، فأرسلَ يستدعيهِ، ولَمّا جاءَهُ سألَهُ عَنْ دَلالَةِ هذا الصَّمتِ. لكنَّ الأميرَ بَقِيَ صامتًا، ولمْ يتفوَّهْ ببنتِ شَفَةٍ.

شعرَ الملكُ بالحيرةِ، وأمرَ بإدخالِ ولدِهِ إلى المقصورةِ الخاصَّةِ، وطلبَ أنْ يُعامَلَ بوصفِهِ مريضًا.

في هذهِ اللَّحظةِ جَرى هزٌّ بابِ المخبأِ، حيثُ يجلسُ ليّل، وكانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تقفُ خلفَ البابِ:

ـ أأنتَ هنا! ما الَّذي تفعلُه هاهُنا يا تُرى؟ لقدْ فتشتُ عنكَ في أرجاءِ المنزلِ كافَّةً، وظننتُ أنَّك... (في هذهِ اللَّحظةِ اكْتَشَفَتْ أنَّ الكتابَ بينَ يَدي ليّل). هذه، هذه، في الواقعِ، هيَ الذُّروةُ! (قالتْ ذلكَ وهيَ تنفضُ). الآنَ أدركتُ كلَّ شيءٍ بوضوحٍ. لقدْ أخذتَ الكتابَ واختبأتَ هاهنا. يا لَهَا مِنْ وقاحةٍ! لقدْ جعلتَ الرُّعبَ يدُبُّ في أعماقي! ولو

كنتَ ابنًا لي، كنتُ.. (وهنا رَفَعَتْ السَّيِّدَةُ يعقوبُ كفَّها عاليًا وكأنَّها تهمُّ بصفعِهِ. أمَّا ليّل فكانَ في غايةِ الفرحِ لأنَّه ليسَ ولدَها).

ـ هيّا ناوِلْني الكتابَ، وتوجَّهْ، في الحالِ، إلى سريرِكَ. أمرَتْهُ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ناوَلَها ليّل الكتابَ، وتسلَّلَ مِنْ جانبِها عائدًا إلى غرفتِهِ، حيثُ استلقى فوقَ سريرِهِ، فتبعَتْهُ إلى هناكَ، لا لتقولَ لهُ: «تصبحُ على خيرٍ»، بلْ لتخبرَهُ بصوتٍ مليءٍ بالتَّهجُّمِ:

ـ لنْ ترى هذا الكتابَ ثانيةً، حتّى يعودَ والداكَ مِنَ السَّفَرِ، بعدَها يستطيعانِ أنْ يفعلا ما يشاءانِ، لكنَّكَ لَنْ تراهُ وأنا هنا، لنْ تَراهُ مطلقًا.

ثمَّ أغلقتِ البابَ، وتركَتْهُ وحيدًا.

فاستلقى ليّل فوقَ السَّريرِ وهوَ يشعرُ بالألَمِ.

كانَ الغضبُ قدْ بلغَ مبلغَهُ لدى السَّيِّدَةِ يعقوبَ، فقرّرتْ ألّا تتراجعَ عَنْ قرارِها. فالكتابُ لنْ يعودَ إلى ليّل لا غدًا ولا بعدَ غدٍ. كانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ مقتنعةً بصوابِ ما أقدمتْ عليهِ.

وكانَ ليّل في تلكَ اللَّحظاتِ يتحرَّقُ ليعرفَ كيفَ سارتْ حكايةُ ذلكَ الأميرِ الصّامتِ!

فهلْ كانَ في مقدورِ الأميرِ أنْ يُمضيَ أسبوعًا كاملًا وهوَ يلتزمُ الصَّمتَ؟

هنا قرَّرَ ليّل أنْ يستمرَّ بحلُمِ حتّى يعرفَ تفصيلاتِ الحكايةِ. وهوَ أمرٌ غيرُ ممكنٍ إلّا إذا ظلَّ منشغلًا بالحكايةِ طيلةَ النَّهارِ حتّى لحظةِ الذَّهابِ إلى النَّومِ مِنْ غيرِ أنْ ينشغلَ بأشياءَ أخرى. لكنَّ هذا الأمرَ غيرُ سَهْلٍ. فلا بدَّ أنْ ينشغلَ فِكْرُ ليّل بأشياءَ كثيرةٍ في هذه الأثناءِ: بالسَّيِّدَةِ يعقوبَ، وبوالديهِ، وبالقادمَيْنِ الجديدينِ إلى غرفةِ الصَّفِّ.

لكنَّ ليّل أغفى وسرعانَ ما نامَ.

الفَصْلُ العاشِرُ
شَيْءٌ عَنِ الحِلْمِ وَالحالِمِينَ

ويحسُنُ قبلَ أَنْ نتحدَّثَ عَنِ الحلمِ الَّذي رآهُ ليتل في هذه اللَّيلةِ أَنْ نبدأَ الحديثَ عَنِ الأحلامِ عُمومًا.

فهناكَ مَنْ يزعُمونَ جدَلًا، أنَّهم لا يحلمونَ أبدًا، ومنهُمْ والدُ ليتل مثلًا. فقدْ ظَلَّ يكرِّرُ دائمًا:

«لقدْ نمتُ اللَّيلةَ بعُمقٍ، دونَ أحلامٍ».

أمَّا أنَّهُ نامَ بعمقٍ، فذلكَ أمرٌ ممكِنٌ، أمَّا أنْ يكونَ قدْ نامَ دونما أحلامٍ فهذا ما لا يحدثُ. فكلُّ إنسانٍ لا بُدَّ أنْ يحلمَ أثناءَ النَّومِ.

غيرَ أنَّ النَّاسَ مختلفونَ في هذا الأمرِ، فبعضُهُمْ ينسى ما حلَمَ بِهِ على الفورِ، ويظنُّونَ في الصَّباحِ أنَّهم لَمْ يحلموا في اللَّيلِ على الإطلاقِ.

وهناكَ أناسٌ يستطيعونَ أنْ يتذكَّروا عندَ استيقاظِهِمْ مِنَ النَّومِ جميعَ التَّفصيلاتِ الَّتي رأَوها في أحلامِهم. وكانَ ليتل واحدًا مِنْ هذا الصِّنفِ مِنَ البَشَرِ، فهوَ كثيرُ الأحلامِ إلى الحدِّ الَّذي لا يستطيعُ مَعَهُ أنْ يفرِّقَ في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ بينَ الحلمِ والواقعِ.

وهو لا يُعاني مِنَ الصُّعوباتِ مَعَ بعضِ الذِّكرياتِ:

فعندما يتذكَّرُ ليتل بوضوحٍ سِرْبًا مِنَ الفيَلةِ الخُضرِ الصَّغيرةِ، أو دجاجةً لَها عجلةٌ أماميَّةُ الدَّفعِ، أو مُراقبةَ سَيْرٍ ذاتَ رأسينِ، يعي في الحالِ أنَّ هذه الذِّكرياتِ تعودُ إلى ذلكَ النَّوعِ مِنَ الأحلامِ المجنونةِ.

لكنَّ الأمرَ كانَ يبدو أكثرَ صعوبةً بخصوصِ الذِّكرياتِ المتعلّقةِ بالأشياءِ العاديّةِ، كالنّاسِ الّذينَ سبقَ لهُ أنْ عرفَهُم، أو التّجاربِ الّتي سبقَ لهُ أنْ مرَّ بها. هنا تختلطُ عليهِ الأمورُ فلا يَدْري إنْ كانتْ ذكرياتٍ حقيقيّةً أو ذكرياتٍ تنتمي إلى عالَمِ الحُلُمِ.

فقدْ جلسَ، ذاتَ مرّةٍ، طويلاً في أحدِ أحلامِه كي يقومَ بأداءِ الواجباتِ المنزليّةِ، ثُمَّ جاءَ اليومُ التّالي فذهبَ إلى المدرسةِ وهوَ يظنُّ أنّه قامَ بحلِّ التّمارينِ المطلوبةِ بدقّةٍ، ليُفاجَأَ بأنّهُ حلَّها في الحلمِ لا في الواقعِ.

وقدِ اضطُرَّ ذاتَ مرّةٍ أنْ يسألَ أمَّهُ:

ـ هلْ جاءَتْنا في الأسبوعِ الماضي رسالةٌ مِنْ جَدّي وجدّتي مِنْ أُستراليا أو أنّني قدْ حلمتُ بذلكَ؟

ويستطيعُ بعضُ النّاسِ الّذينَ لا يكفّونَ عَنِ الحلمِ، ويتعاملونَ مَعَ أحلامِهِم بجدّيّةٍ أنْ يسيطروا على تلكَ الأحلامِ. وقدِ استطاعَ ليڤل ذلكَ في بعضِ الأحيانِ. ففي أثناءِ أحدِ الأحلامِ المُرعِبةِ، قالَ ذاتَ مرّةٍ:

ـ هذا الأمرُ هوَ فوقَ قدرَتي على الاحتمالِ، ولذلكَ فلا أستطيعُ الاستمرارَ. واستيقظَ بعدَها مِنْ نومِهِ.

أمّا الأحلامُ الجميلةُ فإنّهُ تمكّنَ، أحيانًا، مِنْ إطالَتِها بعضَ الشّيءِ. وفي بعضِ الأحيانِ (وهيَ أحيانٌ نادرةٌ عَلى كُلِّ حالٍ) استطاعَ ليڤل أنْ يختارَ طبيعةَ الحُلُمِ، ونَجَحَ في هذا الأمرِ.

ولهذا فليسَ مستغربًا أنْ يُكمِلَ ليڤل الحكايةَ، الّتي عرفَ بداياتِها، في عالَمِ الأحلامِ. وكانَ موقعُه يتبدّلُ في الحلمِ، فتارةً يكونُ مُشاهِدًا (وكأنّهُ

في فيلمٍ سينمائيٍّ) وتارةً يكونُ جزءًا مِنَ الحكايَةِ، كما الحالُ في الأحلامِ القادِمَةِ.

الفَصْلُ الحادي عَشر

الحُلْمُ الأَوَّلُ

كانَ القصرُ الشَّرقيُّ باذِخًا كما سبقَ أنْ تخيَّلَهُ ليْل وهوَ يقرأُ الحكايةَ. وكانتِ السَّجاجيدُ الثَّمينةُ معلَّقةً على جُدرانِهِ، أمّا السَّقْفُ المُقبَّبُ للقصرِ، فيرتفعُ على أعمدةٍ بيضٍ، مُزرَكَشةٍ بعيِّناتٍ ذهبيَّةٍ. وكانتِ النّافورةُ الموجودةُ في مُنتصفِ القاعةِ الَّتي يندفعُ ماؤها الصّافي مِنْ حوضٍ رُخاميٍّ صغيرٍ، تضيءُ المكانَ. أمّا العرشُ الَّذي اعتادَ المَلِكُ أنْ يجلسَ فوقَهُ، فكانَ إلى محاذاةِ سَجّادةٍ استثنائيَّةِ الجَمالِ.

وكانتْ تقفُ إلى جانبِ الملكِ امرأةٌ مُغطّاةٌ بعباءةٍ خَضراءَ، وكانتْ أسنانُها العُلويَّةُ تبرزُ إلى الأمامِ عندما تتحدّثُ. لَمْ تكنْ تلكَ المرأةُ هِيَ الملكةُ. فقدْ أدركَ ليْل عندما تأمّلها، أنّها خالةُ الأميرِ، وأرملةُ شقيقِ المَلِكِ.

كانتِ الخالةُ تطمَعُ منذُ سنواتٍ طويلةٍ أنْ يكونَ ابنُها خليفةً للمَلِكِ، وأنْ يرثَ ثروتَهُ ومُلكَهُ، لهذا أصابَها الحزنُ عندما وُلِدَ للملكِ صبيٌّ، وكرهتْ ذلكَ المولودَ الجديدَ مِنْ أعماقِ قلبِها. وعندما أُصيبَ هذا الأميرُ بالخَرَسِ، رأتْ خالتُهُ أنَّ الفرصةَ مؤاتيةٌ كي تنفُثَ أحقادَها. لِهذا قامتْ بسرقةِ كتابِ الملكِ المُفضَّلِ، وأخفتْهُ تحتَ وسادةِ الأميرِ.

وعندما انتهى الملكُ مِنْ تدبيرِ شؤونِ الحُكْمِ في عَصْرِ أحدِ الأيّامِ، وأرادَ أنْ يرتاحَ قليلاً في ديوانِهِ، ويتناوَلَ قطعةً مِنَ الشوكولاتةِ ذاتِ الورقِ

الذَّهبيُّ المفضَّلة لديه، ليستمتعَ بملاقِها اللَّذيذ، ذهبَ كي يحضرَ الكتابَ الَّذي اعتادَ أنْ يقرأ فيه، فوجدَ الكتابَ قد اختفى.

ومعَ أنَّ سبعةَ عشرَ خادمًا، وحرّاسَ القصر، وأربعةً مِنَ الجواري، والملكةَ وبناتِ الملكِ الخمسِ، بحثوا عنِ الكتابِ في أرجاءِ القصرِ، وفتّشوا غرفةَ جميعَها، وبحثوا تحتَ المقاعدِ والسَّجاجيدِ، إلّا أنَّ الجميعَ فشلوا في العثورِ على الكتابِ.

وهنا طلبتْ خالةُ الأميرِ الإذنَ بالكلامِ، فقالتْ وهيَ تتصنَّعُ التَّواضُعَ:

ـ يا شقيقَ زوجي العزيزَ، ويا أيُّها الملكُ العظيمُ. أنا أعرفُ أينَ يوجدُ الكتابُ، لكنّي لا أجرؤُ أنْ أبيّنَهُ على مسامعِ جلالتِكُم. فإنّني أخشى غضبَكُم عندما أُميطُ اللِّثامَ عنِ السّارقِ الملكيِّ للكتابِ.

فصحّحها الملكُ بقولِه:

ـ يا زوجةَ أخي، إنّكِ تريدينَ أنْ تقولي: عندما تُميطينَ اللِّثامَ عنْ سارقِ كتابِ المَلِكِ (صحّحَ الملكُ كلامَها على هذا النَّحوِ، نظرًا لحرصِهِ على الدِّقّةِ).

ـ لا يا صاحبَ الجلالةِ، ردّتْ زوجةُ أخيهِ، أرجو أنْ تغفرَ لِفَمي ما سيفوّه بهِ، لأنّني سأؤذي مسامعَ جلالتِكُمْ بكلامي الَّذي سأقولُهُ؛ إنّني أعني «السّارقَ الملكيَّ»، أوَ ليسَ ولدُكُم الأميرُ «أسلمُ» مِنْ أصحابِ الدَّمِ الملكيِّ؟ لحظتَها صاحَ الملكُ غاضبًا:

ـ ما هذا الكلامُ الفارغُ؟ الأميرُ أسلمُ. هلْ تريدينَ أنْ تلوّثي سُمْعَةَ ولدي؟ توقّفي عنْ هذا الهُراءِ!

ـ إنّني مهتمّةٌ بإظهارِ الحقيقةِ يا صاحبَ الجلالةِ. ردّتِ الخالةُ بسرعةٍ.

ـ هلْ تريدينَ القولَ إنَّ ولدي الوحيدَ قدْ سرقَ كتابَ أبيهِ المفضّلَ؟

أجـابَ الملـكُ.

ـ هذا ما أعنيهِ تمامًا. ردَّتِ الخالةُ باقتضاب، وانحنَتْ أمامَ الملكِ بقوَّةٍ.

ـ هـذا اتِّهـامٌ خطـيرٌ. أوضَـحَ الملكُ ساخطًا (وكانـتْ زوجتُـهُ وبناتُـهُ الخمسُ يؤكِّـدْنَ كلامَ الملـكِ بإحنـاءِ رؤوسِـهنَّ). ثُـمَّ أضـافَ: وإذا تبـيَّنَّ أنَّـكِ كاذبـةٌ في هـذا الادِّعـاءِ فسـتكونُ عقوبتُـكِ النَّفـيَ مِـنْ مملَكتي. (وكانـتْ زوجتُـهُ وبناتُـه الخمـسُ يؤكِّـدْنَ هـذا الحكـمَ بإحنـاءِ رؤوسـهنَّ بأقـصى مـا يمتلِكْـنَ مِـنْ عزيمَـةٍ).

ـ وماذا لو كنتُ صادقةً في ما أقولُ؟ سألتِ الخالةُ بسرعةٍ.

ـ عندئذٍ.. عندئذٍ فسيتمُّ نفيُ الأميرِ. ردَّ الملكُ.

ـ إذا كانَ الأمـرُ كذلـكَ، يـا صاحـبَ الجلالـةِ. فأرجـو أنْ تُفتِّـشَ عَـنِ الكتـابِ تحـتَ مخـدَّةِ الأمـيرِ. أوضحـتِ الخالـةُ بثقـةٍ.

تحـرَّكَ الملـكُ مَـعَ حاشـيتِهِ صَـوبَ مقصـورةِ الأمـيرِ للتَّأكُّـدِ مِـنْ صحَّـةِ الاتِّهـامِ، وكـمْ كانَ سُـخطُ الملـكِ عظيـماً، عندمـا رأى كتابَـهُ المفضَّـلَ تحـتَ مخـدَّةِ الأمـيرِ. عندهـا صـاحَ الملـكُ ثانيـةً:

ـ يا لَهولِ ما أرى، ولدي لصٌّ، يَسْرِقُ أباهُ!

كانَ الأميرُ واقفًـا لا يعـرفُ عـلى وجـهِ التَّحديـدِ طبيعـةَ مـا يجـري. ولَـمَّا كانَ مِـنْ غـيرِ المسـموحِ لَـهُ أنْ يتكلَّـمَ ليُدافـعَ عَـنْ نفسِـهِ، فقـدْ حَـدَّقَ في الأرضِ، وبـدا مملـوءًا باليـأسِ.

عدَّ الملكُ صمتَ الأميرِ بُرهانًا عَلى إدانَتِهِ.

وكانَ عَـلى الملـكِ أنْ يفـيَ بِـما سـبقَ لَـهُ أنْ تعهَّـدَ بِـهِ أمـامَ كثـيرٍ مِنَ الشُّـهودِ، فخاطـبَ الحـرّاسَ بقولِهِ:

ـ اقبضوا عَلى الأميرِ أَسلمَ، وارموا بِهِ خارجَ حدودِ المَملكَةِ. إنَّهُ مَنفيٌّ، ولا يجوزُ لَهُ العودةُ إلى هنا مستقبلًا.

عندها رمتْ حميدةُ، أكثرُ شقيقاتِ الأميرِ أسلمَ حُبًّا لهُ، بنفسِها عندَ قدمَي أبيها الملكِ، وطلبتِ الرَّحمةَ لأخيها.

ـ إذا كُنتِ تطلبينَ الرَّحمةَ لهذا اللِّصِّ، فاذهَبي معَهُ! لقدْ قرَّرتُ نفيَ ابنتي حميدةَ أيضًا. صاحَ الملكُ وقدْ بدأَ غَضَبُه يعلو.

ـ لكنَّ هذا القرارَ غيرُ عادِلٍ. فأنتَ لا تستطيعُ بِسلطَةِ أنْ... صاحَ ليّل الَّذي كانَ الملكُ يستمعُ إلى كلامِهِ، وقدْ نزلَ عليهِ كوقعِ الصّاعِقَةِ. لكنَّ الملكَ ما لبثَ أنْ صاحَ:

ـ مَنْ هذا الغريبُ؟ وكيفَ دخلَ إلى هنا؟ ما اسمُهُ؟ وماذا يريدُ؟

كانتْ أسئلةُ الملكِ تتلاحقُ، لهذا لَمْ يُجبْ ليّل عنها.

أمّا الخالةُ الَّتي استشعرتْ خطورةَ ما يمثّلُه ليّل، فقدِ استغلّتِ الفرصةَ، وصاحتْ:

ـ إنَّهُ شريكُ الأميرِ وصديقُهُ!

ـ هلْ هذا صحيحٌ؟ سألَ المَلِكُ. إذن يُنفى هوَ الآخرُ. اربطوا هؤلاءِ الثَّلاثَةَ معًا، وأبعِدوهم عَنِ البلادِ!

وقبلَ أنْ يعترضَ ليّل، أمسكَ بِهِ حرسُ القصرِ، مِثلما أمسكوا بالأميرِ والأميرةِ، وأخرَجوهم مِنَ القصرِ.

وقدِ اختارَ قائدُ حرسِ القصرِ رَجُلَينِ كَي يُرافقاهُ في مهمَّتِهِ الَّتي كُلِّفَ بِها، وهيَ نفيُ هؤلاءِ الثَّلاثَةِ. فتمَّ إحضارُ ستّةِ خيولٍ وحمارَينِ قويّينِ. وكانَ على الثَّلاثةِ أنْ يركبوا الخيولَ الثَّلاثةَ، وأنْ تُربطَ أيديهم بعُقدةٍ

السَّرجِ، وأنْ يغادروا القصرَ عَلى هذهِ الشاكِلةِ، ويمرّوا بالشارعِ الرَّئيسيِّ للمدينةِ، وصولًا إلى الصَّحراءِ.

وما إنْ سارَ الجميعُ مسيرةَ ساعةٍ، حتّى رأوْا خلفَهم فارسًا يعدو مُسرعًا. فأمرَ القائدُ الرَّكْبَ أنْ يتوقَّفَ، وأمسكَ الفرسانُ برماحِهم وهمْ عَلى أُهبَةِ الاستعدادِ للقتالِ، وانتظروا بفارغِ الصَّبرِ كي يعرفوا هذا الفارسَ المَجهولَ الَّذي يُلاحِقُهم، والَّذي اقتَربَ منهُمْ بسرعةٍ فائقةٍ.

وعندما اقتربَ هذا الفارسُ منهُمْ، تبيّنَ لهم أنَّ هذا الَّذي يلاحقُهم، ليسَ فارسًا بلِ امرأةً تضعُ الخِمارَ عَلى وجهِها. فصاحَ بِها قائدُ الحَرَسِ:

ـ مَنْ أنتِ؟ وماذا تريدينَ؟

رفعتِ المرأةُ النِّقابَ عَنْ وجهِها، فأُصيبَ القائدُ بالهَلَعِ؛ فقدْ كانتِ المرأةُ خالةَ الأولادِ. عندَها انْحَنى لها القائدُ، وقالَ:

ـ عفوًا يا سيِّدَتي، فأنا لَمْ أعرِفْكِ.

ـ دعْ عنكَ هذا الولاءَ الكاذبَ، فأنا راغبةٌ في التَّحدّثِ إليكَ، عَلى انفرادٍ. ردّتِ المرأةُ بصرامةٍ.

ابتعدَ الحارسانِ في الحالِ، مسافةَ رَمْيَةِ حجرٍ، وأخذا مَعَهما حِصانَيِ الأميرِ أسلمَ والأميرةِ حميدةَ بعيدًا، في حينِ تولّى القائدُ بنفسِهِ حراسةَ ليّل، فأبقاهُ عَلى مقربةٍ مِنْهُ، وأمسكَ بزمامِ فرسِهِ، بعدما بدا لَهُ أنَّ هذا الغريبَ هوَ الأكثرُ خطورةً؛ فقدْ كانَ مجهولًا، لا يَعرفُهُ أحدٌ في القَصرِ، وهو يرتدي فوقَ ذلكَ زيًّا غريبًا (كانَ ليّل يرتدي معطفَهُ المطريَّ فوقَ الثِّيابِ الخاصَّةِ بالنَّومِ).

وهكذا ظلَّ ليّل عَلى مقربةٍ مِنَ القائدِ، وكانَ في مقدورِهِ أنْ يستمعَ إلى حديثِ الخالةِ.

مـدّتِ المـرأةُ يدَهـا إلى داخـلِ الـسَّرْجِ، وأخرجَـتْ صُرّةً جِلديّـةً، ورمَتْهـا نحـوَ القائـدِ، قائلـةً:

ـ إنّها مملوءةٌ بالذّهبِ. تقاسَمْها معَ الفارسَينِ الآخرَيْنِ. فردَّ القائدُ:

ـ أطـالَ اللّـهُ بقـاءَكِ، وجـزاكِ خـيرًا. كيـفَ أسـتطيعُ أنْ أردَّ هـذا الجميـلَ؟ وبـماذا تأمُرينَني يـا سيِّدتي؟

ـ عليكَ أنْ تبذلَ جهدَكَ حتّى لا يرجعَ هؤلاءِ الأسرى. همستِ المرأةُ.

ـ هـذا مـا سـأفعَلُهُ يـا سيِّدتي، فسـأقومُ بطردِهما إلى مـا وراءِ الحُـدودِ، وسـأضَعُ الحُـرّاسَ هنـاكَ كـي يُراقبـوا الحـدودَ، ويحولـوا بينَهُـم وبـينَ الرُّجـوعِ.

ـ أنـتَ لَمْ تستوعِبْ مـا قلتُـهُ لـكَ، قالـتِ المـرأةُ قَلِقَـةً، إنَّ عليـكَ أنْ تهتـمَّ بـألّا يعـودَ هـؤلاءِ عَـلى الإطـلاقِ. أتَفْهَمُنـي، عَـلى الإطـلاقِ، دونَ أنْ يكـونَ هنـاكَ حـرسٌ عَـلى الحـدودِ.

شَحُبَ لونُ القائدِ، وقالَ:

ـ هـلْ تقصديـنَ أنَّ ثلاثَتَهـم ينبغـي أنْ.... (ولَمْ يـستطعْ قائـدُ الحـرسِ أنْ يتلفَّـظَ بالكلِمَـةِ المُرعِبَـةِ).

ـ تمامًـا هـذا مـا أريـدُهُ. ردّتِ المـرأةُ، ثُـمّ أضافَـتْ: وعندمـا يتـمُّ الأمـرُ قُـم بإخْبـاري، وعندهـا سـتنالُ صُرّةً أُخْـرى كهـذِهِ. ولكـنْ حَـذارِ أنْ تُفْـشيَ هـذا السِّرَ لأحِـدٍ، إذا كُنـتَ ترغـبُ في البقـاءِ عَـلى قيـدِ الحيـاةِ!

ثُمّ أدارتِ المرأةُ فرسَها، واتّجهتْ صَوبَ القصرِ، وأخذتْ تعدو.

نظـرَ القائـدُ إلى ليـل مُـستطلعًا، وكانَ يفكّـرُ في معرفـةِ مـا اسـتطاعَ ليـل أنْ يسـتمعَ إليـه مِـنْ ذلِـكَ الحديـثِ.

لكـنَّ ليـل كانَ واقفًـا يتأمّـلُ عُـرْفَ فرسِـهِ ويتظاهَـرُ بالمَلَـلِ، فقـدْ كانَ مِـنَ

الأفضل ألّا يحسّ القائدُ بأنّ ليّل يعرفُ الخطرَ الّذي سيتعرّضُ له الأميرُ والأميرةُ عمّا قليل.

سارتِ القافلةُ ساعةً إثرَ ساعةٍ حتّى وصلوا إلى إحدى الواحاتِ، فأصرّ الحرسُ على أنْ يستريحوا في ظلالِ إحدى شجراتِ النّخيلِ.

فكّ القائدُ قيودَ الثّلاثةِ حتّى يستطيعوا النّزولَ عنْ خيولِهم، وشُرِبَ الماءِ مِنَ العَيْنِ، ثُمّ نادى الحارسَيْنِ وأخذَ يتحدّثُ إليهما بصوتٍ خفيضٍ وبلهجةٍ قاسيةٍ. فاستطاعَ ليّل أنْ يتحدّثَ بحرّيّةٍ مَعَ زميليهِ السّجينيْنِ:

ـ إنّنا إزاءَ خطرٍ كبيرٍ داهِمٍ. همسَ ليّل، ثُمّ أضافَ: إنّ الحرسَ سيقتلونَنا، وقائدُهم يتحدّثُ إليهِم حولَ هذا الأمرِ.

هزّ الأميرُ أسلمُ رأسَهُ رافضًا.

أمّا شقيقتُهُ الأميرةُ حميدةُ فقدْ قالتْ:

ـ لا بُدّ أنّكَ قدْ أخطأتَ التّوقُّعَ! ففي بعضِ الأحيانِ يبدو أبي قاسيًا عندما يغضَبُ، لكنّهُ يتراجعُ عنْ ذلكَ عندَما يخفُّ غضبُه. إنّني أعرفُه عنْ قُربٍ، فلا يمكنُ أنْ يكونَ قدْ أمرَ بقتلِنا، بلْ إنّني أميلُ إلى أنّه سيأمرُ بإعادتِنا بعدَ وقتٍ قصيرٍ. وقدْ كانَ قلبي ينبضُ فرَحًا، عندما رأيتُ خالَتي قد جاءتْ، فقدِ اعتقدتُ أنّه أرسلَها لتُعيدَنا، لكنّني أخطأتُ. لذلكَ فإنّني أشعرُ بالحزنِ، وأعتقدُ أنّها قدْ أقنعتِ الحرسَ بأنْ يُطلقوا سراحَنا، لكنّهم لمْ يجرُؤوا على ذلكَ.

ـ إنّ خالتَكُم تكرهُ أسلمَ. إنّها تتمنّى موتَه. قالَ ليّل ذلكَ بإصرارٍ، وهوَ يسرُدُ على مسامعِهم ما لاحظَهُ وما سمعَهُ.

أصغى أسلمُ وحميدةُ وهما يشعرانِ بالذُّعرِ:

ـ إذنْ علينا أنْ نهربَ، علينا أنْ نهربَ قبلَ فواتِ الأوانِ! علّقتْ حميدةُ

عندما حَكى ليَيل تلكَ الوقائعَ، وحَنى أسلمُ رأسَه موافِقًا.

ـ وكيفَ نهربُ؟ إنَّ الحُرّاسَ أكثرُ مَهارةً منّا في ركوبِ الخيلِ. فكيفَ ستخلّصُ مِنْ ملاحقتِهِمْ لَنا؟ تساءلَ ليَيل.

بدأَ الثّلاثةُ يفكّرونَ لكنّهم لم يجدوا حلًّا مناسبًا. فجأةً أمسكَ الأميرُ أسلمُ بذراعِ ليَيل، وأشارَ إلى الصّحراءِ بفزع.

لَمْ يستوعبْ ليَيل مقصودَ أسلمَ. كانتْ غَيمةٌ سوداءُ صغيرةٌ تلوحُ في الأُفقِ لحظتَها، فهل يشيرُ إليها يا تُرى؟

ـ هلْ تشيرُ إلى الغيمةِ؟ سألَهُ ليَيل.

فحَنى الأميرُ رأسَهُ موافقًا.

ـ هلْ سيكونُ رعدٌ عمّا قريب؟

فهزَّ أسلمُ رأسهُ نافيًا ذلكَ.

ـ ماذا إذن؟ تساءلَ ليَيل.

انْحَنى أسلمُ عَلى الأرضِ، وأخذَ بيدِهِ حُفْنَةً مِنَ الرّمالِ، ووضَعها أمامَ عينَيْ ليَيل، وهو يشيرُ إلى الرّمالِ بقلقٍ.

ـ ماذا أفعلُ بهذه الرّمالِ؟ سألَهُ ليَيل.

فوضّحتْ حميدةُ:

ـ إنَّ عاصفةً رمليّةً ستهبُّ عَلينا بعدَ قليلٍ.

وافقَ أسلمُ وحَنى رأسَهُ، ثُمَّ أشارَ إلى نفسِهِ وإلى شقيقَتِهِ وإلى ليَيل، ثُمَّ أشارَ إلى الخُيولِ. فوضّحتْ حميدةُ:

ـ إنَّ أسلمَ على حقٍّ. فإذا كانتْ لنا فرصةٌ للنّجاةِ، فستكونُ أثناءَ هبوبِ العاصفةِ الرّمليّةِ. ثُمَّ التفتتْ نحوَ ليَيل وسألَتْهُ:

ـ هلْ سبقَ لكَ أنْ رأيتَ عاصفةً رمليّةً مِنْ قبلُ؟

ـ كَلّا، وإنْ كانَ في الكتابِ الخاصِّ بالشَّرقِ صورةٌ... ردَّ ليّل.

ـ لا وقتَ لَدينا. لقدْ عادَ الحرسُ. قطعتْ حميدةُ حديثَ ليّل. إنَّ العاصفةَ الرَّمليّةَ مُرعبةٌ، وستَعيشُها عمّا قريب. إنَّكَ بحاجةٍ إلى قطعةٍ مِنَ القُماشِ تضعُها عَلى أنفِكَ وأُذنَيكَ. أمَعَكَ غيرُ هذا الرِّداءِ؟ أليسَتْ لَدَيكَ عِمامَةٌ؟

هزَّ ليّل رأسهُ نافيًا.

ـ إذنْ خُذْ هذا المِنديلَ. قالتْ حميدةُ، وناوَلَتْهُ مِنديلَها المُزَرْكَشَ بالوُرودِ، ثُمَّ أضافَتْ: عَلَينا أنْ نهربَ عِندما تهبُّ العاصفةُ الرَّمليّةُ، لأنَّهمْ لنْ يستطيعوا الإمساكَ بنا حتّى لو قاموا بمطارَدَتِنا، لأنَّهم لنْ يتمكّنوا مِنْ رؤيَتِنا في أثناءِ هبوبِ العاصفةِ. وعَلينا أنْ نبقى معًا، وألّا نفقِدَ بعضَنا، وإلّا ضِعنا إلى الأبدِ! هُدوءٌ، فقدْ عادَ الحرسُ! ثُمَّ أرادتْ أنْ تعرفَ شيئًا، فالتَفَتَتْ نحوَهُ وسألَتْهُ:

ـ ما اسمُكَ؟

ـ ليّل. فأطرقَتْ حميدةُ وكأنَّ هذا الاسمَ مِنْ أكثرِ الأسماءِ شيوعًا في العالَمِ.

كانَ الحرسُ قد لاحظوا الغيمةَ أيضًا، الّتي كانَ حجمُها يتزايدُ بسرعةٍ، وكانَتْ تبدو وكأنّها عاصفةٌ تتحرّكُ في الأفقِ.

ـ هيّا ابحثوا عَنِ النَّجاةِ، واختَبِئوا خلفَ أيِّ سورٍ، وتلفَّعوا جيّدًا بِما عندَكم مِنْ ملابِسَ، غطّوا عيونَكُم وأفواهَكُم وأنوفَكُم. العاصفةُ في طريقِها إلينا، وستصلُ خلالَ لَحَظاتٍ!

قبعَ الحرسُ والأسرى وراءَ سورٍ طِينيٍّ مُتداعٍ.

بعدَها بدأتْ ملايينُ الذَّرّاتِ الرَّمليَّةِ بالتَّطايُرِ بقوّةٍ مرعبةٍ نحوَ جسدِ ليّل، فأغلقَتْ فُتحتَي أنفِه، وملأتْ عينَيه، واخترقَتْ معطفَهُ المطريَّ. فأخذَهُ ليّل عَنْ رأسِهِ، وغطّى بهِ أنفَهُ، وصارَ يبحثُ عنِ الهَواءِ كَي يتنفَّسَ.

هزَّ أسلمُ ذراعَ ليّل بقوّةٍ، فنظرَ ليّل صوبَ الحرسِ. كانوا قدْ تلفَّعوا بمعاطِفِهم الصّوفيَّةِ، وأحكموا الأغطيَةَ فوقَ رؤوسِهم، وجلسوا دونما حراكٍ، وكأنَّهم صخورٌ تتحرَّكُ الرِّمالُ مِنْ حولِها.

هنا أمسكَ الأمراءُ الثَّلاثةُ بأيدي بعضِهم، وجاهَدوا كي يتمكَّنوا مِنَ الوصولِ إلى خُيولِهم الَّتي كانتْ تقفُ وهيَ عملوءةٌ بالفزعِ، تمدُّ أعناقَها، وتصهلُ عاليًا. فكَّوا الخيولَ السِّتَّةَ مِنْ مرابطِها، وأمسكوا بزمامِ ثلاثةٍ منها، وأرخَوا العنانَ للثَّلاثةِ الأخرى، فانطلقَتْ خيولُ الحُراسِ تسابقُ الرّيحَ، واختفتْ داخلَ غيمةٍ سوداءَ محمّلةٍ بالرِّمالِ والتُّرابِ، بعدَها امتطى الأولادُ خيولَهم، وولّوا هاربينَ. ولمْ يكنِ الحُرّاسُ، حتّى تلكَ اللَّحظةِ، قدْ تنبَّهوا لِما يحدثُ، فقدْ علا دويُّ العاصفةِ، على وقعِ سنابكِ الخيلِ.

كانَ أسلمُ في الطَّليعةِ، تليهِ حميدةُ، ثُمَّ ليّل، فقدْ أرادَ ليّل أنْ يبقى على مقربةٍ منهُما. لكنَّ العاصفةَ أمسكَتْ بمعطفِهِ المطريِّ، ونشرَتْهُ كأنَّهُ شراعُ سفينةٍ، وكادَتْ تُسقِطُه أرضًا عَنْ ظهرِ الحِصانِ. حاوَلَ ليّل أنْ يخلعَ معطفَهُ، ولمْ يتمكَّنْ مِنْ ذلكَ إلّا بعدَ جهدٍ طويلٍ فحملتِ الرّيحُ معطفَه، وطارتْ بهِ بعيدًا، فأصيبَ الحِصانُ الخائفُ بمزيدٍ مِنَ الرُّعبِ، فشبَّ على قدميهِ، وقذفَ ليّل عنْ ظهرِهِ، وطرحَهُ أرضًا، ثُمَّ انطلقَ يعدو في الصَّحراءِ.

صاحَ ليّل بصوتٍ عالٍ:

ـ أسلمُ، انتظِرْني!

لكنَّ ضجيجَ العاصفةِ الرَّمليَّةِ كانَ مِنَ القوّةِ بحيثُ لَمْ يتمكَّنْ ليّل نفسُهُ مِنْ سماعِ صوتِهِ وهوَ يصرخُ.

تكوّرَ ليّل في الرِّمالِ إلى جانبِ أحدِ الكُثبانِ الرَّمليَّةِ. لكنَّ العاصفةَ لَمْ تهدأ بلِ ازدادتْ قوّةً، فصارَ ليّل يدفعُ الرِّمالَ عَنْ نفسِهِ بيديهِ، ولَمْ يعُدْ قادرًا عَلى التَّنفُّسِ، وصارَ موقِنًا أنَّهُ سيختَنِقُ بينَ لحظةٍ وأخرى.

ثُمَّ جاءتْ ريحٌ عاتيةٌ، أطارتِ المِنديلَ مِنْ يدِهِ، فصارَ قادرًا عَلى التَّنفُّسِ عَلى نحوٍ مُفاجئٍ ـ وعندَها استيقظَ مِنْ نومِهِ.

كانَتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تقفُ إلى جانبِ سريرِهِ وهيَ ترتدي معطفَها الصَّباحيَّ الأخضرَ اللَّونِ، وتمسكُ المِخدَّةَ بيدِها.

ـ صباحُ الخيرِ يا (فيليب)! إنَّ عليكَ أنْ تنهضَ. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، ثُمَّ تساءلَتْ: تُرى هلْ تنامُ دائمًا والمخدَّةُ عَلى وجهِكَ؟ وهلْ تستطيعُ أنْ تتنفَّسَ ؟

ـ هلِ انتهتِ العاصفةُ؟ تساءلَ ليّل حائرًا.

ـ العاصفةُ! كرَّرتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ. آه، أنتَ تعني هَزيمَ الرَّعْدِ ليلًا. هلْ سمعتَهُ؟ وهلْ صحَوتَ جرّاءَ ذلكَ الصَّوتِ؟ إنَّ هذا الطَّقسَ متقلِّبٌ تمامًا. فتارةً تشرقُ الشَّمسُ، وتارةً أخرى يهطلُ المطرُ، وأخيرًا هذه العاصفةُ الرَّعديَّةُ! لكنَّها انتهتْ أخيرًا. بعدَها أزاحتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ السَّتائرَ، ثُمَّ قالتْ:

ـ إنَّ الشَّمسَ مشرقةٌ وهذا هو الوقتُ المناسبُ للاستيقاظِ مِنَ النَّومِ.

ـ صحيحٌ، ردَّ ليتل، لقدْ أشرقتِ الشَّمسُ ثانيةً. فقالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ:

ـ سأنزلُ إلى المطبخِ لإعدادِ طعامِ الإفطارِ. وعليكَ أنْ تذهبَ إلى الحمّامِ، وإيّاكَ أنْ تعاودَ النَّومَ! ثمَّ غادرتِ الغرفةَ.

تمتمَ ليتل، وقدْ جلسَ في سريرِهِ:

ـ الشَّمسُ، ليسَ ثمَّةَ رمالٌ. لقدْ نجوتُ.

كانَ عليهِ أنْ ينظِّمَ أفكارَهُ. فقدْ كانَ نائماً في منزلِهِ وفي سريرِهِ، إذنْ لقدْ كانَ كلُّ ما شاهدَهُ مجرّدَ حلمٍ. ولكنْ ماذا عنِ الاثنينِ الآخرينِ؟ هلْ استيقظا، وتبيَّنَ لهما أنَّ ما عاشاهُ كانَ مجرّدَ حلمٍ؟ أم ما زالا في قلبِ العاصفةِ الصَّحراويَّةِ؟!

الثُّلاثاءُ

الفَصْلُ الثّاني عَشر

الإفْطارُ مَعَ السَّيِّدَةِ يَعقوبَ

عندما نزلَ ليتل إلى الطّابقِ السُّفليِّ، وجدَ السَّيِّدَةَ يعقوبَ جالسةً على مائدةِ الإفطارِ وهيَ تتناولُ اللّبنَ. فبادرتْهُ بقولِها:

ـ ستسألُني عنِ النُّقاطِ الَّتي تقومُ بتجميعِها. لقدْ نسيتُ الأمرَ. أنا آسفةٌ. وعندَما تذكَّرْتُه، كانَ غطاءُ العُلبةِ قدْ تمزَّقَ. لكنَّ ثمّةَ نقطةً ما تزالُ فوقَ عُلبتِكَ تستطيعُ أنْ تَقُصَّها، أمْ تُراكَ غيرَ راغبٍ في تناوُلِ اللّبنِ صباحاً؟

ردَّ ليتل:

ـ بلى، أنا أُحبُّ تناوُلَ اللّبنِ في الصَّباحِ. لكنَّهُ صارَ يحسبُ وهو يتلمَّرُ: إذا استمرَّ الأمرُ على هذهِ الشّاكلةِ، فإنّني أحتاجُ إلى أسبوعٍ كي أتمكَّنَ مِنْ جَمْعِ النُّقاطِ المِئةِ.

ـ لكنَّكَ لا تكتفي باللَّبنِ وحدَهُ؟ سألتْهُ، ثُمَّ أردفَتْ قائلةً: إنَّ الفتى في مثلِ سِنِّكَ يحتاجُ إلى طعامٍ مُغذٍّ. هلْ أُعِدُّ لكَ قطعةً مِنَ الخُبزِ؟

ـ لا، شكرًا، أجابَ ليثٌ، فأنا لا أتناولُ في الصَّباحِ سوى اللَّبنِ.

ـ لكنَّني سأعِدُّ لكَ قطعةً مِنَ الخبزِ، مَعَ ذلكَ، قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بنبرةٍ حاسِمَةٍ، وسأدْهَنُها بالزُّبْدَةِ، وهذا ما يعطيكَ المزيدَ مِنَ الطَّاقَةِ.

ـ لكنَّني لا آكُلُ الخُبزَ في الصَّباحِ، فأنا لا أستطيعُ أنْ أبتلعَ أشياءَ صلبةً في الصَّباحِ الباكِرِ.

ـ لا بأسَ، خذْ إذن هذه القطعةَ مِنَ الخُبزِ معكَ، ويمكِنُكَ أنْ تأكلَها في فترةِ الاستراحةِ. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ تلفُّ قطعةَ الخبزِ بمنديلٍ ورقيٍّ.

ـ إنَّني أفضِّلُ أنْ أتناوَلَ قطعةً مِنْ شوكولاتَةِ ـ الكَرْكيِّ أثناءَ الاستراحةِ. ردَّ ليثٌ.

ـ وما شوكولاتَةُ ـ الكَراكيِّ هذه؟

ـ إنَّها لوحٌ مِنَ الشوكولاتَةِ الهَشَّةِ، المكوَّنةِ مِنْ ثلاثِ طبقاتٍ، والمغطّاةِ بالكراميل، أو هذا ما يقولونَهُ عنْها في الدِّعاياتِ.

ـ وهلْ تسمحُ لكَ أمُّكَ بذلكَ؟ سألتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ إنَّها لَمْ تمنَعْني مِنْ تناوُلِها قطُّ. أكَّدَ ليثٌ.

وهنا لَمْ يقلْ ليثٌ الحقيقةَ كلَّها، فإنَّ أُمَّهُ لَمْ تأذَنْ له بأكلِ هذا النَّوعِ مِنَ الشوكولاتَةِ؛ لأنَّها، ببساطةٍ، لَمْ تعرفْ بالأمرِ. وكانَ رأيُها أنَّ على ليثٍ أنْ يشتريَ بمصروفِهِ اليوميِّ قطعةً مِنَ الخبزِ الطريِّ المعجونِ ببذورِ الخَشخاشِ، أو قطعةَ خبزٍ شبيهةً بالكرواسان.

ـ لا عجبَ أنَّكَ مُسرفٌ في النَّحافةِ، إذا كانَ والداكَ لا يعطيانِكَ الغذاءَ الضَّروريَّ. ردَّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وأضافَتْ تقولُ: أمَّا أنا فسأعطيكَ الغذاءَ الضَّروريَّ المناسبَ لكَ.

واستمرّا يتناولانِ اللّبنَ. بعدَ ذلكَ تساءلَ ليبل حَذِرًا:

ـ ماذا سيكونُ غداؤنا لهذا اليوم؟

ـ ستعرفُ ذلكَ في الوقتِ المُناسبِ تمامًا. ردّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

انْحنى ليبل انحناءةً عريضةً، ووضعَ يديهِ على صدرهِ، وقالَ بلهجةٍ تشبهُ ما قرأهُ في الحكاياتِ الشّرقيّةِ:

ـ عفوًا يا سيِّدَتي، إذا أثقلْتُ على مسامعِكم الكريمةِ بأسئلَتي التّافهةِ عنْ وجبةِ الغداءِ.

ـ ماذا عَنْ أُذُني؟ سألتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ وهيَ تستشعرُ الإهانةَ. أتريدُ أنْ تسخرَ منّي؟ هذه هي النّهايةُ القُصوى. إنّني أُريدُ أنْ أتحدّثَ معكَ عمّا حدثَ مساءَ أمس. أرجو ألّا تظُنَّ، أنّني نسيتُ ما حدثَ ببساطةٍ، لقدْ أُصِبْتُ بالرُّعبِ، حتّى ظننْتُ أنّكَ قدْ هربْتَ أو اختُطِفتَ!

ـ أنا لمْ أقصِدْ أنْ أخيفَكِ، لكنّني أردتُ أنْ أقرأَ قليلًا. ردَّ ليبل وهو يحاولُ الاعتذارَ.

ـ أنْ تقرأَ قليلًا! لِهذا اختبأْتَ في الخزانةِ، ماذا تقولُ؟ إيّاكَ أنْ تعتقدَ أنّكَ ستحصلُ ثانيةً على الكتابِ!

ونظرًا لأنّ ليبل لمْ يقُمْ بالرّدِّ، وبقيَ صامتًا يتناولُ ما في علبتِهِ مِنْ لبنٍ، تناولتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ الجريدةَ وهيَ تشعرُ بالإهانةِ، وبدأتْ بِتقليبِ صفحاتِها.

وكانَ ليبل الّذي يجلسُ قبالتَها، يحاولُ أنْ يفكَّ العناوينَ الكُبرى للصّحيفةِ، فقرأَ بصوتٍ عالٍ:

ـ لا فُرصةَ لنزعِ التّوتُّرِ.

ـ مِنْ جِهتي، أنا لستُ مسؤولةً عنْ ذلكَ. ردّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ مِنْ وراءِ جريدَتِها.

ـ هذا صحيحٌ. قالَ ليثل.

ـ أخيرًا، اعترفتَ بذلكِ. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ أجلْ، «إنَّ القُوى العُظْمى هيَ الَّتي تتحمَّلُ المسؤوليَّةَ». هذا ما هو مكتوبٌ هنا. وضَّحَ ليثل.

نظرتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ إلى حافَّةِ الجريدةِ، ثُمَّ نظرَتْ إليهِ حائرةً، وقالتْ:

ـ آه، أنتَ تقرأُ في الصَّحيفةِ. ثُمَّ أكملَ ليثل العنوانَ الآخرَ:

ـ السِّكَّةُ الحديديَّةُ الفيدراليَّةُ الألمانيَّةُ تشكو: عددُ المسافرينَ غيرُ القانونيِّينَ يتنامى بقوَّةٍ. ثُمَّ تساءلَ ليثل: ما معنى المسافرينَ غيرِ القانونيِّينَ؟

ـ إنَّهم الَّذينَ يسافرونَ دونَ أنْ يدفعوا ثمنَ التَّذاكرِ الخاصَّةِ بالسَّفَرِ. وضَّحَتِ، السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ حسنًا، إنَّ هؤلاءِ ليسوا مسافرينَ غيرَ قانونيِّينَ. ردَّ ليثل.

ـ كيفَ؟

ـ لأنَّ المسافرينَ غيرَ القانونيِّينَ يسمنونَ، وهمْ يريدونَ لهم أنْ ينحفوا. أليسَ

كذلكَ؟

احمرَّ وجهُ السَّيِّدَةِ يعقوبَ، وصاحتْ وهيَ تُلقي بالصَّحيفةِ جانبًا:

ـ لنْ أسمحَ لكَ بأنْ تَعْرِضَ المزيدَ مِنْ وقاحاتِكَ أمامي!

ـ لقدْ أردتُ أنْ أقولَ نُكْتَةً. قالَ ليثل.

وقدْ كانَ والدُهُ يرى على نحوٍ مؤكّدٍ في هذا التَّلاعُبِ اللَّفظيِّ أمرًا يبعثُ على الضَّحِكِ.

ـ أتريدُ أنْ تَجعلَني مادَّةً لدُعاباتِكَ؟ ينبغي أنْ تعلمَ بأنّني بذلتُ معكَ قُصارى جُهدي، ولمْ يبقَ مِنْ صَبري بقيَّةٌ.

وعندَما لاحظتْ أنَّ كلامَها لمْ يتركْ تأثيرًا عندَ ليثل، سألتْهُ:

ـ ماذا لو قُمتُ بتسخينِ صَلْصةِ البَندورةِ هذا اليومِ؟

ـ عندها سأذهبُ إلى السَّيِّدَةِ يشكي!

ـ السَّيِّدَةُ يشكي. مَنْ هيَ هذه المرأةُ؟

ـ إنَّها صديقتي. ردَّ ليثل.

ـ آه، صديقتُكَ! سأبوحُ لكَ بسِرٍّ. إنَّكَ إنْ فعلتَ هذا، فسأتّصلُ بوالِدَيكَ هاتفيًّا، وأحكي لهُما كلَّ ما حدثَ.

كانَ بودِّ ليثل أنْ يقولَ:

ـ هيّا افعلي ذلكَ بهدوءٍ، فأنا مَنْ يودُّ أنْ يُهاتِفَهم، على كلِّ حالٍ. لكنَّهُ أدركَ أنَّ كلامَهُ هذا يزيدُ في غضبِ السَّيِّدَةِ، وهوَ لا يَسْعى في الواقعِ، إلى إغضابِها، لكنَّهُ لا يدري كيفَ تطوّرتِ الأمورُ على هذه الشّاكلةِ، فَردَّ بلهجةٍ مُسالِمةٍ:

ـ سأتَغَدّى هُنا. عفوًا، أنا لمْ أقصدْ أنْ أقولَ ذلكَ.

ـ آه. يبدو أنَّ التَّهديدَ بإخبارِ والديكَ كانَ مُفيدًا. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وأضافتْ: هيّا اذهبْ حتّى لا تصلَ إلى المَدرسةِ مُتأخِّرًا.

وعندما وصلَ إلى المَمرِّ نادتْهُ قائلةً:

ـ ماذا عَنْ قطعةِ الخبزِ الخاصَّةِ بالاستراحةِ، ألا تُريد أَنْ تأخذَها؟

دسَّ ليتل قطعةَ الخُبزِ في إحدى فُتحاتِ حقيبتِهِ المدرسيَّةِ، وأسرعَ في الذَّهاب، لكنَّ السَّيِّدَةَ يعقوبَ لَمْ تدَعْهُ يذهبُ وناداتْهُ مجدَّدًا:

ـ خذْ معطفَكَ المطريَّ معكَ. فالجوُّ ماطِرٌ.

ـ لكنَّ الشَّمسَ مشرقةٌ!

ـ لذلكَ ينبغي أَنْ تأخذَهُ معكَ. فعلينا أنْ نتوقَّعَ المَطَرَ عندَ شروقِ الشَّمسِ، والشَّمسَ عندَ نزولِ المطرِ.

ـ لكنَّ معطفي المطريَّ اختفى. أكُدَ ليتل، لقدْ طارَ هناكَ!

ـ هلْ هذهِ نكتَةٌ جديدةٌ؟ تساءلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ غاضبةً، إنَّهُ معلَّقٌ هنا، أمْ أنَّ هذا ليسَ معطفَكَ؟

ـ آه. هذا هوَ. ثُمَّ حملَ معطفَهُ المطريَّ، ووضعَهُ فوقَ ذراعِهِ، وركضَ إلى المدرسة.

الفَصْلُ الثَّالثَ عَشر

في المَدْرَسَةِ

كادَ يصلُ متأخِّرًا إلى المَدرسَةِ.

فقدْ تسلَّلَ، منْ أمامِ مربيةِ الصَّفِّ السَّيِّدَةِ (كلوبي)، ودخلَ بابَ الغرفةِ، وجلسَ في مكانِهِ بسرعةٍ.

كانَ أرسلانُ وحميدةُ يجلسانِ في المقعدِ، وكانَ ليتل مُصابًا بالذُّهولِ بعضَ الشَّيءِ، فهمسَ قائلًا:

ـ لقدْ كانتْ عاصفةً في ما أَظُنُّ.

ـ أيَّةُ عاصفةٍ؟ تساءلتْ حميدةُ بدهشةٍ.

ـ في هذهِ اللَّيلةِ، قالَ ليّل، في هذهِ اللَّيلةِ عندما..

قاطَعَتْهُ السَّيِّدَةُ (كلوبي) قائلةً:

ـ (فيليب). لقدْ لاحَظْتَ، بالتَّأكيدِ، أنَّني داخلَ غرفةِ الصَّفِّ، وأريدُ أنْ أبدأَ الدَّرسَ حقيقةً!

ـ طبعًا، طبعًا، مفهومٌ. ردَّ ليّل وهوَ يُخرِجُ مِنَ الحقيبةِ ما يتعلَّقُ بدرسِ الرِّياضيّاتِ؛ لأنَّ الحصَّةَ الأولى كانتْ لمادَّةِ الرِّياضيّاتِ.

لكنَّهُ لَمْ يستطعْ أنْ يصبرَ أكثرَ مِنْ خمسِ دقائقَ، فسألَهُما:

ـ هلْ عثرتُما عَلى الطَّريقِ بسهولةٍ؟ تساءلَ ليّل ليعرفَ منهُما ماذا حصلَ.

ـ أجلْ، كانتِ المسألةُ سهلةً جدًّا، ردَّتْ حميدةُ، ووافقَ أرسلانُ بإحناءِ رأسِهِ.

ـ ماذا حصلَ لخالَتِكُم؟ سألَ ليّل.

ـ أيَّةُ خالةٍ تَعني؟ سألتْ حميدةُ وهيَ تشعرُ بالدَّهشةِ.

ـ أعني زوجةَ عمِّكُم، الخضراءَ... قالَ ليّل.

ـ زوجةُ عمِّنا. لكنَّها ليستْ في ألمانيا، لقدْ ظَلَّتْ في الوطَنِ. أجابتْ حميدةُ.

ـ هذا أمرٌ غيرُ لطيفٍ بالتَّأكيدِ. ردَّ ليّل بهمسٍ.

وعندما أرادتْ حميدةُ أنْ تعرفَ مَقْصِدَهُ، صاحتِ المعلِّمةُ:

ـ (فيليب)! حميدةُ! لقدْ عُدتُما للحديثِ مجدَّدًا؟ هلْ يمكنُ أنْ تتكرَّما بالإصغاءِ؟

بقيَ ليّل مصغيًا لمدَّةِ عشرِ دقائقَ هذهِ المرَّةَ، وما إنْ شرعتِ السَّيِّدَةُ (كلوبي) بالإعلانِ عَنِ الوَظيفةِ المنزليَّةِ، واستدارتْ نحوَ السَّبّورةِ حتَّى

همسَ ليبل:

ـ أنتَ، يا أسلمُ!

هزَّ أرسلانُ رأسَهُ غاضبًا، وأجابَ:

ـ أنا لستُ أسلمَ. أنا أرسلانُ. وكانتْ هيَ المرَّةَ الأولى الَّتي يتحدَّثُ فيها.

توقَّفتِ السَّيِّدَةُ (كلوبي) عَنِ الشَّرحِ، ونظرتْ إلى آخرِ الصَّفِّ، حيثُ يجلسُ ثُلاثُتُهم، نظرةً مملوءةً بالتَّأنيبِ، لكنَّ الثَّلاثةَ لَمْ يُلاحظوا ذلكَ.

ـ آه. صحيحٌ. أرسلانُ. ثُمَّ كرَّرَ ليبل الاسمَ بهدوءٍ: أرسلانُ.

ـ صحيحٌ. أرسلانُ هوَ الأسدُ. قالَ أرسلانُ.

ـ ماذا تقصدُ بهذا؟ سألَ ليبل.

ـ إنَّهُ الأسدُ. كرَّرَ أرسلانُ جملَتَهُ، ثُمَّ أطرقَ تمامًا.

فقالتْ حميدةُ: إنَّ معنى كلمةِ أرسلانَ بالألمانيَّةِ هوَ الأسدُ.

ـ آه، هكذا إذن. قالَ ليبل. اسمٌ جميلٌ: أرسلانُ، الأسدُ.

ـ يكفي، يكفي، لقدْ بالَغْتُم في الحديثِ. وليسَ لديَّ القدرةُ على تحمُّلِ إزعاجاتِكم كلَّ خمسَ عشرةَ دقيقةً، لذلكَ سأقومُ في نهايةِ هذه الحصَّةِ، بإبعادِكم عنْ بعضِكُم. (فيليب)! تحرَّكْ إلى اليمين، أرسلانُ! اذهبْ إلى اليسارِ! آملةً أنْ يكونَ الإزعاجُ القادمُ مِنْ آخرِ الصَّفِّ أقلَّ.

ـ هلْ لاحظْتَ أنَّكَ تجلبُ المصائبَ كلَّما تحدَّثْتَ! كانَ ليبل يستطيعُ أنْ يهمسَ بهذا الكلامِ في أُذنِ أرسلانَ المرتبكِ، لكنَّ المعلمةَ كانتْ قدْ طلبتْ إليهِ أنْ يجلسَ على المقعدِ المجاورِ.

اشترى ليبل في الاستراحةِ شوكولاتةَ الكراكي، وتقاسَمَها مَعَ أرسلانَ وحميدةَ.

ـ كيفَ عرفْتَ أنَّ خالَتي ليستْ لطيفةً؟ سألَتْهُ حميدةُ وهيَ تقضِمُ قطعةَ الشوكولاتةِ.

فتردّدَ ليلى في الإجابةِ. وكانَ يتمنّى أنْ يُجيبَ:

ـ لقدْ حدّثتُكما في هذهِ اللّيلةِ بِما صَنَعتُ! لكنّهُ خَشِيَ أنْ يتّهمَ بأنّهُ عادَ مجدّدًا إلى الخَلْطِ بينَ الحلمِ والواقعِ.

لهذا أجابَ:

ـ لا أعرفُ حقيقةً. لكنَّ الخالاتِ عمومًا غيرُ لطيفاتٍ.

ـ هذا صحيحٌ. أكّدتْ حميدةُ قولَهُ، ثُمَّ أضافتْ: لقدْ أمضيتُ العطلةَ في بَلدي الأمِّ، وقدْ ضَرَبَتْني خالَتي، ومنعَتْني مِنَ الخُروجِ مِنَ المنزلِ طيلةَ النّهارِ.

ـ لماذا فعلتْ ذلكَ. سألَ ليلى.

ـ لأنّني خرجتُ، ونسيتُ أنْ أضَعَ المِنديلَ فوقَ رأسي.

ـ المنديلُ! تساءلَ ليلى. أيُّ منديلٍ؟ وما شكلُهُ يا تُرى؟

ضحكتْ حميدةُ وقالتْ:

ـ إنَّ أسئلتَك تبعثُ على الضَّحكِ. لماذا تريدُ أنْ تعرفَ ذلكَ على وجهِ التَّحديدِ؟ إنَّهُ منديلٌ أحمرُ، مُزيَّنٌ بالوردِ.

ـ تمامًا. إنَّهُ على تلكَ الشَّاكلةِ. أكّدَ ليّل.

ـ إنَّك تهذي. قالتْ حميدةُ ضاحكةً، ثُمَّ أضافتْ: هذا أمرٌ ليسَ في وسعِكَ أنْ تعرفَهُ.

ـ لا داعي للسُّخريةِ منّي. قالَ ليّل وهوَ يشعرُ بالإهانةِ، ثمَّ توجَّهَ إلى غرفةِ الصَّفِّ. كيفَ لهُ أنْ يوضِّحَ لحميدةَ، أنَّ المنديلَ الأحمرَ المزيّنَ بالوردِ هوَ الَّذي حماهُ في هذه اللَّيلةِ منَ العاصفةِ الصَّحراويَّةِ! المنديلُ الأحمرُ الَّذي أهدَتْهُ الأميرةُ لهُ، والَّتي تشبهُ حميدةَ إلى حدٍّ كبيرٍ، والَّتي لها أخٌ لا يغفرُ بكلمةٍ.

أمّا الحصّتانِ اللَّتانِ أعقبتا الاستراحةَ، فقدْ كانتا مخصَّصتينِ للّغةِ الألمانيَّةِ وللعلومِ الاجتماعيَّةِ.

توجَّهَ ليّل بالسُّؤالِ إلى السَّيِّدةِ (كلوبي) قائلًا:

ـ هلْ تسمحينَ لي أنْ أجلسَ إلى جانبِ أرسلانَ؟

ـ بشرطِ أنْ لا تتحدثا معًا أثناءَ الدَّرسِ. ردَّتِ المعلِّمةُ.

جلسَ ليّل إلى جانبِ أرسلانَ، ولمْ يتحدَّثْ أبدًا.

وعندما انتهى دوامُ المدرسةِ، تمشّى ليّل معَ أرسلانَ وحميدةَ على امتدادِ شارعِ (هيردر)، وظلَّ يسيرُ حتّى انعطفَ يمينًا إلى شارعِ (فريدريش روكرت)، حيثُ تسكنُ عائلتُه.

الفَصْل الرّابعَ عَشر
زِيارَةٌ لِلسَّيِّدَةِ يَشْكي

لَمْ يكنْ في وجبةِ الغداءِ ما يلفتُ النَّظرَ:

كانتِ الوجبةُ تتكوّنُ مِنَ المعكرونةِ المشويّةِ، مَعَ زهرةِ القرنبيطِ. ونظرًا لأنَّ كلاًّ مِنْ ليّل والسَّيِّدَةِ يعقوبَ، كانا غيرَ راغبيْنِ في الحديثِ، فقدْ تناولا وجبةَ الغداءِ دونَ أنْ يتبادلا الحديثَ.

بعدَ الغداءِ توجّهَ ليّل إلى غرفتِهِ، وظلّ فيها حتّى فرغَ مِنْ واجباتِه المنزليّةِ. وعندما تأمّلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ دفترَهُ، اكتشفتْ أنَّ قطعةَ الخبزِ ما تزالُ موجودةً في أحدِ جيوبِ الحقيبةِ المدرسيّةِ. فسألَتْهُ:

ـ ما معنى هذا؟ ولماذا لَمْ تأكلْ قطعةَ الخبزِ هذه في الاستراحةِ؟

ـ لقد نسيتُها. ردَّ ليل.

ـ إذن فستأكُلُها غدًا، هيّا اذهبْ، وضَعها في الثلاجةِ حتّى تبقى طازجةً. قالتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ بحزمٍ.

وعندما قامَ ليّل بذلكَ سألَها:

ـ هلْ تسمحينَ أنْ أقرأَ قليلًا في الكتابِ؟

كانتْ إجابةُ السَّيِّدَةِ يعقوبَ مختصرةً، مثلما توقّعها ليّل:

ـ كَلّا! لنْ أسمحَ لكَ.

فقالَ ليّل: ـ إذن سأقومُ بزيارةِ السَّيِّدَةِ يشكي. ثمَّ غادرَ المنزلَ بسرعةٍ قبلَ أنْ تتمكّنَ السَّيِّدَةُ يعقوبُ مِنَ الاعتراضِ.

كانتِ السَّيِّدَةُ يشكي تقفُ أمامَ بوّابةِ المنزلِ، وتقومُ برَميِ بقايا الطَّعامِ لأحدِ الكلابِ، عندما وصلَ ليّل.

ـ مرحبًا يا ليّل. رحّبتْ بهِ بودٌّ. ثُمَّ أشارتْ إلى الكلبِ قائلةً: إنَّهُ يتسكّعُ هنا منذُ الصّباحِ، فإمّا أنْ يكونَ قدْ ضلَّ الطّريقَ، وإمّا أنْ يكونَ أصحابُهُ قدْ سافروا لقضاءِ إجازتِهم، وتركوهُ وحدَهُ، لِهذا وضعتُ لهُ الطّعامَ. ثُمَّ التفتتْ نحوَ ليّل، وقالتْ:

ـ والآنَ هيّا ادخلْ، فقد جاءَ الدّورُ لكي أُطعمَكَ أنتَ!

ـ ليسَ ضروريًّا، قالَ ليّل، وهو يتبعُها، لقدْ سبقَ أنْ تناولتُ طعامَ الغداءِ.

ـ لكنَّكَ لمْ تأكلِ الفراولةَ المحفوظةَ. ردّتِ السّيّدةُ بشكي.

ـ لا. لمْ آكلْ سوى المعكرونةِ المشويّةِ.

ـ أرأيتَ؟ فقدْ فاتَكَ تناولُ الحلوى بعدَ الغداءِ، قالتِ السّيّدةُ بشكي، ثُمَّ تناولتْ وعاءً زجاجيًّا، وملأتْ صحنينِ حتّى حافّتيهما، وقالتْ: ينبغي أنْ نحتفلَ بهذهِ الزّيارةِ.

جلسَ كلاهُما إلى طاولةِ المطبخِ، وأخذا يأكلانِ الفراولةَ باستمتاعٍ.

ـ إنَّ لكَ شيئًا معي، ومدَّتْ يدَها حتّى وصلتْ إلى جيبٍ في داخلِ حقيبتِها، فاستخرجتْ شيئًا منهُ، وقالتْ: خذْ! إنّها خمسُ نقاطٍ مِنْ نقاطِ التّجميعِ. إنّني أظنُّ أنّني أخذتُ أشربُ في المدّةِ الأخيرةِ ضعفَ ما كنتُ أشربُ في السّابقِ مِنَ الحليبِ؛ لأنّني أعدو خلفَ النّقاطِ.

ـ شكرًا، شكرًا جزيلاً سيّدةَ بشكي، فلعلّي بذلكَ أتمكّنُ مِنْ تجميعِ النّقاطِ المئةِ المطلوبةِ حتّى نهايةِ الأسبوعِ، لأنّني أخسرُ مِنَ النّقاطِ أكثرَ ممّا أجمعُهُ في هذهِ الأيّامِ.

ـ أنتَ تخسرُ النّقاطَ! هذا أمرٌ غيرُ معقولٍ ـ قالتِ السّيّدةُ بشكي

ضاحكةً ـ فأنتَ كالوَشَقِ(*) في اليَقَظةِ، كما هُوَ مَعْروفٌ.

ـ إنَّني لا أتحمَّلُ مَسؤوليَّةَ هذا الأمْرِ. رَدَّ ليْل ثُمَّ أخذَ يحكي ما وقعَ لَه منذُ أنْ قدِمتِ السَّيِّدةُ بعقوبُ، ابتداءً من نقاطِ التَّجْميعِ، وَحساءِ البَنَدورةِ، والكِتابِ.

كانتِ السَّيِّدةُ يشْكي تُصغي إلى الحكايةِ باهتمامٍ، وتهزُّ رأسَها بينَ الحينِ والآخرِ، غيرَ قادرةٍ على تَصْديقِ ما يَقَعُ. ولمَّا انْتهى ليْل قالَتْ:

ـ يا لَلَغباءِ! لقدِ اختفى الكتابُ الآنَ، وأنتَ لا تدري كيفَ ستكتَمِلُ الحكايةُ. إنَّني أعرفُ هذه المشاعرَ، فأنا أقرأُ الرِّوايةَ الَّتي تنشرُها الصَّحيفةُ عَلى حلقاتٍ، ولا أكادُ أُطيقُ الصَّبرَ حتَّى صباحِ اليومِ التَّالي. أمَّا أنتَ فيتوجَّبُ أنْ تنتظرَ ما يقربُ مِنْ أسبوعٍ. يا لَلَغباءِ!

ـ صدقتِ، إنَّ هذا أمرٌ غبيٌّ ـ قالَ ليْل ـ وإنْ كنتُ أستطيعُ أنْ أتخيَّلَ كيفَ يمكنُ للحكايةِ أنْ تسيرَ، فقدْ واصلتُ الحُلْمَ بها.

(*) ويُسمّى عنَاقَ الأرضِ، وهوَ مِنَ الحيواناتِ الثَّديّةِ الآكلةِ للّحومِ. والوَشَقُ مِنْ فصيلةِ السِّنَّوريّاتِ، وهوَ حيوانٌ شَرِسٌ، متوسِّطُ الحجمِ، ويختلفُ لونُ فِرائِهِ تبعًا للبيئةِ التي يَحيا فيها.

ـ واصلتَ الحلمَ بها! هذا لونٌ مِنَ البراعةِ. ضحكتِ السَّيِّدَةُ يشكي، ثُمَّ قالتْ: عليكَ أَنْ تواصلَ الحُلمَ بالحكايةِ! هذا أمرٌ بارعٌ تمامًا!

ـ ليسَ الأمرُ بارعًا إلى المستوى الَّذي تظنّينَ. فأنا لَمْ أحلُم بغيرِ مشهدٍ واحدٍ مِنْ مشاهدِ الحكايةِ. إنَّ الحكايةَ لَمْ تتمَّ فصولًا.

ـ لا حلَّ هنا إلّا باللُّجوءِ إلى الحُلُمِ المتواصلِ. جرّبْ فلعلَّ الحظَّ يكونُ حليفَكَ. قالتِ السَّيِّدَةُ يشكي بلهجةٍ جادَّةٍ.

ـ ولكنْ ما معنى الحُلُمِ المتواصلِ؟

ـ ألَمْ تجربْ ذلكَ مِنْ قَبلُ؟ أنا لَمْ أجرّبِ الأمرَ إلّا مرّاتٍ نادرةً. ولكنّني عندما أعيشُ هذه التّجربةَ، أتمتّعُ بأجملِ الأحلامِ.

ـ لكنّني لَمْ أعرفْ حتّى الآنَ ما معنى الحُلُمِ المتواصلِ!

ـ لا أدري كيفَ أشرحُ الأمرَ لكَ، لكنْ دعني أُقرّبُه لكَ:

يحلُمُ المرءُ بحكايةٍ، فينتهي اللَّيلُ، ويقتربُ الحلمُ مِنَ النِّهايةِ، والحكايةُ لَمْ تنتهِ بعدُ. يواصلُ المرءُ الحلمَ مِنْ حيثُ سبقَ أنْ توقّفَ في اللَّيلةِ الماضيةِ، ويبقى عَلى هذه الشّاكلةِ حتّى تنتهيَ الحكايةُ.

ـ وهلْ هذا ممكنٌ؟

ـ ليسَ في جميعِ الأحوالِ، غيرَ أنَّ الحظَّ قدْ يحالفُ المرءَ. وعندَها يتحقّقُ هذا النَّوعُ مِنَ الحُلُمِ. أكّدتِ السَّيِّدَةُ يشكي.

وقدْ كانَ لدى ليّل تساؤلٌ آخرُ:

ـ هلْ في وُسْعِ أناسٍ مختلفينَ أنْ يشاهدوا حكايةً واحدةً في الحلمِ؟ فعندما أحلمُ بأرسلانَ وحميدةَ، فهلْ يحلمانِ هما معي في الوقتِ نفسِهِ؟

كانتِ السَّيِّدَةُ يشكي تحرّكُ رأسَها حائرةً، ثُمَّ أجابتْ:

ـ هذا أمرٌ لا يقعُ في دائرةِ المستحيلِ. لكنّني لا أعتقدُ أنَّ مثلَ هذا الأمرِ يحدثُ. ثمَّ مَنْ هُم هؤلاءِ...؟

فأكملَ ليّل:

ـ أرسلانُ وحميدةُ. إنّهما تلميذانِ جديدانِ مِنْ أبناءِ صفّي. أمّا أرسلانُ فهوَ صامتٌ لا يتحدّثُ، آسفٌ، ذاكَ أسْلَمُ وليسَ أرسلانَ، وأسلمُ أميرٌ، لا يجوزُ لَهُ أنْ يتكلّمَ.

ـ وهلْ هوَ في صفّكَ؟

ـ كَلّا، كَلّا، لقدْ كانَ في الحُلُمِ.

ـ أهوَ لا يتكلّمُ؟

ـ نَعَمْ، إنّهُ لا يتكلّمُ. أمّا ابنُ صَفّي فاسمُه أرسلانُ.

ـ لقدْ فَهِمْتُ الأمرَ! وأرسلانُ يتحدّثُ بطبيعةِ الحالِ.

ـ كَلّا. إنّهُ هوَ الآخرُ لا يتحدّثُ.

ـ أرسلانُ لا يتحدّثُ أيضًا! إنّ المسألةَ معقّدَةٌ.

ـ كما أنّ أمرَ حميدةَ لا يقلُّ تعقيدًا. فاسمُها في الحلمِ حميدةُ، ومعَها منديلٌ أحمرُ مزيّنٌ بالوردِ، أسهمَ في حمايتي مِنَ العاصفةِ الرّمليّةِ.

ـ نعمْ. استوعَبْتُ الأمرَ الآنَ. إنّ حميدةَ الموجودةَ في الحلمِ تمتلكُ المنديلَ.

ـ كَلّا! إنّها حميدةُ الحقيقيةُ ابنةُ صَفّي.

ـ لقدِ اختلطتِ الأمورُ عليّ، وغدَوتُ في حَيْرةٍ مِنْ أمري، لا أعرفُ مَنْ هذا، ومَنْ ذاكَ!

ـ تمامًا. ردّ ليّل. وهذا هوَ أصعبُ ما في الحكايةِ، وهنا تكمُنُ مشكلتي. فمِنَ الضّروريّ أنْ أواصلَ الحُلُمَ بالحكايةِ إلى نهايتِها، وإلّا ازدادتْ حيرتي.

ـ لقدْ أخبرتُكَ وأكّدتُ لكَ أنّهُ لا حلَّ في هذه الحالةِ إلّا باللّجوءِ إلى الحلمِ المتواصلِ.

ـ إذَن سأعودُ إلى المنزلِ. ثُمّ نهضَ ليّل وقالَ: شكرًا جزيلًا على

النُّقاطِ، وعلى هذا الحوارِ الممتعِ.

فردّتِ السَّيِّدَةُ بشكي ضاحكةً:

ـ أنتَ هنا على الرَّحبِ والسَّعةِ. ولكنْ فيمَ العجلةُ كي تعودَ إلى المنزلِ؟ فما تزالُ السّاعةُ السّابعةَ مساءً.

ـ لا، لا. ينبغي أنْ أذهبَ إلى سريري. ردَّ ليّل في أثناءِ مغادرتِهِ للمنزلِ، ثُمَّ أضافَ: إنَّ عليَّ أنْ أخلُدَ إلى النَّومِ في الحالِ، وإلّا تعذّرَ عليَّ الحُلُمُ بالحكايةِ إلى نهايتِها.

كانَ مِنَ الطَّبيعيِّ أنْ يهطلَ المطرُ بغزارةٍ عندما غادرَ ليّل منزلَ السَّيِّدَةِ بشكي، ولمْ يكنْ ليّل قدْ حملَ معهُ معطفَهُ المطريَّ، ومَعَ أنَّهُ أسرعَ بالعودةِ إلى منزلِهِ، إلّا أنَّهُ قدْ وصلَ إليهِ وثيابُهُ مبتلَّةٌ تمامًا.

نادتْهُ السَّيِّدَةُ يعقوبُ، وطلبتْ إليهِ أنْ يأتيَ إلى المطبخِ، وهناكَ أخبرَتْهُ أنَّها تلقَّتِ اتِّصالًا هاتفيًّا مِنْ أمِّهِ وأبيهِ، وهوَ خارجَ المنزلِ.

ـ ماذا قالا؟ وكيفَ حالُهما؟ سألَ ليّل وهوَ يشعرُ بالقلقِ، وأضافَ: هلْ سيقومانِ بالاتِّصالِ ثانيةً؟

ـ لا أظنُّ، ردّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ. فقدْ أخبرتُهما أنَّكَ مرتاحٌ تمامًا، وأنَّ أمورَكَ على ما يُرامُ.

ـ هلْ تسمحينَ لي أنْ أتَّصلَ بهما؟ سألَ ليّل.

ـ لا فائدةَ مِنَ اتِّصالِكَ، فهما خارجَ الفندقِ الآنَ، لهذا قاما بالاتِّصالِ عصرَ اليومِ. ردّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ ثُمَّ تابعتْ: لَمْ أخبرْهُما أنَّكَ كنتَ سيءَ السُّلوكِ، لأنّي لَمْ أُرِدْ أنْ يشعرا بالقلقِ.

ـ يا للأسفِ. قالَ ليّل.

ـ للأسفِ! تساءلتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ. هلْ كانَ يتوجَّبُ عليَّ أنْ أخبرَهما بقصَّةِ الكتابِ؟

ـ أَعْني بكلمةِ الأسَفِ، أنَّهُ لَمْ تُتَحْ لي الفرصةُ كي أكلمَهُا أثناءَ وجودِكِ. ردَّ ليّل.

ـ إنَّ مَنْ يغادرُ منزلَهُ عصرًا، لا يحقُّ لَهُ أنْ يشكوَ عندما تفوتُهُ مكالمةٌ هاتفيَّةٌ. ردَّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

بهذا انتهى الحديثُ عَنِ الاتِّصالِ الهاتفيِّ. بعدَها طلبتْ إليهِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ أنْ يُغيِّرَ ملابسَهُ المبتلَّةَ، وأنْ يهيِّئَ نفسَهُ لتناوُلِ طعامِ العشاءِ. بعدَ أنْ تناولا طعامَ العشاءِ (المكوَّنَ مِنْ سَلَطةِ الأرزِّ والبيضِ المسلوقِ)، استأذنَ ليّل بالذَّهابِ إلى سريرِهِ لينامَ. فظنَّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ أنَّها لَمْ تحسنِ الإصغاءَ إلى ما قالَهُ، فسألَتْهُ:

ـ ماذا تريدُ؟

ـ أريدُ أنْ أذهبَ إلى سَريري. كرَّرَ ليّل قولَهُ.

ـ لماذا؟ إنَّ الضَّوءَ يملأُ الدُّنيا في الخارجِ.

ـ أستطيعُ أنْ أُسدِلَ السِّتارَ في الغرفةِ.

ـ لماذا تريدُ أنْ تنامَ مُبكِّرًا؟

ـ أريدُ أنْ أنامَ!

ـ أنتَ لا تستطيعُ إقناعي بأنَّكَ تريدُ أنْ تنامَ! لا بُدَّ أنَّ لديكَ أمرًا ما! وإيّاكَ أنْ تظنَّ أنَّكَ قادرٌ على العودةِ إلى خزانةِ الحائطِ!

ـ لا. إنَّني أريدُ فعلًا أنْ أنامَ.

ـ لا أسمحُ لكَ بذلكَ.

ـ كيفَ لا تسمحينَ لي؟ تساءلَ ليّل. لماذا لا يجوزُ لي أنْ أنامَ؟

ـ لأنَّ.. لأنَّ.. لأنَّ أدواتِ المائدةِ لَمْ تُنظَّفْ بَعْدُ.. ويبدو أنَّ هذا هو الَّذي خطرَ ببالِكَ. وأنا لا أودُّ أنْ أقومَ وحدي بتنظيفِها.

ـ حسنًا سأفعلُ ذلكَ بسرعَةٍ، وأنامُ.

فتحَ ليّل صنبورَ المياهِ، وملأَ الحوضَ، وأضافَ موادَّ التَّنظيفِ، وشرعَ ينظِّفُ أدواتِ الطَّعامِ.

ـ لِمَ العَجَلَةُ؟ يكفي أَنْ تساعدَني أنتَ في تنشيفِ الأدواتِ. وأنا سأقومُ بتنظيفِها. كانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تشعرُ بالقلقِ، لأنَّها كانتْ تخشى أنَّ لدى ليّل أمرًا سريًّا يخفيهِ عنها. وعندَما سألَتْهُ عنهُ اكتفى بالرَّدِّ: إنَّه ذاهبٌ لينامَ.

نظَّفتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ أدواتِ الطَّعامِ تنظيفًا دقيقًا وكاملاً. وكانَ ليّل يقفُ إلى جانبِها ومعَهُ فوطةُ التَّنظيفِ، وقدْ أخذَ صبرُهُ ينفَدُ. وأخيرًا انتهتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ مِنْ جَلْيِ الأدواتِ وتنظيفِ المطبخِ، فالتفتتْ نحوَ ليّل، وقالتْ لَهُ بودٍّ:

ـ أظنُّكَ ترغبُ في مشاهدةِ (التلفزيون) قبلَ أنْ تنامَ. وليسَ لديَّ مانعٌ هذه المرَّةَ.

لكنَّ ليلى لمْ يكنْ يريدُ شيئًا سِوى أنْ تسمحَ لهُ بالذَّهابِ إلى سريرِهِ. عندَها لمْ يتبقَّ لدى السَّيِّدَةِ يعقوبَ إلّا تذكيرُهُ بأنْ يقومَ بالاستحمامِ وتنظيفِ أسنانِهِ وتمشيطِ شعرِهِ.

ـ لماذا أمشِّطُ شَعري؟ إنَّني سأنامُ. احتجَّ ليلى.

ـ لا بأسَ، لا تفعلْ ذلكَ. ردَّتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ برحابةِ صَدرٍ. لكنَّ عليكَ أنْ تعودَ إلى هنا لتقولَ لي: تصبحينَ على خيرٍ.

ـ كما تشائينَ. ردَّ ليلى بنَزَقٍ، واستحمَّ بسرعةٍ، ونظَّفَ أسنانَهُ، ثُمَّ صاحَ بصوتٍ عالٍ وسريعٍ:

ـ تصبحينَ على خيرٍ!

وهكذا تمكَّنَ ليلى مِنَ الذَّهابِ إلى سريرِهِ. فأحكمَ الغطاءَ على نفسِهِ، واضْطَجَعَ على يمينِهِ، ثُمَّ على يسارِهِ، وبينَما كانَ يفكِّرُ في نهايةِ الحلمِ الأوَّلِ الَّذي شاهدَهُ، أخلدَ إلى النَّومِ، وبدأَ يحلُمُ.

الفَصلُ الخامسَ عَشَر
الحُلُمُ الثَّاني

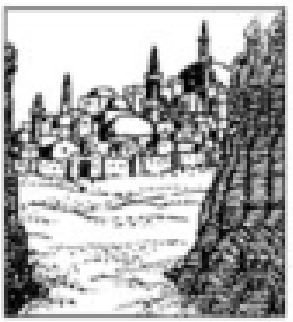

أَخَـذَتِ العاصفـةُ الرَّمليَّـةُ بالتَّـلاشي، وتوقَّفـتْ فجـأةً مِثلـما سـبقَ لَهـا أنْ هبَّـتْ فجـأةً. لحظتَهـا نهـضَ ليْـل ببـطءٍ عَـنِ الأرض، فنظَّـفَ وجهَـهُ، وهـزَّ جسـمَهُ لتَسـاقطَ حبَـاتُ الرَّمـلِ عَـنْ شـعرِه وملابسِـه.

ولَمَّـا شرعَ يتأمَّـلُ وَجَـدَ الصَّحـراءَ تمتـدُّ عَـلى مَـدى بـصرِه إلى مـا لا نهايـةَ، ولَمْ يَـرَ سِـوى الرِّمـالِ والكُثبـانِ الرَّمليـةِ.

أمَّـا الواحـةُ فقـدِ اختفـتْ، ولَمْ يعُـدْ قـادرًا عـلى رؤيتِهـا. وأمَّـا حصانُـهُ فَمِـنَ المؤكَّـدِ أنَّ العاصفـةَ أخلتْـهُ بعيـدًا، لأنَّ هـذِهِ العاصفـةَ جعلتْـهُ عاجـزًا عَـنْ تقديـرِ المسـافةِ الَّتـي قَطعَهـا وهـوَ يعـدو خلـفَ الآخريـنَ.

وقـدْ كانَ يأمـلُ وهـوَ يقـفُ تحـتَ أشـعَّةِ الشَّـمسِ أنْ يسـتطيعَ تتبُّـعَ خطـواتِ أصدقائِـهِ عَـلى الرِّمـالِ، وأنْ يعـرفَ الاتِّجـاهَ الَّـذي سـاروا فيـه، لكنَّـهُ لَمْ يسـتطعْ لأنَّ العاصفـةَ مَحَـتْ آثـارَ خطواتِهـم.

كانَ وحيـدًا في الصَّحـراءِ، لا يـدري مـا الَّـذي ينبغـي أنْ يفعلَـهُ، ولا يَـدري لمـاذا تـركاهُ يُعـاني مِـنَ الوَحـدةِ. ثُـمَّ أخـذَ يتسـاءلُ:

هلْ عليهِ أنْ يرجعَ إلى الواحَةِ؟

لكنَّهُ يُدركُ أنَّ العودةَ محفوفةٌ بالمَخاطِرِ، لأنَّ الحرسَ هناكَ.

وهلْ عليهِ أنْ يواصلَ السَّيرَ؟

كانَ يدركُ أنَّهُ سيموتُ مِنَ العطشِ لا محالةَ.

لَمْ يتوقّفْ ليّل عَنْ مناداةِ أسلمَ وحميدةَ، وقدْ خشيَ أنْ يكونَ الحرسُ على مقربةٍ منهُ، فيسمعونَهُ ويعرفونَ مكانَهُ.

ثمَّ جلسَ فوقَ الرِّمالِ عاجزًا عَنِ اتِّخاذِ قرارٍ. فقدْ غادَرَهُ الجميعُ.

أحسَّ ليّل بدموعِهِ تبلّلُ خدَّيهِ. ونظرًا لأنَّهُ وحيدٌ في الصَّحراءِ لا يراهُ أحدٌ، فقدْ تركَ هذهِ الدُّموعَ تنسابُ فوقَ خدَّيهِ، وحَنى رأسَهُ على رُكبتيهِ وشرعَ يَبكي.

فجأةً، أحسَّ ليّل بصوتٍ ما على مقربَةٍ مِنهُ. كانَ الصَّوتُ شبيهًا بتنفُّسِ حيوانٍ كالأسدِ أو لعلَّهُ حيوانٌ مفترسٌ آخرُ.

وقفَ ليّل فزعًا، ومسحَ دموعَهُ: فرأى كلبًا على مقربةٍ منهُ. كانَ كلبًا هزيلاً، بنيَّ اللَّونِ، ذا عينينِ فاتحتينِ، وبقعةٍ سوداءَ على صدرِهِ. كانَ الكلبُ ينظرُ إلى ليّل بريبةٍ وخوفٍ.

هلْ هوَ كلبٌ مَسعورٌ؟ وهلْ هوَ خطيرٌ؟ خطا ليّل بحَذَرٍ شديدٍ نحوَ الكلبِ، فتراجعَ الكلبُ. كانَ يبدو خائفًا مِنْ ليّل، بمقدارِ ما كانَ ليّل يخشاهُ.

جلسَ ليّل على الرِّمالِ، وأخذَ ينادي الكلبَ:

ـ تعالَ! هيّا تعالَ! هيّا تعالَ إليّ. وكانَ يدعوهُ بصوتٍ خفيضٍ. جاءَ الكلبُ ببطءٍ وحذرٍ.

وعندما تبيّنَ للكلبِ أنَّ ليّل لنْ يؤذيَهُ، اقتربَ منهُ، وصارَ يَتَشَمَّمُهُ.

ـ يا لَكَ مِنْ كلبٍ شجاعٍ!

وعندما أخذَ ليّل يُربِّتُ على ظهرِ الكلبِ بحذرٍ، بدأَ الكلبُ يحرّكُ ذيلَهُ بحذرٍ شديدٍ.

ـ جميلٌ أنكَ قد جئتَ! فأنا لم أعُدْ وحيدًا، حتّى لو كانَ مَنْ يصحبُني هو هذا الكلبُ.

صارَ الكلبُ بيْنَ، وتركَ المجالَ للفتى كي يُربّتَ فوقَ ظهرِهِ.

وبعدَ مدّةٍ مِنَ الزّمَنِ، ابتعدَ الكلبُ عنْ ليْل، وركضَ بضعَ خطواتٍ، ثُمّ توقّفَ وصارَ ينظرُ إلى ليْل وكأنّهُ يدعوهُ ليتبعَهُ. فسألَهُ ليْل:

ـ هلْ أجيءُ معَكَ؟ هلْ هذا قصدُكَ؟ تساءلَ ليْل وهوَ يخطو في الرّمالِ باتّجاهِ الكلبِ.

بعدها ركضَ الكلبُ بضعَ خطواتٍ أخرى، وانتظرَ.

كانَ الأمرُ شبيهًا باللّعبةِ:

يركضُ الكلبُ، ثُمّ ينتظرُ، ويقومُ ليْل بالسّيرِ نحوَهُ. وظلّا على هذه الشّاكلةِ ما يقربُ مِنَ السّاعةِ، حتّى شاهدَ ليْل زوبعةً تُرابيّةً سوداءَ.

أُصيبَ ليْل بالرُّعبِ في بادئِ الأمرِ؛ لأنّهُ ظنّ أنّ عاصفةً رمليّةً في الطّريقِ إليهِ. ثُمّ تنبّهَ إلى أنّ هذهِ العاصفةَ تقتربُ منهُ، دونَ أنْ تكبرَ كثيرًا. كانَ أحدُ الخيّالةِ قدْ صنعَ هذه الزّوبعةَ، وقدْ يكونونَ بضْعَ خيّالةٍ!

كانَ الأمرُ يبعثُ على الخوفِ. فما الّذي عليهِ أنْ يفعلَهُ إذا كانَ هؤلاءِ الخيّالةُ همُ الحرّاسُ الّذينَ جاؤوا بهِ؟ فلعلّ هؤلاءِ الحرّاسَ قدْ عثروا على خيولِهِمْ وساروا في الصّحراءِ على غيرِ هدىً، بحثًا عنهُ وعنْ أسلمَ وحميدةَ.

إنّ عليهِ أنْ يختبئَ على الفورِ في مكانِهِ.

رمى ليْل بنفسِهِ، والتصقَ بأحدِ الكُثبانِ الرّمليّةِ.

ولكنْ ماذا عنِ الكلبِ؟

لا بُدَّ أنَّهُ سيفضحُ المكانَ الَّذي يختبئُ فيهِ، إنْ لَمْ يُسرعْ ليّل ويجرَّهُ معهُ، ويُجلسَهُ إلى جانبِهِ.

ظلَّ ليّل ينادي الكلبَ بصوتٍ منخفضٍ.

ـ تعالَ أيها الكلبُ! تعالَ سريعًا! هيّا تعالَ!

بدا وكأنَّ الكلبَ سيبدأُ لعبةً جديدةً. فقدْ تقدَّمَ نحوَ ليّل، ثُمَّ تراجعَ بضعَ خطواتٍ، عندما بدأَ ليّل يحاولُ الإمساكَ بهِ.

ظلَّ ليّل ينادي الكلبَ وهوَ يشعرُ باليأسِ، لكنَّ اللُّعبةَ ظلَّتْ تتكرَّرُ. ازدادَ ليّل يأسًا وغضبًا فصرخَ:

ـ تعالَ إلى هنا أيها الكلبُ؟

اقتربتِ الزَّوبعةُ كثيرًا، فاستطاعَ ليّل أنْ يرى أنَّ التُّرابَ كانَ يُخفي أكثرَ مِنْ فارسٍ، الَّذينَ سرعانَ ما اكتشفوا الكلبَ، وليّل.

لجأَ ليّل إلى الحيلةِ، فتظاهرَ بالموتِ، وتوقَّفَ عنِ الحركةِ والتَّنفُّسِ. حتَّى أخذَ الكلبُ يشمُّ بفضولٍ قدمَي ليّل ويدَيهِ، ثُمَّ انتقلَ إلى شعرِهِ عندَما لمْ يُجدِ ليّل نوعًا مِنَ الحركةِ.

عندَها ضمَّ ليّل الكلبَ، وأمسكَ بهِ بقوَّةٍ، وعندما أرادَ أنْ يسحبَهُ نحوَهُ، هربَ الكلبُ، وبدأَ ينبحُ، وصارَ يعدو خلفَ الخيالةِ، وقدْ علا نباحُهُ.

كانَ ليّل يستلقي في ظلالِ الكثيبِ الرَّمليِّ، وقدْ تجمَّدَ مِنَ الخوفِ، دونَ أنْ يجرؤَ على النَّظرِ، وهوَ ينتظرُ لحظةً بلحظةٍ أنْ يقومَ رجالٌ أشدَّاءُ بأخذِهِ معهُمْ.

علا صوتُ النُّباحِ، وصارَ أكثرَ حدَّةً. فجأةً توقَّفتِ الخيلُ، وتلاشى

وقعُ خطواتِها، فقدِ اكتشفوا الكلبَ.

وأخذَ ليّل يتنفَّسُ مِنْ جديدٍ.

صاحَ صوتٌ أُنثويٌّ وهوَ مملوءٌ بالمفاجأةِ:

ـ هذا هوَ (موك). انظرْ يا أسلمُ! إنَّهُ الكَلبُ الشُّجاعُ!

كانَ الصَّوتُ، صوتَ حميدةَ.

قفزَ عندها ليّل.

كانَ ثَمَّةَ حصانانِ يقفانِ إلى جوارِهِ، وعَلى ظَهرَيْهِما فارسانِ عَرفَهُما في الحالِ: إنَّهما أسلمُ وحميدةُ.

نزلَ أسلمُ عَنْ جوادِهِ، وأخَذَ يُربّتُ عَلى ظهرِ الكلبِ الَّذي حيّاهُ بكلِّ ما لديهِ مِنْ إشاراتِ المحبَّةِ والودِّ.

كانتْ حميدةُ أوَّلَ مَنْ رأى ليّل. وقدْ أصيبتْ بالذُّعرِ عِندما رأتْ أمامَها كائِنًا تُرابيًّا، لكنَّها سرعانَ ما عرفتهُ، ونزلَتْ عَنْ جوادِها.

ـ ليّل! ليّل! أهذا هوَ أنتَ؟ أينَ ذهبَ جوادُكَ؟ ولماذا لمْ تبقَ معنا؟ إنَّنا نبحثُ عنكَ منذُ ساعاتٍ.

ـ لقدْ طوّحَ الحصانُ بي أرضًا، ثُمَّ اختفى. ردَّ ليّل بصوتٍ خفيضٍ، ثُمَّ قالَ: وأنا الآخرُ فتّشتُ عنكُما طويلًا.

عانقَ أسلمُ ليّل وهوَ صامتٌ. بينَما قالتْ حميدةُ:

ـ لقدْ أُصبنا بالقلقِ الكبيرِ بسببِكَ.

فأطرقَ أسلمُ.

ـ أنا في غايةِ السَّعادةِ لوجودِكُما إلى جانبي ـ قالَ ليّل وهوَ يتنفَّسُ

الصُعداءَ ـ والحمدُ للّهِ أنّنا وجدْنا بعضَنا. فحكتْ حميدةُ وهي تشعرُ بالإثارةِ:

ـ تخيّلْ أنّ الّذي دلّنا على بعضِنا هو كلبُ أسلمَ المُفضّلُ. ولعلّهُ لحقَ بنا عندما تمّ إخراجُنا مِنَ القصرِ، ثمّ أضاعَ أثرَنا بعدَ أنْ هبّتِ العاصفةُ الرّمليّةُ. إنّهُ يُدعى (موك). ثُمّ أخذتْ تُربّتُ على ظهرِ الكلبِ وتقولُ:

ـ (موك)! هذا هوَ ليثل. سلّمْ عليهِ!

ـ لا عليكِ! فلقدْ تعارَفْنا مِنْ قَبلُ رَدّ ليثل وهوَ يربّتُ على رأسِ الكلبِ، وسِرْنا معًا مسافةً طويلةً في الصّحراءِ.

ـ وماذا سنصنعُ الآنَ؟ وكيفَ ستسيرُ الأمورُ؟ سألتْ حميدةُ.

هنا أشارَ أسلمُ إلى حصانِهِ ثُمّ إلى ليثل. فسألَ ليثل:

ـ أتعني أنّني سأركبُ الحصانَ وتمشي أنتَ عَلى الأقدامِ؟

فضحكَ أسلمُ، وهزّ رأسَهُ نافيًا. ثُمّ أمسكَ أسلمُ بصديقِهِ ليثل، وقادَهُ نَحْوَ جوادِهِ، وجعلَهُ يَمتطي صَهوةَ الجوادِ، ثُمّ قفزَ فوقَ ظهرِ الجوادَ. ثُمّ امتطتْ حميدةُ جوادَها، وسارَ الثّلاثةُ سريعًا بمحاذاةِ بعضِهم بعضًا، لدرجَةِ أنّ (موك) لم يتمكّنْ مِنَ اللّحاقِ بِهِمْ.

ـ إلى أينَ نحنُ سائرونَ يا تُرى؟ سألَ ليثل حميدةَ.

ـ إلى العاصمةِ! أجابتْ حميدةُ.

ـ أليسَ في ذلكَ خطورةٌ؟ سألَ ليثل، لقدْ تمّ نفيُنا، ولا يجوزُ لَنا أنْ نعودَ إلى القصرِ بسهولَةٍ.

ـ لنْ نعودَ إلى القصرِ، أجابتْ حميدةُ، بلْ سنختفي في المدينةِ يومينِ، بعدَها يجوزُ لأسلمَ أنْ يتكلّمَ، وسيقومُ بإيضاحِ الأمورِ كلّها لوالدي.

ـ وكيفَ تجدانِ الطَّريقَ وتعرفانِ أنَّنا نسيرُ في الاتِّجاهِ الصَّحيحِ؟ أرادَ ليّل أنْ يعرفَ.

ـ إنَّ أسلمَ هو الَّذي يتولّى زمامَ القيادةِ، أجابتْ حميدةُ. وقدْ علّمَهُ شيخُهُ السُّندباذُ كيفَ يعرفُ الاتِّجاهاتِ في الصَّحراءِ والشَّمسُ في كبدِ السَّماءِ. إنَّكَ تستطيعُ أنْ تثقَ بقيادتِهِ.

ـ ولكنْ كيفَ عرفتِ هذا كلَّه؟ هلْ تحدَّثَ أسلمُ معكِ؟

ـ كَلّا. بلْ خطَّ ذلكَ بإصبعِهِ فوقَ الرَّملِ، وأشارَ إلى أنَّنا سنكونُ في المدينةِ خلالَ هذا اليومِ.

ظلّوا يسيرونَ خلالَ النَّهارِ، ولمْ يستريحوا إلّا قليلًا.

صارتِ الخيلُ أكثرَ تعبًا وبُطئًا. أمّا الكلبُ (موك)، فقدِ استطاعَ بصعوبةٍ أنْ يلحقَ بالقافلةِ.

أمّا الصَّحراءُ الرَّمليَّةُ فقدْ بدأتْ تتحوَّلُ شيئًا فشيئًا إلى صَحراءَ صخريَّةٍ، تنمو فيها بعضُ النَّباتاتِ، والعُشْبُ القاسي، وشجيراتٌ قليلةُ الأوراقِ.

ثُمَّ صارتِ الطَّبيعةُ تغدو بالتَّدريجِ أكثرَ جمالًا وبهجةً كُلَّما ساروا باتِّجاهِ العاصمةِ. فجأةً أوقفَ أسلمُ حصانَهُ، فتوقَّفَ حصانُ حميدةَ.

ـ هل سنبيتُ هنا؟ تساءلَ ليّل وهوَ يديرُ وجهَهُ إلى أسلمَ الَّذي نفى ذلكَ بهزَّةٍ منْ رأسِهِ، وأشارَ إلى الأمامِ، فحدَّقَ ليّل بقوَّةٍ في الاتِّجاهِ الَّذي أشارَ إليهِ أسلمُ.

كانتْ طلائعُ إحدى المدنِ الشَّرقيَّةِ الطَّابعِ تلوحُ بعيدًا في الأفقِ، حيثُ تظهرُ آلافُ المنازلِ البيضِ ذاتِ السُّطوحِ المُستويةِ متلاصقةً فوقَ إحدى التِّلالِ. كانتِ المنازلُ متلاصقةً إلى الحدِّ الَّذي يخيَّلُ فيهِ للمرءِ أنَّهُ يمكنُ

لَـهُ أَنْ يقفـزَ مِـنْ سـطحِ منـزلٍ إلى سَـطحِ منـزلٍ آخـرَ دونَ كبـيرِ عنـاءٍ، وأَنْ يتجـوَّلَ في أرجـاءِ المدينـةِ. وكانـتْ تبـدو في بعـضِ المواطـنِ القِبـابُ الكبـيرةُ والصَّغـيرةُ، الَّتـي تَعلوهـا الأبـراجُ البيـضُ، وتلوِّنُهـا أشـعَّةُ الشَّـمسِ أثنـاءَ الغـروبِ.

ـ هلْ هذهِ هيَ العاصمةُ؟ إنَّها جميلةٌ.

ـ ألا تـرى بوّابـةَ المدينـةِ هنـاكَ؟ لقـدْ عَبَرْنـا مِـنْ خِلالِهـا عندَمـا تـمَّ اقتيادُنـا إلى الصَّحـراءِ. أوضحَـتْ حميـدةُ، ثُـمَّ أضافـتْ: أمّـا القبَّـةُ الذَّهبيَّـةُ الَّتـي تعلـو التَّلَّـةَ فهـيَ تعـودُ للقـصرِ، حيـثُ أعيـشُ، ثُـمَّ استدركتْ قائلـةً بحـزنٍ: حيـثُ كنـتُ أعيـشُ.

قفـزَ أسـلمُ عـنْ حِصانِـه، فقفـزتْ حميـدةُ وفعـلَ ليّـلُ مثلَهـا. فبـدأتِ الخيـولُ بالرَّعـيِ وبالتَّنقُّـلِ بـينَ الأشـجارِ والصُّخـورِ.

بَـدا أسـلمُ باحثًـا عَـنْ شيءٍ مـا، حتّـى عثـرَ في خاتمـةِ المطـافِ عـلى منطقـةٍ رمليّـةٍ بـينَ الصُّخـورِ، فأشـارَ لحميـدةَ وليّـلَ أنْ يأتِيـا. فخـطَّ بإصبعـهِ فـوقَ الرَّمـلِ: «دعـوا الخيـولَ! وإلّا عَرَفَنـا الحُـرّاسُ».

ـ هـلْ سـنعودُ إلى المدينـةِ سـيرًا عـلى الأقـدامِ؟ تسـاءلَ ليّـلُ حزينًـا. ثُـمَّ أضـافَ: إنَّ المسـافةَ طويلـةٌ جـدًّا.

(لا تـزالُ رِجـلاهُ تؤلمانِـه مِـنَ الرِّمـالِ السّـاخنةِ). مسـحَ أسـلمُ مـا سـبقَ أنْ خطَّـهُ بيـدِهِ، كـي يخـطَّ مِـنْ جديـدٍ الرِّسـالةَ التّاليـةَ:

ـ «افعلوا مثلي! وإلّا عرَفنا الحُرّاسُ».

تطلّعَ ليّـلُ وحميـدةُ نحـوَهُ متسـائلَيْنِ.

خلـعَ أسـلمُ قميصَـهُ، وحكَّـهُ بإحـدى الصُّخـورِ القاسـيةِ، حتّـى بـدا قميصًـا بالِيًـا، ثُـمَّ قـامَ بنـزعِ عـددٍ مِـنْ عُـرى القَميـصِ الَّـذي مرَّغَـهُ بعـدَ ذلكَ بالتُّـرابِ

الرَّطْبِ الَّذي استخرجَهُ مِنْ حُفرةٍ مائيَّةٍ نصفِ رطبةٍ، حتّى بدا القميصُ قذِرًا وسيِّئَ المنظرِ. ثُمَّ وضعَ الطّينَ عَلى يديهِ وفوقَ وجهِهِ.

ـ هلْ مِنَ الضَّروريِّ أنْ نفعلَ ذلكَ؟ تساءلَ ليّل مترَدِّدًا.

فعلتْ حميدةُ مِثلما فعلَ أخوها، ثُمَّ قالتْ وهيَ تلطِّخُ وجهَها ورقبتَها بالطّينِ:

ـ ألَمْ تستوعبِ الأمرَ؟ إنَّ منظرَنا يشيرُ إلى أنّنا مِنَ الطَّبقةِ العُليا. وأبناءُ الطَّبقةِ العُليا همْ موضعُ اهتمامٍ، أمّا الأطفالُ القذِرونَ فلا يلتفتُ إليهم أحدٌ، وستبدو لاقتًا للنَّظرِ في هذا الزِّيِّ الغريبِ.

أطرقَ أسلمُ مبتسمًا، ثُمَّ أمسكَ بيديهِ القذرتينِ لباسَ النَّومِ الخاصَّ بالفتى ليّل، وحاولَ أنْ يمزِّقَ كُمَّهُ.

ـ ما الَّذي ستقولُهُ السَّيِّدَةُ يعقوبُ عندما تُشاهدُ ذلكَ؟ ستلْعنُني بالتَّأكيدِ. قالَ ليّل محتجًّا، وهوَ يحاولُ أنْ يسحبَ كُمَّهُ حتّى لا يتمزَّقَ.

ـ يا (فيليب)! استيقظْ وإلّا تأخَّرْتَ عَنِ المَدرسَةِ.

كانتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ تهزُّ ذراعَ ليّل وتقولُ: (فيليب)، لقدْ حانَ موعدُ استيقاظِكَ مِنَ النَّومِ. قُمْ هيّا!

ـ آه. أهوَ أنتِ؟ قالَ ليّل والنُّعاسُ يسيطرُ عليهِ، ثُمَّ نهضَ وجلسَ في سريرِهِ:

ـ هلْ أردتِ أنْ تُمزّقي كُمَّ لباسِ النَّومِ؟

ضحكتِ السَّيِّدَةُ يعقوبُ.

ـ لا أحدَ يريدُ تمزيقَهُ. لقدْ أردتُ إيقاظَكَ. هلْ صحوتَ؟ قُمْ مِنْ سريرِكَ، واذهبْ إلى الحمّامِ! وسأقومُ في هذه الأثناءِ بإعدادِ طعامِ الإفطارِ.

هـل تسـمعُني؟

ـ طبعًا، طبعًا. ردَّ ليْل وهوَ ينهضُ، ويقفزُ عَنِ السَّريرِ.

كانَ يتحـرّكُ في الحـمام وهـوَ مـا زالَ يشـعرُ بالنُعـاس، ولمْ يشـعرْ بالنَّشـاطِ إلّا بعـدَ أنِ اسـتحمَّ. ثُـمَّ ارتَـدى ملابسَـهُ سريعًـا، ونـزلَ إلى المطبـخ.

الأربعاءُ

الفَصلُ السّادِسَ عشرَ

(موك)

لَمْ تنسَ السَّيِّدةُ يعقوبُ، هذه المرَّةَ، نقاطَ التَّجميعِ. فعندما وصلَ ليبَل إلى المطبخِ ليتناولَ إفطارَهُ، وجدَ غطاءَ علبةِ اللَّبنِ الَّتي تناولَتْها السَّيِّدةُ يعقوبُ، إلى جانبِ طبقِ الطَّعامِ، نظيفًا.

ـ شكرًا على هذه النُّقطةِ. قالَ ليبَل وهوَ يجلسُ ليتناولَ الإفطارَ (واضعًا النُّقطةَ في جيبِ بنطالِهِ).

ـ هلْ ستتناولُ في هذا الصَّباحِ شيئًا سوى اللَّبنِ؟

ـ أنا أفعلُ مثلَكِ تمامًا!

ـ لكنْ إيّاكَ أنْ تنسى قطعةَ الخبزِ المدهونةَ، وقتَ الاستراحةِ المدرسيَّةِ! قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ مذكِّرةً إيّاهُ.

ـ طبعًا. طبعًا. ردَّ ليبَل، ثُمَّ أضافَ: أتعرفينَ بماذا حلمتُ في هذه اللَّيلةِ؟

ـ كيفَ لي أنْ أعرفَ؟

ـ لقد حلمتُ اللَّيلةَ بكلبٍ. كانَ كلبًا بنيَّ اللَّونِ ووفيًّا.

ـ الحمدُ للّهِ أنَّه كانَ مُجَرَّدَ حُلْمٍ.

ـ لماذا؟ تساءلَ ليبَل مُندهشًا.

ـ الكلابُ وسيلةٌ لنقلِ أسوأِ أنواعِ المَرضِ كداءِ الكَلَبِ ـ ردَّتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بحدَّةٍ ـ كما أنَّها مليئةٌ بالبَراغيثِ.

ـ غيرُ صحيحٍ على الإطلاقِ! فضلاً عنْ أنَّ براغيثَها تختلفُ عنْ براغيثِ النَّاسِ.

ـ أرأيتَ؟ براغيثُ الكلابِ! يا لَهُ مِنْ أمرٍ مُقزِّزٍ! ولكنْ لا داعي للخِلافِ حولَ هذا الأمرِ. فالأحلامُ كالرَّغوةِ سُرعانَ ما تتلاشى!

ونظرًا لأنَّ ليتل لمْ يكنْ يمتلكُ الرَّغبةَ ليتشاجرَ مَعَ السَّيِّدةِ يعقوبَ حولَ الكِلابِ الَّتي يراها في منامِهِ، فقدْ شربَ علبةَ اللَّبنِ، وفتحَ الثَّلاجةَ، واستخرجَ منها قطعةَ الخُبزِ، وانطلقَ صَوبَ مدرستِهِ.

وفي اللَّحظةِ الَّتي أرادَ أنْ يتَّجهَ فيها نحوَ شارعِ (هيردر) قادمًا مِنْ شارعِ (فريدريش روكرت)، تَسَمَّرَ في الشَّارعِ، وأخذَ يحدِّقُ في الجانبِ الآخرِ مِنْ هذا الشَّارعِ، حيثُ كانَ يُقْعي أمامَ سياجِ إحدى الحدائقِ الكلبُ الَّذي رآهُ في منامِهِ.

قامَ ليتل باجتيازِ الشَّارعِ.

نهضَ الكلبُ عندما اقتربَ ليتل منهُ، وصارَ يُحرِّكُ ذيلَهُ، وأخذَ يعدو نحوَ ليتل، ويتحسَّسُ يديهِ، وينظرُ إليهِ نظراتٍ مملوءةً بالأملِ.

كانَ هذا الكلبُ هو (موك) دون أدنى شكٍّ. وكانتْ لهُ عيناهُ الفاتحتان، مثلما كانَ على صدرِهِ البقعةُ السَّوداءُ ذاتُها. أمْ تُرى كانَ هوَ الكلبَ الضَّالَّ نفسَهُ الَّذي قامتِ السَّيِّدةُ (يشكي) بإطعامِهِ يومَ أمسِ؟ فقدْ كانَ لهُ هوَ الآخرُ بقعةٌ سوداءُ فوقَ صدرِهِ.

ـ مرحبًا يا (موك)! قالَ ليتل.

حرَّكَ الكلبُ ذَنَبَهُ بقُوَّةٍ.

ـ إنَّني أُناديكَ (موك)، بغضِّ النَّظرِ عَمَّنْ تكونُ. قالَ ليتل، ثُمَّ أضافَ: تعالَ! تعالَ معي يا (موك)!

فلحقَ الكلبُ بِهِ ببساطَةٍ.

ـ اجلِسْ يا (موك)! فجلسَ الكلبُ، وأخذَ يتطلَّعُ إلى ليّل بِتَفَحُّصٍ.

فتحَ ليّل حقيبتَهُ المدرسيَّةَ، فأدخلَ (موك) رأسَهُ داخلَ الحقيبةِ.

ـ ابتعدْ! قالَ ليّل ضاحكًا، وهوَ يُبعدُ رأسَ (موك) بعيدًا، ثُمَّ قالَ: أنتَ تعلمُ تمامًا ما سأعطيكَ.

استخرجَ ليّل قطعةَ الخبزِ المخصَّصةَ للاستراحةِ مِنْ ثنايا حقيبتِهِ، وأزاحَ المِنديلَ الورقيَّ عنها، واقتطعَ منها جُزءًا صغيرًا، وناولَها للكلبِ (موك) الَّذي أخذَها مِنْ يَدِهِ، وأكلَها بشيءٍ مِنَ الحَذَرِ.

ـ إنَّها باردةٌ بعضَ الشَّيءِ، فقد كانتْ في الثَّلاجةِ. قالَ ليّل معتذرًا. لكنَّ (موك) أصدرَ صوتًا يوحي أنَّهُ راغبٌ في المَزيدِ مِنْ هذا الخُبزِ البارِدِ.

ظلَّ ليّل يُناولُ (موك) قطعةً وراءَ أُخرى، ثُمَّ أخذَ يُلاعبُهُ، فيقولُ لهُ على التَّوالي: هيّا اجلِسْ! هيّا تعالَ! ثُمَّ تنبَّهَ إلى أنَّهُ في الطَّريقِ إلى المَدرسةِ، وأنَّهُ يتوجَّبُ عليهِ أنْ يكونَ في الصَّفِّ مُنذُ وقتٍ مُبكِّرٍ. فأخذَ يُهرولُ ويركُضُ ما تبقَّى لهُ مِنَ الطَّريقِ.

ظنَّ (موك) أنَّ هذا الَّذي يقومُ بِهِ ليّل هوَ لعبةٌ أُخرى جديدةٌ، فَشَرَعَ يركضُ خلفَهُ تارةً، وأمامَهُ تارةً أخرى، وصارَ يحاولُ أنْ يُلاعِبَهُ فيمسكَ بحقيبتِهِ المدرسيَّةِ.

أخيرًا وصلَ ليّل إلى المدرسةِ وهوَ يلهثُ، وأنفاسُهُ تتلاحَقُ. كانتِ الحِصَّةُ قدْ بدأتْ مُنذُ زمنٍ، ولَمْ يكُنْ أحدٌ مِنَ الطَّلبةِ خارجَ الصُّفوفِ، فقدْ كانوا جميعًا في صفوفِهِمْ. وكانَ مِنَ الصَّعبِ على ليّل أنْ يُقنعَ (موك) باستحالةِ أنْ يأخُذَهُ معهُ إلى المدرسةِ، فقدْ كانَ (موك) يريدُ أنْ يتسلَّلَ عبرَ بوابةِ المدرسةِ إلى الدَّاخلِ. لكنَّ ليّل تحدَّثَ مَعَ (موك) بلُطفٍ، وربَّتَ

عليهِ، وأبعدَهُ عَنْ بابِ المدرسةِ، وأغلقَ البابَ خلفَهُ بِسرعةٍ. فصارَ ليّل في الدّاخلِ، وبقيَ (موك) في الخارجِ.

كان ذلكَ حسنًا، لكنَّ السّاعةَ كانتْ تشيرُ إلى الثّامنةِ وإحدى عشرةَ دقيقةً، وهو أمرٌ غيرُ حسنٍ؛ لأنَّ الحصّةَ تبدأُ في الثّامنةِ. فاتّجهَ ليّل إلى غرفةِ الصَّفِّ وهو يشعرُ بالإحباطِ.

فَجْأةً تَذكَّرَ أنَّ اليومَ هوَ يومُ الأربعاءِ. فسُرِّيَ عنهُ، وشعرَ بالارتياحِ، وتوجَّهَ نحوَ غرفةِ الصَّفِّ. كانتِ الحصّتانِ الأولى والثّانيةُ في هذا اليومِ مخصَّصتَيْنِ للرَّسمِ الّذي يدرّسُهُ المعلّمُ السَّيِّدُ (غولتبوت) «كانتِ الحصّةُ تُسمّى -في الواقعِ- التَّربيةَ الفنّيّةَ». وعندَما يأتي الطّالبُ متأخّرًا في هذه الحصّةِ، فإنَّ الأمرَ محتملٌ قياسًا إلى دروسِ السَّيِّدةِ (كلوبي) الّتي تطلُبُ إلى التّلميذِ أنْ يعتذرَ عنْ تأخُّرِهِ في الغالبِ.

الفصلُ السّابعَ عشرَ

درسُ الرّسم

كانَ السَّيِّدُ (غولتنْيوت) يجلسُ مُتوارِيًا خلفَ الجريدَةِ، فَلَمْ تكنِ الحِصَّةُ عندَهُ قدْ بدأتْ، لأنَّ (إلفيرا) ما تزالُ توزِّعُ الأوراقَ المُخَصَّصةَ للرَّسمِ. لهذا تسلَّلَ ليَتَسلَّلَ، وَمَرَّ مِنْ أمامِ المعلِّمِ، ووصَلَ إلى مقعَدِهِ دونَ أنْ يلفتَ نظرَهُ. كما أنَّ السَّيِّدَ (غولتنيوت) لمْ يتنبَّهْ إلى الأمرِ عندما توقَّفتْ (إلفيرا) عَنْ توزيعِ الأوراقِ، وخاطَبَتِ المُعلِّمَ قائلةً:

ـ سيِّدَ (غولتنيوت)! لقدْ وصلَ (بيليب) مُتأخِّرًا!

كانَ المعلِّمُ يقرأُ الجريدةَ باستغراقٍ، فَأَخَذَ يتساءَلُ:

ـ كيفَ؟ ماذا؟ عفوًا؟ ماذا جَرى؟

ـ لقدْ وصلَ (بيليب) مُتأخِّرًا. كرَّرتْ (إلفيرا) القولَ.

حدَّقَ المعلِّمُ في غرفَةِ الصَّفِّ. كانَ ليَتَسلَّلُ يجلسُ منذُ زمنٍ في مقعدِهِ، لِهذا سألَ المعلِّمُ (غولتنيوت) بتعَجُّبٍ:

ـ مَنْ هو الَّذي وصلَ متأخِّرًا؟

ـ إنَّهُ بيليب. قالتْ (إلفيرا) للمرَّةِ الثّالثَةِ.

ـ (إلفيرا). أيَّتُها الآنسةُ! قالَ المعلِّمُ بلهجةٍ مُتساهِلَةٍ، وهوَ يطوي الجريدَةَ:

أوَّلًا إنَّه ليسَ (بيليب). إنَّ اسمَهُ (فيليب). ثانيًا: إنَّهُ يجلسُ هناكَ في مقعدِهِ، إذا لَمْ أكنْ مخطِئًا. فهلْ يمكنُ أنْ يأتيَ متأخِّرًا طالبٌ يجلسُ على مقعدِهِ؟ لا بأسَ!

وبعدَ أنِ اتَّضحَ الأمرُ، نظرَ المعلِّمُ إلى جريدَتِهِ بتردُّدٍ، وهوَ يفكِّرُ بفَتْحِها

مِنْ جديدٍ ليستأنِفَ القراءةَ فيها. لكنَّهُ توصَّلَ في خاتمةِ المَطافِ، إلى أنَّهُ لَمْ يعُدْ فيها ما يَستحقُّ القراءةَ. لهذا وقفَ، واتَّكأَ على المِنصَّةِ، وقالَ:

ـ انتباهْ! سَنبدأُ حِصَّةَ الرَّسمِ!

توقَّفَ الجميعُ عَنِ الكلامِ، وتوجَّهوا بأنظارِهِمْ نحوَ المعلِّمِ الَّذي بَدَأَ يقولُ: ـ انتبهوا جيِّدًا، فلنْ أوضِّحَ الأمرَ إلَّا مرَّةً واحدةً!

أوَّلًا: يتوجَّبُ استخدامُ قلمِ الرَّصاصِ في الرَّسمِ. هذهِ مسألةٌ في غايةِ الأهمِّيَّةِ. هَلْ سمعتُمْ؟ قلمُ الرَّصاصِ وحدَهُ! وَمِنْ غيرِ الجائزِ استخدامُ الأقلامِ الأخرى كالرِّيشةِ وقلمِ الحبرِ وقلمِ التَّخطيطِ... إلخ.

ثانيًا: التَّلوينُ. يتمُّ باستخدامِ الألوانِ المائِيَّةِ. هذا أمرٌ مهمٌّ. وَمِنْ غيرِ المَسموحِ استخدامُ أقلامِ الشَّمعِ الملوَّنةِ أو الطَّباشيرِ أوْ أقلامِ التَّلوينِ أو الأقلامِ السَّائلةِ.

ثالثًا: بخصوصِ مزجِ الألوانِ، عليكُمْ أنْ تقوموا بمزجِ هذهِ الألوانِ على غِطاءِ عُلبةِ الألوانِ، وإيَّاكُمْ أنْ تمزجوا الألوانَ داخلَ العُلبةِ!

رابعًا: ينبغي أنْ يكونَ الرَّسمُ على ورقةٍ كبيرةٍ. على ورقةٍ، انتبهوا! ومِنْ غيرِ المسموحِ الرَّسمُ على أوراقٍ مُرَبَّعةٍ أو مُسطَّرةٍ، أو على أوراقٍ مُنتزَعةٍ مِنْ دفاترِكُمْ، أو على أوراقِ التَّسويدِ أو أوراقِ المُلاحظاتِ، أو أيَّةِ أوراقٍ أخرى تحملونَها معَكُمْ. ثُمَّ أنهى كلامَهُ بقولِهِ:

ـ هَلْ هناكَ أسئلةٌ؟

ـ هلْ مِنَ المَسموحِ الرَّسمُ على ورقِ الكرتونِ؟ سألَ ليئل.

ـ سؤالٌ مهمٌّ. قالَ المعلِّمُ مُثنيًا على السُّؤالِ، ثُمَّ أضافَ: ولكِنْ كيفَ يمكِنُكَ أنْ تحصُلَ على قطعةِ كرتونٍ بسرعةٍ؟

ـ عَلى الجِهَةِ الخلفيَّةِ مِنْ دفترِ الرَّسمِ! أجابَ ليثل.

ـ هـذا ذكاءٌ كبيرٌ! لا. الكرتونُ غيرُ مسموحٍ أيضًا، ثُمَّ قالَ: هلْ هُناكَ أسئلةٌ أخرى؟

ـ ما الَّذي يتوجَّبُ عَلينا أَنْ نَرسُمَهُ؟ سألتْ (باربرا).

ـ عفوًا! أنسيتُ أَنْ أذكرَ ذلكَ لكُمْ؟ سألَ المعلِّمُ، ثُمَّ اعْتَذَرَ قائلًا: هذا أمرٌ قَدْ يقعُ في مِثْلِ سِنّي. حسنًا، يمكنُ لكلٍّ مِنكُمْ أنْ يرسُمَ حيوانَهُ الَّذي يُفضِّلُهُ. فعلى كلِّ واحدٍ منكُمْ أنْ يفكِّرَ بالحيوانِ الَّذي يُفضِّلُه، ثُمَّ يرسُمَهُ. هيّا ابدَؤوا!

رسمَ أرسلانُ أسدًا. ورسمَتْ حميدةُ عُصفورَ الكَناري، وكانَ محبوسًا في قفصٍ.

وقرَّرَ ليثل أَنْ يرسُمَ كلبًا. إنَّ ليثل لا يكرَهُ الرَّسمَ، لكِنَّ الشِّعْرَ يمنَحُهُ مُتعَةً كُبرى؛ لِذا قرَّرَ أنْ يجمَعَ بينَ الرَّسمِ والشِّعرِ، فرَسمَ كلبًا في الجزءِ العُلويِّ مِنَ الورقةِ. لَمْ يكنِ الكلبُ ضخمًا، لكنَّهُ قابلٌ للرُّؤيةِ بالعينِ المُجرَّدَةِ.

الكلبُ

الكلبُ أفضلُ عندي

وهو الأثيرُ المُبجَّلْ

للكلبِ ذيلٌ طويلٌ

رأسٌ وأربعُ أرجُلْ

رأى ليثل أنَّ الأبياتَ الشِّعريَّةَ مناسبةٌ تمامًا للموضوعِ. لكنَّ المعلِّمَ بعدَ أَنْ تأمَّلَ ورقةَ الرَّسمِ، وحدَّقَ فيها طويلًا، قالَ:

ـ الكلبُ صغيرُ الحجمِ، وينبغي أنْ يكونَ أكبرَ حجماً، وأضافَ: أنا غيرُ مختصٍّ بالأدبِ، لكنّني أرى قَلَقًا في الأبياتِ.

ـ لماذا؟ إنّها أبياتٌ موزونةٌ!

حكَّ المعلِّمُ ذقنَهُ بظُفرِ إبهامِهِ (وهوَ ما يفعلُهُ عندما يكونُ في لحظةِ تأمُّلٍ)، ثُمَّ قالَ: كيفَ يكونُ الكلبُ مُبجَّلاً؟ ثُمَّ إنَّ هناكَ ألفاظًا مقاربةً في المَعنى. رأى ليّلُ أنَّ المعلِّمَ على حقٍّ، فمَحا القصيدةَ الأولى، وكتبَ بدلاً منها:

الكلبُ

الكلبُ أحسنُ عندي

فهوَ الصَّديقُ المُفضَّلْ

إنْ نوديَ الكلبُ يومًا

تراهُ في الحالِ هَرْولْ.

لم يُبدِ المعلِّمُ اعتراضًا على الأبياتِ الشِّعريَّةِ الأخيرةِ؛ لهذا خرجَ ليّل مَعَ زملائِهِ إلى الاستراحَةِ وهوَ يشعرُ بالسُّرورِ.

بَعدَ الاستراحَةِ كانتْ هناكَ ثلاثُ حصصٍ: حصّةُ إملاءٍ، وحصّةُ رياضيّاتٍ، وحصّةُ موسيقا.

الفصلُ الثّامنَ عشرَ

عَصرٌ قصيرٌ

غادرَ ليّل المدرسةَ بصحبةِ أرسلانَ وحميدةَ. وكانَ متشوِّقًا ليعرفَ إنْ كانَ الكلبُ ما يزالُ ينتظرُهُ خارجَ المدرسةِ، لكنَّ الكلبَ كانَ قدِ اختفى.

كانَ ليّل لا يتوقَّفُ عَنِ النِّداءِ:

ـ (موك)، (موك)، وعيناهُ تبحثانِ عنهُ على امتدادِ الشّارعِ.

ـ مَنْ تُنادي؟ سألَتْهُ حميدةُ في خاتمةِ المَطافِ.

ـ أَنتِ تسمعينَ مَنْ أُنادي. أجابَ ليّل.

ـ صحيحٌ، ولكِنْ مَنْ هو (موك) هذا؟ أهوَ واحدٌ مِنْ أبناءِ صَفِّنا؟ تساءلَتْ حميدةُ.

ـ كُفّي عَنْ ذلكَ! قالَ ليّل ساخِطًا، فأنتِ تعلمينَ عَلى وجهِ التَّحديدِ مَنْ هوَ (موك). إنَّهُ كلبٌ.

ـ كيفَ أعرفُ ذلِكَ؟ تساءلَتْ حميدةُ. فأنتَ لَمْ تحدِّثْني عَلى الإطلاقِ، بأنَّ لديكَ كلبًا.

ـ ليسَ لديَّ كلبٌ. قالَ ليّل.

ـ ليسَ لديكَ كَلبٌ؟ لماذا تُناديهِ إذنْ؟ سألَتْ حميدةُ، بينما ضَحِكَ أرسلانُ.

ـ إنَّني أُناديهِ لأنَّ...

ـ لأنَّهُ ماذا؟ تساءلتْ حميدةُ.

لَمْ تكنْ عندَ ليّل رغبةٌ في مزيدٍ مِنَ الإيضاحِ، فقالَ وهوَ يتعمَّدُ إنهاءَ الحديثِ:

ـ لأنَّ عليَّ أنْ أذهبَ إلى المنزلِ. إلى اللُّقاءِ غدًا.

وكانوا قَدْ وَصلوا إلى شارعِ (فريدريش روكرت)، فانحرفَ ليّل إلى جهةِ اليمينِ، وواصلَ أرسلانُ وحميدةُ مشيَهُما على امتدادِ الشّارعِ.

ـ إلى اللّقاءِ غدًا. ردَّتْ حميدةُ. بينما لوَّحَ أرسلانُ بيدِه وهوَ يبتسمُ.

وفي اللَّحظةِ الَّتي وصلَ فيها ليّل إلى منزلِهِ، وأرادَ أنْ يفتحَ بوّابتَهُ، رأى (موك)، كانَ يجلسُ غيرَ بعيدٍ عَنْ منزلِ السَّيِّدةِ (يشكي)، ويُمصمصُ إحدى العِظامِ، بينما كانتِ السَّيِّدةُ (يشكي) تنظرُ إلى الكلبِ مِنْ نافذةِ المطبخِ نظرةً مَلؤُها العطفُ والشَّفقةُ.

قامَ ليّل باجتيازِ الشّارعِ.

ـ مرحبًا سيِّدةُ (يشكي)! ها هو الكلبُ. لقدْ فتشتُ عنهُ في كلِّ مكانٍ. صاحَ ليّل.

ـ مرحبًا ليّل. ردَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي)، لقدْ أعطيتُهُ شيئًا ليأكلَهُ. لكنَّني أريدُ أنْ أعرفَ مالكي هذا الكلبِ، فلعلَّهُ ضلَّ عَنْ منزلِهِمْ أو لعلَّهُمْ فَشلوا في العُثورِ عليه.

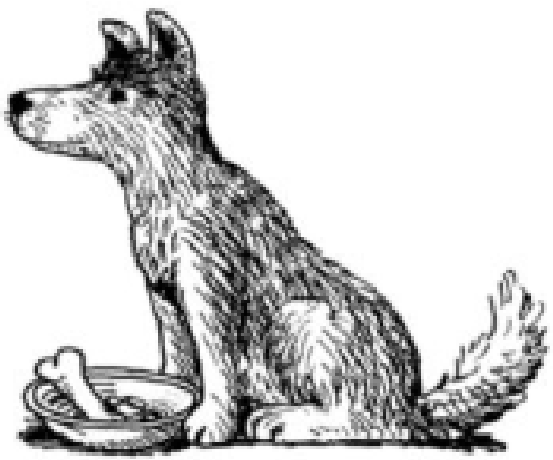

ـ إنَّني أعرفُ اسمَهُ. إنَّهُ يُدْعى (موك).

ـ وكيفَ عرفتَ ذلِكَ؟

ـ لقدْ حلمتُ بِهِ!

ـ حلمتَ بِهِ! آمَلُ أنْ يكونَ الكلبُ هوَ الآخرُ قد حَلمَ بذلكَ، وإلّا فهوَ لَنْ يعرِفَ عَنِ اسمِهِ شيئًا! قالتِ السَّيِّدَةُ (يشكي) ضاحكَةً، ثُمَّ تساءلَتْ: ولكِنْ ماذا عَنِ الحُلُمِ المُتواصِلِ؟ هَل استطعتَ تنفيذَ ذلكَ؟ وهلْ واصلْتَ الحلمَ بحكايتِكَ إلى نهايتِها؟

ـ أجلْ. أعني كَلّا. لقدِ استطعتُ أنْ أقومَ بحلمٍ مُتواصِلٍ، لكنَّ الحكايةَ لَمْ تصلْ بعدُ إلى نهايتِها، وعليَّ أنْ أذهبَ اليومَ إلى سَريري في وقتٍ مبكّرٍ جدًّا، وإلّا فإنَّ الحلمَ لَنْ يصلَ بي إلى نهايةِ الحكايةِ.

ـ إذن لَنْ تستطيعَ زيارتي عَصْرَ هذا اليوم. قالتِ السَّيِّدَةُ (يشكي) وهيَ تشعرُ بالأسَفِ، ثُمَّ أضافتْ: إنَّ الأحلامَ هي الأخرى على جانبٍ كبيرٍ مِنَ الأهمِّيَّةِ. إلى اللّقاءِ غدًا.

ـ إلى اللُّقاءِ. ردَّ ليْل وهوَ يعدو، ويجتازُ الشّارعَ عائدًا إلى منزلِه.

قامتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بتأنيبِ ليْل، لأنَّهُ عادَ إلى المنزلِ متأخِّرًا، ولأنَّ الطَّعامَ قَدْ بَرَدَ، وصارَ يحتاجُ إلى تسخين. ونظرًا لأنَّ ليْل لَمْ يَردَّ، توقفتِ المرأةُ عَنِ الكلامِ في الحالِ، وبدأ كلٌّ منهما يتناولُ طعامَ الغداءِ بصمتٍ. بعدَ الفراغِ مِنَ الطَّعامِ ساعَدَها ليْل في تنشيفِ أدواتِ الطَّعامِ الَّتي قامتْ بتنظيفِها، ثُمَّ أنهى واجباتِه المدرسيَّةَ، مثلما يفعلُ عصْرَ كلِّ يومٍ.

بعدَ أنْ أنهى واجباتِهِ، فكَّرَ أنْ يقومَ بمحاولةٍ للحصولِ على الكتابِ، فسألَ عنْهُ، وعندما أجابتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ في الحالِ: «لا، لَنْ تحصُلَ على الكتابِ ثانيةً»، أدركَ ليْل أنَّ خطَّطهُ يسيرُ سَيرًا حسنًا، فصمَّمَ على الذَّهابِ في الحالِ إلى سريرِهِ.

ـ هلْ هناكَ ما ينبغي عليَّ أنْ أقومَ بِهِ؟ سألَ ليْل.

ـ كَلَّا. ولكنْ ما معنى هذا السُّؤالِ؟

ـ لأنَّني أريدُ أنْ أذهبَ إلى سريري في الحالِ.

ـ إلى سريرِكَ؟ هلْ أنتَ مريضٌ؟

ـ لا، إطلاقًا. إنَّني أريدُ أنْ أنامَ.

ـ تنامُ؟ الآنَ! مازالَ الوقتُ مبكِّرًا على الذَّهابِ إلى السَّريرِ، إنَّكَ لا بُدَّ تُخفي شيئًا عنِّي! فأنتَ لا تُريدُ، في حقيقةِ الأمرِ، أنْ تنامَ!

ـ لا، أبدًا. لماذا لا تسمحينَ لي بالنَّومِ؟ وبخاصَّةٍ أنَّني أشعرُ بالتَّعبِ. تساءَلَ ليْل.

ـ هذا أمرٌ غيرُ طبيعيٍّ. فما يزالُ الضَّوءُ يملأُ أرجاءَ المكانِ في الخارجِ.

ـ سيحلُّ الظَّلامُ عمَّا قريبٍ. ردَّ ليْل.

ونظرًا لأنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ كانتْ تحدِّقُ فيه مُندهشةً، وتهزُّ رأسَها غيرَ مصدِّقةٍ، أكَّدَ لها الأمرَ ثانيةً بقولِهِ: «سيحلُّ الظَّلامُ عمَّا قريبٍ!» ونظرًا لأنَّ حديثَه بدا غيرَ ذي جَدوى أضافَ:

ـ إنَّ أبي وأمّي يسمحانِ لي بالذَّهابِ إلى سريري في اللَّحظةِ الَّتي أشعرُ فيها بالتَّعبِ.

ـ أتريدُ أنْ تقولَ إنَّني لا أسمحُ لكَ بذلكَ؟ سألتْهُ السَّيِّدةُ يعقوبُ، ثُمَّ أضافتْ: اذهَبْ إلى سريرِكَ، إذا كنتَ مُصرًّا على ذلكَ!

فقالَ ليّل للسَّيِّدةِ يعقوبَ بفرحٍ: تصبحينَ على خيرٍ، وذهبَ إلى غرفتِهِ. وعندما همَّ أنْ يستلقيَ فوقَ سريرِهِ، تذكَّرَ أنَّ أسلمَ والأميرةَ حميدةَ قدْ لفتا نظرَهُ إلى أنَّ «زيَّهُ الغريبَ» لا يتناسبُ معَ أجواءِ الحكايةِ. وقدْ أدركَ ليّل، حقيقةً، أنَّ زيَّهُ لافتٌ للانتباهِ، وبخاصَّةٍ عندما يتجوَّلُ في إحدى المُدُنِ الشَّرقيَّةِ وهوَ يرتدي لباسَ النَّومِ الَّذي جَرى قَطْعُ كُمَّيهِ، ولُطِّخَ بالطِّينِ كَي يبدوَ ليّل إنسانًا زَرِيَّ الهَيئَةِ.

ثُمَّ تساءَلَ ما إذا كانَ عندَهُ رداءٌ يستطيعُ عندما يرتديهِ أنْ يتجوَّلَ في المدينةِ دونَ أنْ يلفتَ الأنظارَ؟ إنَّ لديهِ زيًّا شرقيًّا أبيضَ اللَّونِ، ولهذا الزِّيِّ عِمامةٌ كذلكَ، وهوَ زيٌّ يتشابَهُ معَ أزياءِ النَّاسِ الَّتي يرتدونَها في المدينةِ. هذا صحيحٌ، فقدِ ارْتدى في الكَرنفالِ الَّذي أُقيمَ في آذار زيًّا يُشبِهُ زيَّ الحاجِ خلَفِ عُمَرَ! (وهيَ شخصيَّةٌ تَعَرَّفَ إليها مِنْ خِلالِ الحكاياتِ الشَّرقيَّةِ الَّتي اعتادَ قراءَتَها) وهذا الزِّيُّ موجودٌ في خِزانتِهِ، وما عليهِ إلَّا أنْ يَبحثَ عَنْهُ.

بدأَ ليّل يبحثُ عَنِ الزِّيِّ فعثرَ عليهِ في الخزانةِ، ثُمَّ شُرعانَ ما عثرَ على العِمامةِ. كانَ الزِّيُّ والعمامةُ مملوءَينِ بالتَّجاعيدِ، وغيرَ نظيفينِ، لأنَّ

ليّل رَماهما بعدَ انتهاءِ الكرنفالِ في الخزانةِ، لكنَّ ذلكَ كانَ مناسبًا تمامًا لأجواءِ الحكايةِ.

خلعَ ليّل ملابسَ النَّومِ في الحالِ، وارْتدى ملابسَهُ الشَّرقيَّةَ، لكنَّهُ لاحظَ أنَّ العباءةَ كانتْ ثقيلةً تمامًا، وعندما أرادَ ليّل أنْ ينامَ على جانبِهِ الأيمنِ أدركَ سببَ ذلكَ، فقدْ كانَ في جيبِهِ المصباحُ البدويُّ الَّذي يبحثُ عنهُ منذُ ما يقربُ مِنْ ثلاثةِ أشهُرٍ. فقدْ زارَ السَّيِّدةَ (يشكي) ذاتَ مساءٍ، وأخذَ معَهُ مصباحَهُ البدويَّ، وهاهُوَ يعثرُ عليهِ مصادَفَةً في هذا الزِّيِّ الشَّرقيِّ.

ـ عظيمٌ، هذا أمرٌ مُناسبٌ تمامًا. فعندما أصحو ليلاً يكونُ المِصباحُ البدويُّ إلى جانبي، وأستطيعُ أنْ أضيءَ بِهِ غُرفتي!

أدارَ وجهَهُ للحائطِ، وسحبَ الغطاءَ على وجهِهِ، ليُصبحَ جوُّ الغرفةِ أكثرَ ظلامًا، ووَغفا في الحالِ، وبدأَ يحلمُ.

الفصلُ التّاسعَ عشرَ
الحلمُ الثّالثُ

كانَ المَساءُ قدْ حلَّ عندما وصلَ ليّل وحميدةُ وأسلمُ ومعهُم الكلبُ (موك) إلى بوّابةِ المدينةِ. وقدْ عَبرَ البوّابةَ معهُم حَشْدٌ كبيرٌ مِنَ النّاسِ الّذينَ كانوا عائدينَ إلى العاصمةِ؛ لأنَّ المساءَ قَدْ حلَّ، ولأنَّ بوّابةَ المدينةِ ستُغْلَقُ عندَ حُلولِ اللّيلِ، وسينامُ في العَراءِ كلُّ مَنْ يتأخّرُ عَنِ الدُّخولِ في الوقتِ المُناسبِ.

خَلَعَ ليّل عمامَتَهُ عنْ رأسِهِ، وصَنَعَ مِنها حَبْلاً قُماشيًّا رفيعًا، وربطَهُ على عُنقِ (موك)، فقدْ خَشِيَ أنْ يفقدَ الكلبَ في خِضَمِّ هذِهِ الحشودِ البشريّةِ.

عَبَرَ الثّلاثةُ البوّابةَ، ومرّوا بالحُرّاسِ وهم مُنْتبِهونَ بينَ الحُشودِ الكبيرةِ مِنْ أصحابِ المِهَنِ وَالتُّجّارِ والمتَسوِّلينَ. وكانَ مَعَهُمْ رُعاةُ الأغنامِ الّذينَ يقودونَ قُطعانَ الماشيةِ، وفلّاحونَ يركبونَ الحميرَ، وتُجّارٌ يركبونَ البِغالَ، وأطفالٌ كثيرونَ عائدونَ مِنَ العَمَلِ في الحقولِ.

ـ الحمدُ للّهِ أنّنا رَبطنا خيولَنا إلى جانبِ الصُّخورِ. قالَ ليّل بصوتٍ غيرِ مرتفعٍ موجّهًا كلامَهُ لحميدةَ وأسلمَ، ثُمَّ أضافَ: إنَّ منظرَنا كانَ سيلفتُ الأنظارَ بقوّةٍ. فأطرقَ أسلمُ موافقًا.

فأضافتْ حميدةُ:

ـ حسنٌ أنّكَ قمتَ بتغييرِ زيِّكَ، فقدْ كنتَ ستلفتُ الأنظارَ بزيِّكَ

الغريبِ. لكنْ علينا أنْ نُسرعَ، فالظَّلامُ سيحلُّ عمّا قريبٍ.

ـ هذا صحيحٌ. فالظَّلامُ سيحلُّ قريبًا. قالَ ليّل، ثُمَّ تساءلَ: أينَ ستنامُ يا تُرى؟

ـ علينا أنْ نجدَ نكبّةً أو نُزُلًا. ردّتْ حميدةُ.

أخذَ الثَّلاثةُ يتجوّلونَ في أرجاءِ المدينةِ بحثًا عنْ مأوىً، ويفتّشونَ في الحواري الضَّيّقةِ وَالمتعرُّجةِ.

كانَ النّاسُ، في تلكَ الأثناءِ، قدْ تركوا بيوتَهم، وخَرجوا إلى شوارعِ المدينةِ؛ لأنَّ حرارةَ الطَّقسِ قدْ تراجعتْ، وبدأَ الهواءُ يهبُّ على نحوٍ منعشٍ. كانَ النّحّاسونَ يجلسونَ فوقَ كراسيهم ويصنعونَ مَراجلَ الماءِ مِنْ صفائحِ النُّحاسِ، وكانَ الإسكافيّونَ يصنعونَ الصّنادلَ، والخيّاطونَ يقومونَ بتفصيلِ القفاطينِ، والنّجّارونَ يصقلونَ الأخشابَ، وصانعو السُّلالِ، وقاطعو الأخشابِ، وناسجو السّجّادِ، وصانعو الزُّجاجِ يعكفونَ على أعمالِهم. وكانَ التُّجّارُ يقفونَ أمامَ دكاكينِهم؛ ليستقبلوا الزّبائنَ، ويفاوضوهُم حولَ الأسعارِ.

بعدَ مدّةٍ عثرَ الثَّلاثةُ على النُّزُلِ المطلوبِ عندما قرؤوا يافطةً قدْ كُتبَ عليها :

نُزُلُ الحياةِ السَّعيدةِ

الإقامةُ المُريحةُ والرُّخيصةُ

دخلوا إلى الصَّحنِ الدّاخليِّ للنُّزُلِ، بعدَ أنْ عبروا البوّابةَ الخارجيّةَ، وكانَ الصَّحنُ مُحاطًا بأبوابٍ كثيرةٍ.

كانَ ثَمّةَ رَجُلٌ عجوزٌ يجلسُ على الأرضِ، ويتّكئُ على أحدِ الأعمدةِ، وهو يمضغُ نواةَ حبّةِ بلحٍ، ويقرأُ في أحدِ الكتبِ.

وقفَ الثَّلاثةُ أمامَ الرَّجُلِ العجوزِ مدَّةً مِنَ الزَّمنِ دونَ أنْ يتنبَّهَ لوجودِهِم. تَنحْنَحوا، وضربوا الأرضَ بأرجُلِهم، وربَّتوا عَلى ظهرِ (موك)، ثُمَّ داروا حولَ الرَّجُلِ العجوزِ ليلفِتوا نظرَهُ، غيرَ أنَّ الرَّجُلَ استمرَّ يقرأُ دونَ انقطاعٍ. وفي النِّهايةِ خاطبَتْهُ حميدةُ قائلةً:

ـ السَّلامُ عليكُم أيُّها الرَّجُلُ الجديرُ بالاحترام. أرجو أنْ تَعذُرَني. إذا قطعتُ عليكَ قراءَتَكَ. لكنَّنا نرجو أنْ نتمكَّنَ مِنْ قضاءِ اللَّيلةِ في هذا النُّزُلِ.

نَحّى الرَّجُلُ كتابَهُ جانبًا، ثُمَّ تَفَحَّصَ ثلاثتَهم والكلبَ (موك) وقالَ:

ـ أوَّلًا: لا يجوزُ إزعاجُ الإنسانِ أثناءَ القراءةِ. فهذا أمرٌ غيرُ لطيفٍ.

ثانيًا: لا يجوزُ إزعاجُ رَجُلٍ عجوزٍ أثناءَ القراءةِ. فهذا أمرٌ غيرُ لطيفِ البتَّةَ.

ثالثًا: لا يجوزُ إزعاجُ الرِّجالِ الكِبارِ في السِّنِّ إطلاقًا، أثناءَ تَلاوتِهِمْ القرآنَ. فَهذا أمرٌ غيرُ لطيفٍ عَلى الإطلاقِ. ثُمَّ قولوا لي: أينَ أهاليكُم وأولياءُ أمورِكم؟ أَمْ تريدونَ أنْ تناموا هُنا وحيدينَ؟

ـ هذا هوَ الواقعُ. وأسألُ اللّهَ أنْ يغفرَ لنا إزعاجَنا لكمْ. أجابتْ حميدةُ. بعدَها تأمَّلَ الرَّجُلُ الثَّلاثةَ بِعنايةٍ، وَتساءَلَ:

ـ لماذا لا تتحدَّثُ إلّا الفَتاةُ؟

ـ إنَّ أسلمَ أخرَسُ. ردَّ ليّل بسرعةٍ.

ـ وأنتَ؟ هلْ أنتَ أخرسُ كذلكَ؟ لماذا لا تتحدَّثُ؟ تساءَلَ الرَّجُلُ العجوزُ.

ـ هأنذا قَدْ تحدَّثْتُ! قالَ ليّل.

ـ متى؟

ـ للتَّوِ. فقدْ أخبرتُكَ أنَّ أسلمَ أخرَسُ!

فكَّرَ الرَّجُلُ قليلًا، وحكَّ ذقنَهُ بظفرِ إبهامِهِ، وقالَ:

ـ حسنًا، هذا أخرسُ. ولكنْ هلْ قلتُمْ لي أينَ أهاليكُمْ وأولياءُ أمورِكُمْ؟

ـ لا، نحنُ لمْ نتحدَّثْ عنْ ذلكَ أبدًا أيُّها الرَّجُلُ الجديرُ بالاحترامِ! ردَّتْ حميدةُ.

ـ أوَّلًا أنا لمْ أتوجَّهْ إليكِ بالسُّؤالِ، بلْ كانَ سُؤالي موجَّهًا للفتى. وثانيًا إنَّني توّاقٌ لِمعرفةِ المكانِ الَّذي يوجدُ فيهِ أهاليكُمْ...

ـ إنَّهم.. إنَّهم في... بدأتْ حميدةُ بالإجابةِ، ثُمَّ توقَّفتْ.

ـ إنَّهُمْ في (فيينا). ردَّ ليّل بسرعةٍ.

ـ (فيينا)! ما هي فيينا هذه؟ تساءلَ العجوزُ باستغرابٍ.

ـ إنَّها مدينةٌ تقعُ في أقاصي (فرانكستان). أوضَحَ ليّل.

ـ (فرانكستان)! الحمدُ للّهِ أنَّ قافلتَكُمْ عادتْ مِنْ هناكَ بالسَّلامَةِ، قالَ العجوزُ.

ـ هذا ما جرى. أجابَ ليّل، وهو يُطرقُ برأسِهِ.

ـ أيُّها الأطفالُ المساكينُ! هَلْ غدوتُم أيتامًا؟ ارتفعَ صوتٌ أنثويٌّ مِنْ خلفِهِمْ، فالتفتَ الأطفالُ نحوَ مصدرِ الصَّوتِ.

كانَ ثَمَّةَ امرأةٌ سَمينةٌ، تضعُ العديدَ مِنَ الخواتمِ الفِضِّيَّةِ في أصابعِها، قادمةً مِنْ أحدِ الأبوابِ، وكانتْ ترتدي زِيًّا شرقيًّا فضفاضًا. لهذا لَمْ تبدُ المرأةُ ممشوقةَ القوامِ. كانتِ المرأةُ تحملُ في إحدى يديها إبريقًا خزفيًّا. فأضافتْ قائلةً بودٍّ:

ـ لقدِ استمعتُ إلى كلِّ شيءٍ، أرجو أنْ تُساعدوا زوجي الَّذي يبدو

مُتَشَدِّدًا في بعضِ الأحيانِ. أرجو أنْ تتناولوا أوّلًا شيئًا مِنْ فواكهي المحفوظةِ، ثُمَّ سَنرى ما الَّذي يمكنُ لنا أنْ نفعلَهُ.

أمسكتِ المرأةُ الإبريقَ الخزفيَّ بأصابعِها الغليظةِ، واستخرجتْ منهُ تينًا وزبيبًا ممزوجَينِ بالعَسلِ، ووضعتْ شيئًا منهُ في راحةِ كلِّ واحدٍ منهُم.

ـ إنَّ طعمَهُ لذيذٌ! قالَ ليّل بعدَ أنْ وضعَ الزَّبيبَ الممزوجَ بالعسلِ في فَمِهِ. نظرَ الرَّجُلُ العجوزُ إلى زوجتِهِ نظرةَ تأنيبٍ، وقالَ:

ـ أوّلًا: كيفَ تسمحينَ لنفسِكِ أنْ تتدخّلي في حديثي. هذا أمرٌ غيرُ لطيفٍ.

ثانيًا: كيفَ عرفتِ أنَّ هؤلاءِ قادرونَ على دَفْعِ أُجرَةِ المبيتِ؟

ـ توقَّفْ عنْ أوّلًا، ثانيًا، ثالثًا هذه! قالتِ المرأةُ ضاحكةً، وهي تلحَسُ العَسَلَ عنْ أصابعِها، ثُمَّ أضافتْ:

أوّلًا: لقدْ تدخّلتُ في الحديثِ؛ لأنّي استمعتُ إلى الحوارِ بينكُم مصادَفَةً.

ثانيًا: ما كانَ هؤلاءِ الأطفالُ ليدخلوا إلى هذا النُّزُلِ، لو لمْ يكونوا قادرينَ عَلى دَفْعِ أُجرَةِ المَبيتِ.

ثالثًا: إنّي أرى في يدِ هذهِ الفتاةِ سِوارًا ذهبيًّا مُرَصَّعًا بحجرٍ أحمرَ، وهوَ سِوارٌ غالي الثَّمنِ، لدرجةِ أنَّ الخياطَ (لبقانَ) يستطيعُ بثمنِهِ أنْ ينزلَ في هذا النُّزُلِ هوَ وأقرباؤُهُ مدَّةَ عامٍ. والكلُّ يعرفُ أنَّ (لبقانَ) هو الأكثرُ أهلًا وأقرباءَ في هذا الحَيِّ.

وهنا خبّأتْ حميدةُ السِّوارَ تحتَ كُمِّها، وهيَ تشعرُ بالذُّعرِ، فضحكَتِ السَّيِّدةُ، وقالتْ لَها:

ـ لا داعيَ للخوفِ. فلنْ أقومَ بسَرِقَتِهِ!

فردّتْ حميدةُ بحَيرةٍ:

ـ إنَّهُ ليسَ غاليَ الثَّمنِ كما تظنّينَ. ونحنُ حقًّا لا نملكُ مالًا.

فصاحَ الرَّجُلُ بِنَبْرَةٍ منتصرَةٍ:

ـ هلْ سمعتِ؟ لا مالَ معهُمْ، وليسَ في جيوبِهم دينارٌ واحدٌ. إنَّهم تمامًا مثلَما توقّعتُ.

ـ لكنَّنا قادرونَ على دفعِ الأجرةِ غدًا، أو بعدَ غدٍ على الأكثرِ. وسيكونُ المبلغُ مُضاعَفًا. قالتْ حميدةُ مُناشِدَةً.

ـ لا نومَ قبلَ دفعِ الأُجرَةِ. ردَّ الرَّجُلُ، ثُمَّ أضافَ: ومَنْ يضمَنُ لي أنَّكُم ستوفونَ بعهدِكُم؟ فلعلَّ القافلَةَ الَّتي فيها أهاليكم لَنْ تصلَ إلى هنا مُطْلقًا. فالطَّريقُ مملوءةٌ باللُّصوصِ والحيواناتِ المفترسةِ.

ـ كيفَ تفوزُهُ بمثلِ هذه الألفاظِ؟ أتريدُ أنْ تخيفَهُمْ، وتملأَ قلوبَهم بالرُّعْبِ؟ قالتِ المرأةُ بلَهجةٍ رافِضَةٍ لِما يقولُهُ زوجُها. ثُمَّ توجَّهتْ للثَّلاثةِ وقالتْ: أرجو أنْ تَفَهَّموا حالتَنا. فالنُّزُلُ هوَ مصدرُ دخلِنا، ونحنُ لا نستطيعُ أنْ ندعَ النَّاسَ ينامونَ هُنا دونَ مُقابلٍ.

ـ سندفعُ لكُمُ الأُجرةَ، هذا مُؤَكَّدٌ، وعدَتْها حميدةُ.

ـ ثَمَّةَ حَلٌّ ـ قالتِ المرأةُ السَّمينةُ ـ ضَعي سِوارَكِ وديعةً عندي. وسيبقى لديَّ أمانةً، وسأُعيدُهُ بعدَ أنْ تَدفعوا ما عَليكم مِنْ مالٍ.

ـ لا! هذا غيرُ مُمكِنٍ. ردَّتْ حميدةُ. إنَّني لا أستطيعُ أنْ أعطيَكِ السِّوارَ.

ـ وأنا لا أستطيعُ السَّماحَ لكُمْ بالنَّومِ هاهُنا. إنَّني أستطيعُ إهداءَ بعضِ الفواكهِ المحفوظةِ، لكنَّني لا أستطيعُ أنْ أتبرَّعَ بالمبيتِ المجّانيِّ للنَّاسِ.

ـ إذن علينا المغادرةُ. قالتْ حميدةُ.

غادرَ الأطفالُ النُّزُلَ بعدَ ذلكَ ببُطءٍ، حتّى (موك) كانَ يُغادرُ السّاحةَ مُطْرِقَ الرّأسِ، وكأنّهُ أدركَ أنّ أحدًا قد طردَهُم مِنَ هذا المكانِ. وعندما صاروا جميعًا في الخارجِ، والظّلامُ يلفُّهُمْ تساءلَ ليبّل:

ـ لماذا لَمْ تُوافقي عَلى أنْ تَضعي السُّوارَ وديعةً لَدى المرأةِ؟ إنّكِ قادرةٌ، دونَ أدنى شَكٍّ عَلى استرجاعِهِ. فإذا تكلَّمَ أسلمُ، واستطاعَ أنْ يُقنعَ أباكُمْ، فهوَ سيدفعُ المالَ مُقابلَ نومِنا هنا هنا.

ـ لا أستطيعُ أنْ أدعَ السُّوارَ لَديها، فاسمي منقوشٌ في باطِنِها. والشّعارُ الملكيُّ مرسومٌ عَليها. ولو رأتِ المرأةُ هذا، لأدركَت أنّني أميرةٌ. قالتْ حميدةُ، ثُمَّ تساءلَتْ: والآنَ، ألا توجَدُ طريقةٌ للحصولِ عَلى المالِ؟

ـ كيفَ؟ ردَّ ليبّل. أنتِ غيرُ قادرةٍ عَلى أنْ تَفْعلي شيئًا، كَما أنّ أسلمَ لا يستطيعُ الكلامَ.

ـ لماذا تقولُ مثلَ هذا الكلامِ؟ سألَتْهُ حميدةُ وهيَ تشعرُ بالحزنِ، وأضافتْ: وَمَنْ أخبرَكَ أنّني عاجزةٌ عَنِ العملِ، وأنّني لا أستطيعُ أنْ أفعلَ شيئًا؟

ـ لا بَأْسَ، فالأميراتُ في العادةِ لا يعمَلْنَ، والمَرْءُ لا يستطيعُ الحُصولَ عَلى المالِ، إذا لَمْ يعملْ.

ـ أنا قادرةٌ عَلى الغناءِ وَالعَزْفِ. أجابتْ حميدةُ، ثُمَّ أضافتْ: وَأمّا أسلمُ فهوَ يَستطيعُ الكَثيرَ. إنَّ ما يستطيعُ أنْ يفعلَهُ يفوقُ تصوُّرَكَ. فهوَ تلميذُ سندبادَ النَّجيبُ!

ـ هذا كلُّهُ غيرُ ذي فائدةٍ. لأنَّ أسلمَ لا يستطيعُ الكلامَ. تَمتَمَ ليبّل بصوتٍ خفيضٍ، فقالتْ حميدةُ:

ـ إنَّ فكرةَ الغناءِ وعزفِ الموسيقى فكرةٌ حسنةٌ، فنحنُ يمكنُنا الذّهابُ

إلى السّوقِ، حيثُ يتجمَّعُ الموسيقيّونَ والممثّلونَ والحَكواتيّونَ. وسنقومُ نحنُ بعزفِ الموسيقا. وسيقدِّمُ (موك) عروضًا فنيَّةً جميلةً، فـ (موك) يستطيعُ فِعْلَ شيءٍ كثيرٍ، فهوَ قادرٌ عَلى أنْ يمشيَ عَلى ساقينِ فَحَسْبُ. أليسَ كذلِكَ يا أسلمُ؟

حَنى أسلمُ رأسَهُ موافقًا. وكانَ يبدو في تلكَ اللَّحظةِ مُستغرقًا في التَّفكيرِ.

ـ لكنَّنا لا نستطيعُ الذَّهابَ إلى السّوقِ. فقدْ حلَّ الظَّلامُ. قالَ ليّل مُعترضًا. فقالتْ حميدةُ:

ـ إنَّ مَنْ يستمعْ إليكَ يُدرِكْ أنَّكَ تجهلُ السّوقَ. فالسّوقُ تكادُ تكونُ خاليةً في أثناءِ النَّهارِ؛ لأنَّ درجةَ الحرارةِ تكونُ مرتفعةً في العادةِ. أمّا عِندَ المساءِ فإنَّ مئاتِ النّاسِ يذهبونَ إليها؛ يبيعونَ ويشترونَ ويعملونَ ويتمشَّونَ. لا بُدَّ أنَّكَ رأيتَ النّاسَ وهمْ يجلسونَ في الشَّوارعِ والحَواري. فعندَ المساءِ يغادرُ النّاسُ بيوتَهُم. هيّا سنقومُ بعزفِ الموسيقا! إنَّ أسلمَ يستطيعُ النَّقرَ على الدُّفِّ بمهارةٍ، فينبغي علينا أنْ نُفتِّشَ عَنْ وعاءٍ أو شيءٍ مُشابِهٍ، نحملُهُ مَعنا على أنَّهُ دُفٌّ. وأنا أستطيعُ العزفَ على النّايِ. فإنْ وَجدْنا أنبوبًا في مكانٍ ما، فإنَّ أسلمَ يستطيعُ أنْ يصنعَ منهُ نايًا عَلى الفورِ. وأنتَ؟ ما الَّذي تستطيعُ أنْ تؤدّيَهُ بإتقانٍ؟

ـ أنا لا أستطيعُ للأسفِ أنْ أعزفَ عَلى أيِّ آلةٍ موسيقيّةٍ. ردَّ ليّل حائرًا، ثُمَّ أضافَ: إنَّ عَلاماتي في مادَّةِ الموسيقى ضَعيفةٌ.

ـ إذن فأنتَ لا تستطيعُ أنْ تُغنّيَ أيضًا؟ سألَتْهُ حميدةُ. فنَفى ليّل مقدرتَهُ عَلى الغناءِ وهوَ يهزُّ رأسَه بخجلٍ.

ـ لا بَأسَ. قالتْ حميدةُ. إذن فمهمَّتُكَ أنْ تحملَ العِمامَةَ، وأنْ تدورَ بِها

عـلى النّـاسِ لتجمـعَ المـالَ. ولكـنْ، هـلْ تسـتطيعُ في تلـكَ الأثنـاءِ أَنْ تقـومَ بحـركاتٍ رياضيّـةٍ مُتْقَنَـةٍ؟ كأَنْ تقـفَ عـلى يديـكَ، أو تؤدّيَ حـركاتِ الشَّـقْلَبَةِ، فالنّـاسُ يعشـقونَ مِثْـلَ هـذِهِ الحَـركاتِ!

ـ إنَّ عَلامـاتي متدنِّيَـةٌ كذلـكَ في التَّربيَـةِ الرِّياضيَّـةِ. ردَّ ليثـل مُعتـذرًا، لكنَّـهُ أضـافَ: هـذا في فصـلِ الصَّيـفِ، أمّـا في فصـلِ الشِّـتاءِ فـإنَّ علامـاتي تتحسَّـنُ؛ لأنّـنا نذهـبُ إلى بِرْكَـةِ السِّـباحَةِ الشِّـتويَّةِ المغلقـةِ. فأنـا أُحْسِـنُ السِّـباحَةَ!

ضحكـتْ حميـدةُ، وقالـتْ: في الشّـوقِ لا تسـتطيعُ أنْ تُظْهِـرَ مهارتَـكَ في السِّـباحَةِ!

ـ لكـنَّ علامـاتي متميّـزةٌ في درسِ اللُّغـةِ الألمانيَّـةِ. وأسـتطيعُ نَظْـمَ الشِّـعْرِ عَـلى كُلِّ حـالٍ.

ـ سيكونُ إذن مِـنَ المناسـبِ أَنْ تقـومَ بجمـعِ المـالِ، فـلا بُـدَّ مِـنْ أَحَـدٍ يَتَولّى هـذه المَهمّـةَ. والآنَ دَعْنـا نبحـثُ عَنْ دُفٍّ لأسـلَمَ.

كانَـتِ الطَّريـقُ الضَّيِّقـةُ الَّتـي سـاروا فيهـا توصِـلُ إلى أَحَـدِ الشَّـوارعِ العَريضَـةِ. فقالـتْ حميـدةُ:

ـ هـذا هـو الشّـارعُ الرَّئيسيُّ للمدينَـةِ؛ فـإذا سِرْتَ فيـه يَسـارًا وصلـتَ إلى القَـصْرِ، وإنِ اتَّجَهْـتَ يمينًـا ذهبـتَ إلى السّـوقِ. ثُـمَّ قالـتْ: تعـالَ، سـنذهبُ إلى اليمـينِ!

كانَ بعـضُ الفُرسـانِ قادمـينَ مِـنْ جِهـةِ اليمـينِ، وكانَ عَليهـم أَنْ يَجِـدوا لَهُـمْ مكانًـا بـينَ المُشـاةِ؛ لأنَّ الازْدِحـامَ كانَ شـديدًا في الشَّـوارعِ. فجـأةً توقّـفَ أسـلمُ، وأمسـكَ بذراعَـي حميـدةَ وليثـل.

ـ ما الأمرُ؟ تساءلتْ حميدةُ؟

ـ ماذا تُريدُ؟ سألَ ليثل.

هزَّ أسلمُ رأسَهُ بغضبٍ، ووضعَ إصبعَهُ على شفتيهِ؛ كي يفهموا أنَّ عليهم أنْ يصمتوا، وأخذَ يحدِّقُ بتركيزٍ في الفُرسانِ.

أطرقَ أسلمُ، وكأنَّهُ صدَّقَ توقعاتِهِ، فقادَ حيدةَ وليلَ إلى الظِّلالِ المُعتمةِ لأحدِ الأقواسِ. أمَّا الكلبُ (موك) فقدْ نبحَ؛ لأنَّهُ كانَ عليهِ أنْ يتراجعَ فجأةً.

سارَ الفُرسانُ قُدُمًا. لقدْ كانوا ثلاثةَ رجالٍ يرتدونَ المعاطفَ السودَ، وكانوا يسحبونَ معهم حِصانَيْنِ ليسَ عليهما فارسانِ.

ـ افتحوا الطَّريقَ! افتحوا الطَّريقَ! كانَ أحدُ الفُرسانِ يَصيحُ، وهوَ يقتحمُ بفَرسِهِ جموعَ السائرينَ.

ظلَّ ليلُ مُتجمِّدًا في مكانِهِ عندما سمعَ صوتَ الفارسِ، وكادَ لا يستطيعُ التَّنفُّسَ. أمَّا أسلمُ فقدِ انحنى على (موك)، وأغلقَ فمَهُ كي لا يقومَ بالنُّباحِ. في تلكَ الأثناءِ كانَ الفرسانُ قدْ ذهبوا.

ـ إنَّهم حُراسُنا. همسَ ليلُ. فَحتى أسلمُ رأسَهُ.

ـ لقدْ عَثروا على خُيولِهم، وعادوا إلى المدينةِ. همسَ ليلُ مُجدَّدًا، ثُمَّ أضافَ: وهذا أمرٌ سَيِّئٌ!

ـ إنَّ عودتَهُم ليستْ هيَ الأمرُ الأسوأُ. همستْ حيدةُ، ثُمَّ سألتْ ليلَ: ألَمْ ترَ الحِصانَينِ اللَّذَيْنِ كانا دونَ فارِسَينِ؟ هذا هوَ الأسوأُ.

ـ لماذا؟ تساءلَ ليلُ.

ـ كانتْ تلكَ خُيولَنا. ألَمْ تتعرَّفْ عليها؟ لقدْ عثروا على خيولِنا. وهمُ الآنَ يعرفونَ أنَّنا ما نزالُ على قيدِ الحَياةِ، وليسَ هذا فَحَسْبُ: إنَّهم يعرفونَ أنَّنا في المدينةِ.

ـ كيفَ توصَّلْتِ إلى هذا كُلِّهِ؟

ـ لأنَّهم عثروا على خيولِنا إلى جانبِ الصُّخورِ قريبًا مِنَ المدينةِ. وهذا يَعْني أنَّنا لَمْ نهرُبْ إلى بلدٍ غريبٍ، لأنَّنا لو هَرَبْنا إلى هناكَ، لَما كُنَّا رَبَطْنا خيولَنا على مقربةٍ مِنَ المدينةِ. إنَّهم يعرفونَ ذلكَ تمامًا.

ـ هلْ تعنينَ أنَّهم يقومونَ الآنَ بالبحثِ عَنَّا؟

ـ لنْ يفعلوا ذلكَ اللَّيلةَ، فقدْ حَلَّ الظَّلامُ، لكنْ علينا أنْ نكونَ جاهزينَ صباحَ الغَدِ. والآنَ تعالَ معنا إلى السّوقِ! فَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أنَّهم لَمْ يتمكَّنوا مِنْ رُؤْيَتِنا.

كانَ أسلمُ يسيرُ وهوَ يقودُ (موك) في الطَّليعةِ، وتتبعُهُ جميلةُ. وعندَما أرادَ ليّل أنْ يتجاوزَ القَوسَ المُظلِمَ، سَمِعَ وَكأنَّ صوتَ أحدِ الأبوابِ خلفَهُ قد فُتِحَ. فصاحَ ليّل: أسلمُ!

لكنَّ أسلمَ استمرَّ يَمشي، دونَ أنْ يلتفتَ وراءَهُ.

فجأةً انبَثَقَ نورٌ مِنْ فُتحةِ البابِ، وأطلَّ رأسُ امرأةٍ مِنْ تلكَ الفتحةِ. أرادَ ليّل أنْ يهرُبَ، لكنَّ ساقيهِ عَجِزَتا عَنِ الحركةِ.

ـ أسلمُ! صاحَ ليّل ثانيةً.

ثُمَّ فُتِحَ البابُ على مِصراعَيْهِ، فانتَشَرَ الضَّوءُ حولَه في كلِّ مكانٍ.

ـ (فيلبس) هَلْ تحلُمُ؟ سألَ صوتٌ أنثويٌّ مِنَ البابِ.

حرّكَ ليّل عينيهِ بِقُوَّةٍ، فقدْ أثَّرَ الضَّوءُ على عينيهِ تأثيرًا قويًّا.

نظرتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ نحوَ البابِ، وقالتْ بِهَمْسٍ:

ـ أنا لَمْ أُرِدْ أنْ أوقظَكَ. عُذرًا! لقدْ أردتُ أنْ أرى إنْ كُنْتَ حقًّا قدْ ذهبْتَ لتنامَ. إيّاكَ أنْ تَستيقظَ، وواصِلِ النَّومَ! ثُمَّ أغلقَتِ البابَ، وتركتْ ليّل وحدَهُ.

ـ وفاحَةٌ! تَمَتَّعَ ليبّل وهوَ مملوءٌ بالنُّعاسِ، ثُمَّ استلقى جانبًا، ونامَ وواصلَ الحلمَ.

كانَ السّوقُ مُضاءً.

كانتْ ثَمَّةَ مشاعلُ مثبّتةً في قواعدَ حديديّةٍ، ومصابيحُ زيتيّةٌ معلّقةٌ على أبوابِ محلّاتِ الحِرَفيّينَ، وأفرانٌ مفتوحةٌ تحترقُ فيها الأخشابُ، وتوضعُ فوقَها سخّاناتُ الماءِ، ليغليَ الماءُ فيها، ويُستخدمَ في المَشروباتِ الساخنةِ.

وقفتْ حميدةُ بجُرأةٍ في مُنتصفِ السّوقِ.

ووقفَ أسلمُ إلى جوارِها، وبيدهِ وعاءٌ قديمٌ لتسخينِ الماءِ، كي يستخدمَهُ دُفًّا. كانَ (موك) يُقعي أمامَ قدَمَي أسلمَ، ويتأمّلُهُ بعصبيّةٍ. رفعَ أسلمُ الدُّفَّ إلى الأعلى كي يلفتَ الأنظارَ، فجاءَ النّاسُ، واقتربوا وهُمْ مملوؤونَ بالفُضولِ.

تنفّستْ حميدةُ بعُمقٍ، وصاحتْ بأعلى صوتِها:

ـ «أيّها الرِّجالُ المحترمونَ، والسّيّداتُ المُحترماتُ، أيّها الوزراءُ والحُكماءُ والزّبائنُ الكِرامُ! أيّها الحِرَفيّونَ المَهَرةُ. أيّها القاطنونَ في المدينةِ!

تَعالوا إلى هُنا!

تعالَوا، ودَعوا أعمالَكُمْ، ومشروباتِكُم الساخنةَ! أغلقوا دكاكينَكُم وتَعالَوا! اتركوا منازلَكم. فالعرضُ الّذي سَيجري تقديمُهُ في هذهِ الساحةِ هوَ عرضٌ فريدٌ، يَصْعُبُ أنْ يتكرّرَ في كلِّ ليلةٍ.

سيقومُ الكلبُ (موك) بتقديمِ حركاتٍ فنّيّةٍ لافتةٍ، وسأقومُ أنا وأخي بالعزفِ الموسيقيِّ المُصاحبِ لحركاتِهِ. أمّا الشّابُّ الصّغيرُ الّذي يضعُ العِمامةَ، فسيقومُ بجمعِ ما تجودُ بهِ نفوسُكُم مِنْ مالٍ. ويُسعدُنا أنْ نتلقّى قطعًا نقديّةً قيّمةً، وبخاصّةٍ مِنْ تلكَ القطعِ الذّهبيّةِ».

شعرَ ليّل أنَّ وجهَهُ احمرَّ خجلًا، فأطرقَ أرضًا وهوَ يشعرُ بالحَيرةِ.

علّقَ أحدُهم قائلًا:

ـ يبدو أنّنا أمامَ عرضٍ مُثيرٍ!

ـ دَعْنا نَرَ ماذا سيقدّمونَ لنا؟ ردَّ آخرُ يقفُ خلفَهُ.

ـ يبدو أنّهُ سيكونُ عرضًا متميّزًا، دَعْنا نر، مثلُ هذا العرضِ لا يتكرّرُ كلَّ يومٍ.

استمعَ ليّل إلى هذه التّعليقاتِ وإلى شبيهاتِها، فتشجّعَ قليلًا، ورفعَ العِمامةَ عَنْ رأسِهِ كي يكونَ عَلى أُهبَةِ الاستعدادِ لِجَمْعِ المالِ الّذي سيُعطيهِ النّاسُ لَهُ.

صاحتْ حميدةُ:

ـ والآنَ سيبدأُ العرضُ! أرجو الانتباهَ لُطفًا إلى المشهدِ الموسيقيِّ الأوّلِ!

بدأَ أسلمُ يقرُعُ على الدُّفِّ، وبدأتْ حميدةُ تعزفُ على النّايِ.

لَمْ يكنِ الإيقاعُ الموسيقيُّ جميلًا، كَما لَمْ يكنِ الصّوتُ مَسموعًا. صحيحٌ أنَّ أسلمَ بذلَ ما في وُسْعِهِ مِنْ مهارةٍ، لكنَّهُ لَمْ يكنْ يستطيعُ أنْ يَصنَعَ نايًا مُتْقَنًا مِنْ عودِ قَصَبٍ غليظٍ! فبدأَ المشاهدونَ يَتَذَمّرونَ.

ـ أتُريدونَ الضّحكَ عَلى ذُقونِنا؟ صاحَ أحدُ الرّجالِ مُضيفًا: إنَّ ابنَتي الّتي في الخامِسَةِ مِنْ عُمُرِها تقدّمُ حركاتٍ أفضَلَ مِنْ هذهِ بِعَشْرِ مَرّاتٍ.

ـ ما هذا؟ تَوَقّفوا! كَفى!

بدأَ النّاسُ يَصيحونَ بِفَوضى، في حينِ بَدأَ آخرونَ يُغادرونَ المكانَ. تَوَقّفَتْ حميدةُ عَنِ العَزْفِ. أمّا أسلمُ الّذي لَمْ يتنبّهْ للأمرِ مُبكّرًا، فقدِ استمرَّ يَقْرُعُ الدُّفَّ لفترةٍ قليلةٍ، قبلَ أنْ يَتوقّفَ هوَ الآخَرُ.

ازدادَ عددُ النّاسِ الّذينَ أخذوا يعودونَ إلى دكاكينِهم وبيوتِهم.

ـ لا تَذْهبوا! ـ صاحتْ حميدةُ، وهيَ تشعرُ باليأسِ، فإنَّ ذُروةَ هذهِ المَشاهدِ لَمْ تأتِ بَعْدُ. تابعوا حركاتِ الكلبِ الرَّشيقةَ، فإنَّ (موك) يقدِّمُ ما يستطيعُ تقديمَهُ.

بَقِيَ بعضُ المُشاهدينَ الّذينَ كانوا يرغَبونَ في الذّهابِ، فصاحَ أحدُهُمْ:

ـ أَرونا ماذا يستطيعُ الكلبُ أنْ يفعلَ!؟ فإذا كانتْ حركاتُهُ رديئةً كَهذهِ الموسيقى الّتي عَزَفْتُموها، فَلَنْ تنالوا منّا أيَّةَ قِطْعَةِ نقودٍ، بَلْ سيكونُ جزاؤكُمْ شيئًا آخَرَ!

ضَحِكَ النّاسُ.

أشارَ أسلمُ للكلبِ (موك)، فوقفَ (موك) على ساقَيهِ الخَلفيّتينِ. لوّحَ أسلمُ بيدِهِ فتحرّكَ (موك) خُطوةً أوْ خطوتينِ، ثُمَّ سَقطَ أرضًا، وتطلَّعَ نحوَ أسلمَ وهوَ يشعرُ بالتّعاسَةِ. فقدْ كانَ (موك) مُعتادًا أنْ يخبرَهُ أسلمُ بما ينبغي عليهِ أنْ يقومَ بِهِ. لكنَّ أسلمَ لا يستطيعُ الكلامَ. وكانَ يأملُ أنْ يستوعبَ الكلبُ المَطلوبَ مِنهُ مِنْ خِلالِ الحركاتِ والإشاراتِ. لوّحَ أسلمُ بيدِهِ مُجَدَّدًا، فوقفَ (موك) على ساقَيهِ الخَلفيتينِ ثانيةً.

ـ متى يبدأُ العَرْضُ؟ سألَ أحدُ النّاسِ.

ـ لقدْ بدأَ العرضُ كما ترى! أجابتْ حميدةُ ساخِطَةً، وتابعتْ: انظُرْ، انظُرْ ماذا يفعلُ الكلبُ!

ـ لكنَّ هذا ما نراهُ كلَّ يومٍ! رَدَّ الرَّجُلُ، ثُمَّ أضافَ: جاءَ الحاوي إلى هُنا في الأسبوعِ الماضي، وكانَ مَعَهُ كلبانِ وَأفعى. وقدْ نَقَرَ الكلبانِ على الدُّفِّ، وقامتِ الأفعى بالرَّقْصِ. هلْ يستطيعُ هذا الكلبُ أنْ ينقرَ على الدُّفِّ؟

ـ لا أعتقدُ أنَّهُ يستطيعُ. ردَّتْ حميدةُ بصوتٍ خفيضٍ، بينما كانَ أسلمُ يهزُّ رأسَهُ.

ـ هذه هيَ الذُّروةُ! إنَّ هؤلاءِ الأطفالَ يريدونَ أنْ يَسخَروا منّا. يا للوقاحةِ! لَنْ نسمحَ بذلكَ!

أخذَ المشاهدونَ يصرُخونَ بغضبٍ وَفوضى، ويرمونَ القاذوراتِ نحوَ أسلمَ وحميدةَ والكلبِ. أمّا حميدةُ فبدأتْ تَبكي، وتتحَدِرُ دموعُها على خدَّيها، ولمْ تعُدْ تعرِفُ كيفَ تتصرّفُ.

لمْ يعُدْ ليّل قادرًا على الاحتمالِ، فاستعادَ رباطَةَ جأشِهِ، وَتسلَّلَ مِنْ بينِ المُشاهدينَ الغاضبينَ حتّى وَقفَ إلى جانبِ حميدةَ. بعدَها أخذَ الدُّفَّ مِنْ يدِ أسلَمَ، وأخذَ يَضربُ الدُّفَّ بأقصى ما يستطيعُ مِنْ عَزمٍ، ثُمَّ صاحَ:

ـ أيّتُها السَّيِّداتُ، أيُّها السّادَةُ. إنَّ ما شاهَدتُموهُ لَمْ يكنْ في واقعِ الأمرِ إلّا التَّمهيدَ، التَّمهيدَ لِما سَيُلقيهِ ليّل مِنْ شِعرٍ، وما سيقدِّمُهُ مِنْ عُروضٍ سِحريَّةٍ. لا تَبتَعِدوا! وشاهِدوا! حيثُ سَتبدأُ العُروضُ في الحالِ!

ـ ماذا سنفعلُ؟ هلْ أُصبتَ بالجُنونِ؟ همستْ حميدةُ. ثُمَّ أردَفَتْ: إيّاكَ أنْ تسخرَ منهُمْ، فإنَّهُم لَنْ يَضربونا هذه المرّةَ بالقاذوراتِ، بلْ سيقذفونَنا بالحجارةِ. دَعْنا نغادرْ سَريعًا!

لكنَّ ليّل ظلَّ واقفًا بِصلابةٍ إلى جانبِ حميدةَ، وصاحَ بصوتٍ هادِئٍ:

إنَّ مَنْ يَبقى هُنا
لَهُوَ حقًّا فَطِنْ

سَوفَ يَلْهو ثُمَّ يَسْتَمْتِعُ
بالسِّحْرِ الَّذي لا يُحْزِنْ
أيُّها النّاسُ هُنا
أيُّها الخَلْقُ الكَثيرْ
انْظُروا ثُمَّ احكُموا
يبتلي عَرْضٌ مُثيرْ
إنَّ مَنْ يَمضي بَعيدًا
لَهُوَ حَقًّا في ذُهولْ
فَهُوَ لَنْ يشهدَ ما
أصنَعُ أَوْ سوفَ أقولْ

ـ إنَّ إيقاعَ الأبياتِ لا بأسَ بِهَا! قالَ أحدُ المُشاهدينَ، لكنَّ عليهِ الآنَ أنْ يبدأَ بِالعُروضِ السِّحْريّةِ، فأجابَهُ ليّل عَلى الفورِ:

مَنْ كانَ يَبْغي أنْ يَرى سِحْري
فليَتَّقِ عِنْدي كاملَ الصَّبرِ

عندها صاحَ أحدُ المشاهدينَ: لقدْ فَهِمنا المقصودَ. لنْ تكونَ هناكَ عُروضٌ سحريّةٌ إذن! فأجابَهُ ليّل هوَ الآخَرُ قائِلًا:

مَنْ يذهبِ الآنَ يخسَـــرْ
ومَـــنْ يُقـــمْ ســـيفوزُ
لأنَّ مَـــنْ ظـــلَّ عِنْـــدي
فـــالطَّيِّـــباتِ يَـحـوزُ
ومَـــوفَ يشـــهدُ سِـحرًا
تغـــازُ منهُ الكنـــوزُ

بدأَ بعضُ المشاهدينَ بالضَّحكِ، وقالوا:

ـ لا بـأسَ، دَعْنـا نتظـرُ ونتحمّـلُ هـذهِ المقدمـةَ الَّتي تسـبقُ العَـرضَ! إنَّـهُ يستطيعُ النَّظـمَ والارتجـالَ عَـلى كلِّ حـالٍ!

لكنَّ الغاليَّةَ بدأتْ تصرخُ بصوتٍ عالٍ:

ـ هيّا! ابدأِ العرضَ حالًا!

مـدَّ ليّـل يـدَهُ في جيبـه، واسـتخرجَ مِـنْ جيـبِ ردائـهِ الشَّرقـيِّ ذاكَ، مَصباحَـهُ اليـدويَّ، وَحرَّكَـهُ فـوقَ رأسِـهِ يمنَـةً ويَسْرَةً، ثُـمَّ قـالَ:

هذا الَّذي يدورُ لَولَيًّا
يصبحُ مِصباحًا لَنا سِحْريًّا

ثُـمَّ بـدأَ يعـرضُ المِصباحَ عَـلى النّـاسِ. وكانَ في الصَّـفِّ الأوَّلِ رُجـلٌ يَعْمَـلُ صائغًا للفِضَّـةِ، فطلـبَ أنْ يتأمَّـلَ المِصبـاحَ الفِـضِّيَّ عَـنْ قُـرْبٍ. فقـالَ لـهُ ليّـل:

ـ تفضَّلْ! وناوَلَهُ المِصباحَ الفِضِّيَّ عَنْ طيبِ خاطِرٍ.

تأمَّلَ الصّائغُ المصباحَ بدقَّةٍ، وبعدَ أنْ تفحَّصَهُ، قالَ:

ـ إنَّـهُ تُحْفَـةٌ رائِعَـةٌ، وَمشـغولَةٌ بدقَّـةٍ! وهـوَ مصنـوعٌ مِـنْ معـدنٍ لَمْ أرَهُ مِـنْ قَبْـلُ. إنَّـهُ يلمـعُ كالفضَّـةِ، لكنَّـهُ مِـنْ معـدنٍ مختلـفٍ، وفي مقدّمتِـهِ دائـرةٌ زجاجيَّـةٌ متقنـةُ الصُّنْـعِ. إنَّـهُ جميـلٌ جِـدًّا. ولكـنْ كيـفَ يمكـنُ لِهـذِهِ التُّحفـةِ أنْ تتحـوَّلَ إلى شـعلَةٍ؟ إنَّهـا مصنوعـةٌ مِـنَ المَعـدنِ. كَـما أنَّ الزُّجـاجَ غـيرُ قابـلٍ للاشـتعالِ، كـما نعلَـمُ. ثُـمَّ قـامَ بتمريـرِ المِصبـاحِ اليـدويِّ إلى جـارِهِ الَّـذي قـامَ هـوَ الآخـرُ بتأمُّـلِ المصبـاحِ ومعاينتِـهِ. وهكـذا بقِـيَ المصبـاحُ يتنقـلُ مِـنْ يـدٍ إلى أُخْـرى. وكانَ الجَميـعُ يعـبّرونَ عَـنْ دهشـتِهِم واسـتغرابِهِم.

وَقَدْ وافقَ الجميعُ، وحنَوا رؤوسَهُم عندما قالَ أحدُ المشاهدينَ:

ـ إنَّ منظرَ هذه الشُّغلَةِ رائعٌ، لكنَّها غيرُ قابلةٍ للاشتعالِ!!

وعندمـا عـادَ المصبـاحُ إلى ليتْـل مِـنْ جديـدٍ، رفعـهُ إلى الأَعـلى، وصـاحَ بفـرَحٍ:

إنَّ هذا المصباحَ يخلدُ للصَّمتِ
وَيَأبى الإشعاعَ والتَّنويرا
يَومَ آتي إليهِ والسِّحرُ عِندي
يولَدُ الضَّوءُ عاليًا ومُنيرا

فصاحَ رجلٌ سمينٌ:

ـ أيُّها الثَّرثارُ. إنَّني أشتري المَشاعلَ منذُ عشرينَ عامًا، وأعلمُ يقينًا أنَّ الزُّجاجَ غيرُ قابلٍ للاحتراقِ!

تناولَ ليبّل المصباحَ بيدِهِ اليُمنى، ووضعَ إبهامَهُ على مفتاحِ التَّحويلِ الخاصِّ بإشعالِ الضَّوءِ وإطفائِهِ، وحرَّكَ يدَهُ اليُسرى وصاحَ: أوزرام(*)! وحرَّكَ في الوقتِ نفسِهِ مفتاحَ التَّحويلِ.

كانَ المصباحُ اليدويُّ الَّذي يحملُهُ ليبّل، مِصباحًا قويًّا، يحتوي على أربعِ بطّارياتٍ قادرةٍ على الإضاءةِ بقوَّةٍ.

صرخَ النَّاسُ صرخةً تنِمُّ عنِ الدَّهشةِ. وجَّهَ ليبّل مصباحَهُ نحوَ التَّاجرِ، وقالَ لهُ:

ـ مَنْ هوَ الثَّرثارُ يا تُرى؟

غطَّى التَّاجرُ عينيهِ بيديهِ؛ لأنَّ الضَّوءَ كانَ قويًّا، وصاحَ:

ـ ساعِدْني! إنَّها شعلةٌ رائعةٌ، أقوى مِنْ أيِّ شُعلةٍ سبقَ لي أنِ اشتريتُها.

ـ هذهِ هيَ شُعلتي! قالَ ليبّل، وهوَ يحرِّكُ الجُزءَ العُلويَّ مِنَ المِصباحِ، ويوجِّهُ الضَّوءَ نحوَ أحدِ المَنازلِ البعيدةِ.

ومعَ أنَّ المنزلَ كانَ على بُعدِ مئةِ خطوةٍ، فقدْ كانَ بوُسعِ النَّاسِ مشاهدةُ الدَّوائرِ الضَّوئيَّةِ على حيطانِ المنزلِ الخارجيَّةِ، عندما كانَ ليبّل يحرِّكُ المصباحَ.

ظلَّتْ صَرَخاتُ الدَّهشةِ تعلو مِنْ جميعِ الجِهاتِ. وجَّهَ ليبّل ضوءَ المصباحِ نحوَ الأعلى مباشرةً.

كانَ الطَّقسُ يتصرَّفُ كالمجانينِ.

(*) mars: مِنْ أشهرِ شركاتِ صناعةِ اللُّعباتِ والأدواتِ الكهربائيَّةِ.

فقد كانت الشمسُ تشرقُ في النهارِ، أما في المساءِ فثمّةَ غيومٌ ثقالٌ مملوءةٌ بالمطرِ تتحركُ في سماءِ المدينةِ.

تابع المشاهدونَ بنظراتهم حركاتِ المصباح، وصاحوا جميعًا مِنَ الدهشةِ؛ فقد كانَ بِوُسعِهم أنْ يُشاهدوا بُقَعَ الضوءِ وهيَ تتحركُ على الغيوم.

ـ ما هذهِ الشُعلةُ القادرةُ على أنْ تُضيءَ بقوّةٍ، وتصلَ إلى عِنانِ السماءِ؟ إنّ وراءَها نارًا ضخمةً حارقةً بكلِّ تأكيدٍ. حذارِ أنْ تقتربَ منّا.

كانَ الجميعُ يصرخونَ بِفوضى عارِمةٍ. أما المشاهدونَ في الصُفوفِ الخلفيّةِ فكانوا يصيحونَ:

ـ نحنُ غيرُ قادرينَ على المشاهدةِ! ينبغي أنْ يقفَ الساحرُ ليّل على مكانٍ أكثرَ عُلُوًّا! نريدُ أنْ نرى الشُعلةَ السحريّةَ!

تمّ إحضارُ صندوقٍ، فاعتلاه ليّل، وصارَ يقدّمُ عروضَهُ مِنْ فوقِ رؤوسِ الناسِ.

وبعدَ أنْ حرّكَ المصباحَ يمنةً ويسرةً، رفعَ يدَهُ اليُسرى على نحوٍ ذكيٍّ، وصاحَ بفرحٍ: (مسيسيبي)!

وضغطَ في الوقتِ نفسِهِ على مفتاحِ المِصباحِ اليدويِّ، فانطفأَ الضوءُ في الحالِ. تعالى التصفيقُ مِنْ كلِّ الجهاتِ، وهتفَ الناسُ:

ـ يُعادُ! يُعادُ! وشرعوا يصفّقونَ كالمجانين.

أما أسلمُ وحميدةُ فقد قفزا لشدّةِ حماستِهما في الهواءِ. وأما ليّل فقد رفعَ يدهُ اليُسرى عاليًا، وسرعانَ ما سادَ الصمتُ اليَقِظُ.

حرّكَ ليّل مفتاحَ المصباحِ، وقالَ:

ـ (أوزرام)! فانهمرَ الضَّوءُ، ثُمَّ حرَّكَهُ إلى الوراءِ، وقالَ: (مسيسيبي)! فانطفأتِ الأنوارُ وتلاشتْ.

تعالتِ الهَمَساتُ والتَّعليقاتُ:

ـ إنَّ الشُّغلةَ تعملُ وفقًا لكلماتِهِ.

ـ إنَّهُ لا يحملُ النارَ معهُ. فالنارُ تشتعلُ تلقائيًا عندما يأمرُها. إنَّهُ مصباحٌ عجيبٌ!

انتظرَ ليتل حتّى هدأتِ الهَمَساتُ والتَّعليقاتُ قليلًا، ثُمَّ صاحَ:

ـ كانَ هذا هوَ الجزءُ الأوَّلُ مِنَ العرضِ السِّحريِّ. أمّا في الجزءِ الثّاني مِنَ العرضِ فسأقومُ بلمسِ الشُّعلةِ الحارقةِ بيدي، دونَ أنْ تحترقَ هذهِ اليدُ. ولكنْ قبلَ أنْ يبدأَ الجزءُ الثّاني، فإنّني أرجو مِنْ مشاهديَّ أنْ يتبرَّعوا لنا بما هوَ معروفٌ عنهُمْ مِنْ كَرَمٍ!

نزعَ عِمامتَهُ عَنْ رأسِهِ، ووضَعَها في يدِ أسلمَ، وقالَ لَهُ:

ـ أسرِعْ، وقُمْ بجمعِ المالِ مِنَ النّاسِ! ثُمَّ صاحَ: إنَّ صديقي سيمرُّ بكُم، كي نحصلَ عَلى شيءٍ مِنْ مساعدتِكُم، وأرجو أنْ تتذكَّروا أنَّهُ كلَّما كنتُمْ كرماءَ معنا، زادتْ روعةُ المَشاهدِ السِّحريَّةِ، كما أنَّ المصباحَ السِّحريَّ لَنْ يعملَ إلّا إذا قُمتُمْ بإعطائِنا بعضَ المالِ.

قامَ أحدُ الفِتيانِ الشُّجعانِ، وتسلَّلَ مِنْ بينِ الحُشودِ، وصاحَ:

ـ (أوزرام).

ضحكَ ليتل، وقالَ:

لو رامَ غيري سِحْرَهُ

ما اشـــتعلَ المِصباحُ
لكنَّ سِحْريَ ســـــاطِعٌ
يـــرسُـــمُهُ الصَّبـــاحُ

ثـمَّ صـاحَ (أوزرام) و(مسيـــيّي) فاشـتعلَ المصبـاحُ، ثُـمَّ انطفـأَ. كانَ تـبرُّعُ النّـاسِ أكثـرَ سـخاءً هـذه المـرّةَ. فتـبرّعَ المشـاهدونَ جميعًـا بقطـعٍ نقديّـةٍ متفاوتـةٍ.

صَعِدَ ليّل ثانيةً فوقَ الصُّندوقِ، وأشارَ إلى أنَّهُ سيستأنفُ العُروضَ.

صـاحَ ليّـل بأعـلى صوتـهِ (أوزرام) وأشـعلَ المصبـاحَ، ثُـمَّ وضـعَ إصبـعَ الشّـاهدِ عَـلى زجاجـةِ المصبـاحِ.

صاحَ المشاهدونَ صَيحةً مملوءةً بالدَّهشةِ والخوفِ.

تـركَ ليّـل إصبعَـهُ فـوقَ الزُّجاجـةِ مـدَّةَ دقيقـةٍ، ثُـمَّ رفعـهُ وأراهُ للنّـاسِ. لَمْ يكـنِ الإصبـعُ قـدِ احـترقَ، أو مسَّـتهُ النّـارُ عـلى الإطـلاقِ.

تصاعدَ التّصفيقُ.

رفـعَ ليّـل ذراعَـهُ الأيـسرَ، وأدخـلَ المصبـاحَ في كُـمِّ ردائـهِ. كانَ في مقـدورِ النّـاسِ أنْ يُشـاهدوا مِـنْ خِـلالِ القُـماشِ الرّقيـقِ الشُّـعلةَ السِّـحريّةَ وهـيَ تتحـرّكُ تحـتَ كُمِّـهِ، وَعَـلى أرجـاءِ جسـدِهِ.

تعالـتْ مجـدّدًا صيحـاتُ المشـاهدينَ، وأغمضـوا أعينَهـم خوفًـا، ووقعـتْ إحـدى النِّسـاءِ مغشـيًّا عليهـا، فقـامَ بعضُهـم بحملِهـا بعيـدًا.

لكـنَّ ملابسَـهُ لَمْ تحـترقْ، كَـما كانَ النّـاسُ يظنّـونَ، بَـلْ إنَّ ليّـل قـامَ بإمسـاكِ الجُـزءِ العُلـويِّ مِـنْ ردائـهِ، وأخـرجَ المصبـاحَ البـدويَّ مِـنْ خِلالِـهِ. أدركَ

النّاسُ مِنْ خِلالِ الإشاراتِ أنَّ المشهدَ التّالِيَ سيكونُ مَشهدًا خطيرًا؛ فقدِ انتظرَ ليّل حتّى سكنتْ كلُّ عضلةٍ مِنْ عَضلاتِ المشاهدينَ، ثُمَّ فتحَ فمَهُ، وأدخلَ الجزءَ العُلويَّ مِنَ المصباحِ فيه، وأمسكَ بالمصباحِ بكلِّ ما لديهِ مِنْ قوَّةٍ.

ـ مستحيلٌ! إنَّ رأسَهُ سيحترقُ مِنَ الدّاخِلِ! إنَّهُ يشتعلُ.

انظُروا كيفَ صارَ رأسُهُ يبدو! إنَّهُ يحترقُ! هكذا تعالى همسُ الجميعِ.

أخرجَ ليّل المصباحَ مِنْ فمِهِ، وصاحَ:

ـ (سيسيتي)! فانطفأَ النّورُ.

صارَ التّصفيقُ لا يتوقّفُ على الإطلاقِ.

فجأةً بدأَ صوتُ النّاسِ وضجيجُهم يختلطُ بأصواتِ حوافرِ الخيلِ الّتي صارتْ تَطْغى عَلى التّصفيقِ. لَقدْ جاءَ الفرسانُ الثّلاثةُ الّذينَ يرتدونَ المعاطفَ الدّاكِنةَ، وكانوا يسيرونَ في الشّارعِ الرّئيسيِّ باتّجاهِ ساحةِ السّوقِ. كانَ ليّل، الواقفُ فوقَ الصُّندوقِ، أوّلَ مَنْ رآهُمْ، فصاحَ بأسلمَ وحميدةَ قائلًا:

ـ الحُرّاسُ! إنّهُمْ قادمونَ إلى هُنا!

قالَ قائدُ الحُرّاسِ شيئًا لرفيقَيهِ، وأشارَ إلى ليّل الّذي صاحَ:

ـ لقدْ عَرفوني. هيّا نهربْ مِنْ هُنا!

أمسكَ أسلمُ العِمامةَ المملوءةَ بالقطعِ النّقديّةِ، ووضَعَها تحتَ إبطِهِ، وشقَّ طريقَهُ بينَ الحُشودِ البشريّةِ، وتبعتْهُ حميدةُ مَعَ (موك)، وسارَ ليّل وراءَهما. كانوا يسيرونَ ببطءٍ.

حثَّ الفرسانُ خيلَهم على السُّرعةِ، وقاموا باختراقِ النّاسِ المحتشدينَ

دونَ اكتراثٍ، واقتربوا بسرعةٍ.

فجأةً هبّتْ على الساحةِ رياحٌ قويّةٌ، وسرعانَ ما أخذَ المطرُ يهطلُ بغزارةٍ. انطفأتِ المشاعلُ، وسادَ الظّلامُ في الساحةِ، وبدأَ الناسُ يبحثونَ عنْ مأوى منْ هذا المطرِ الغزيرِ.

حاولَ الفُرسانُ البحثَ عنِ الأطفالِ الثّلاثةِ، لكنَّ بحثَهم كانَ بلا جَدْوى.

فقدْ كانَ الظّلامُ دامسًا، وصارتِ الرُّؤيةُ متعذّرةً تمامًا.

ركضَ ليّل وراءَ أسلمَ وحميدةَ، وساروا في أحدِ الأزقّةِ المظلمةِ.

أضاعتْ حميدةُ الحبلَ الّذي كان مربوطًا حولَ عُنُقِ (موك)، جرّاءَ الزّحامِ، لكنَّ (موك) ظلَّ يركضُ وراءَها.

وقفَ الجميعُ بعدَ مدّةٍ منَ الزّمنِ، وكانوا يتنفّسونَ بصعوبةٍ ويلهثونَ. كانَ الزُّقاقُ هادئًا، والبيوتُ مظلمةً، ولمْ يعُدْ ثَمّةَ أثرٌ للفرسانِ.

ثُمّ توقّفَ هطولُ المطرِ.

ـ كانَ لِهذا الطّقسِ المُتقلّبِ دورٌ إيجابيٌّ هذه المرّةَ همسَ ليّل وهوَ يمسحُ الماءَ عنْ شعرِهِ فقدْ نزلَ في الوقتِ المناسبِ تمامًا.

كانوا قدْ وصلوا ثانيةً إلى نُزُلِ الحياةِ السّعيدةِ، ووقفوا ببابِهِ. كانتْ الأبوابُ مغلقةً، فقامَ ليّل بقرعِ الأبوابِ.

ظهرَ وجهُ المرأةِ السّمينةِ مُجدّدًا مِنْ فُتحةٍ في البابِ. وقالتْ متعاطفةً معهُمْ:

ـ أنتمْ ثانيةً! أيّها الأطفالُ المساكينُ! إنّكم تقفونَ كالفِئرانِ في الخارجِ! انتظروا، فسأفتحُ البوّابةَ لكُم. ادخلوا بهدوءٍ وإلّا فإنَّ زوجي سَيَصْحو!

أغلقتِ المرأةُ البابَ، وأدخلتِ الثَّلاثةَ وكلبَهم، وقالتْ:

ـ إنَّني لا أستطيعُ أنْ أدعكُمْ تقفونَ مبلولينَ في الخارجِ، كما أنَّني لا أستطيعُ أنْ أعطيَكُم إحدى الغُرَفِ، فإنَّ زوجي لا يسمحُ بذلكَ، لكنَّ لدينا حظيرةً صغيرةً لحمارِنا، وتستطيعونَ أنْ تتدبَّروا أمورَكم، وفيها تبنٌ يمكنُكُمْ أنْ تناموا فوقَهُ.

ـ نحنُ لا نحتاجُ للنَّومِ في الحظيرةِ، فمَعَنا مِنَ المالِ ما يكفي. قالَ ليّل.

ـ هلْ هذا صحيحٌ؟ سألتِ المرأةُ السَّمينةُ.

فتحَ أسلمُ العِمامةَ، فأضاءَ ليّل مصباحَهُ اليدويَّ لِترى المرأةُ مِقدارَ ما في العِمامةِ مِنْ قِطَعٍ نقديَّةٍ.

كانتِ العِمامةُ مملوءةً بالقِطَعِ النَّقديَّةِ الكبيرةِ والصَّغيرةِ. ولَمْ تكنِ المرأةُ لتعرفَ مِنْ أيِّ الأمرَينِ تَعجَبُ: هَلْ تعجبُ مِنْ هذا المالِ الكثيرِ، أمْ مِنْ هذا الضَّوءِ الغريبِ؟

أعطتِ المرأةُ للأطفالِ أفضلَ الغرفِ في النُّزُلِ، ووضعتْ فيها فَرْشاتٍ ناعمةً، مملوءةً بالتِّبنِ الجديدِ، وأعطتْهُم أغطيةً سميكةً مِنْ وَبَرِ الجِمالِ خوفًا مِنْ بردِ اللَّيلِ.

استلقى ليّل فوقَ الفَرشةِ، وغطّى نفسَهُ، وحاولَ أنْ ينامَ.

سمعَ أثناءَ اللَّيلِ صوتَ حميدةَ وهيَ تُنادي، وتقولُ:

ـ أسلمُ، أسلمُ، أينَ أنتَ؟

نهضَ ليّل الَّذي لَمْ يكنْ يعرفُ إنْ كانَ قدْ أغفى أمْ لا.

ثمَّ نادتْ حميدةُ بعدَ ذلكَ:

ـ ليتل. هلْ نِمْتَ؟

ـ كلّا. ما الّذي جَرى؟ همسَ ليتل.

ـ هلْ تستطيعُ أنْ تضيءَ مصباحَكَ السّحريَّ. إنّني أعتقدُ أنّ أسلمَ قدِ اختفى.

أضاءَ ليتل المصباحَ. كانَ فراشُ أسلمَ خاليًا. وكانَ (موك) الّذي يُقْعي أمامَ فراشِ أسلمَ، قدِ اختفى هوَ الآخرُ.

أُقسمُ باللّهِ إنّهُ قدِ اختفى! قالتْ حميدةُ خائفةً، ثُمّ أضافتْ: أينَ هوَ الآنَ يا تُرى؟ وهلْ علينا أنْ نفتّشَ عنْهُ؟

ردَّ ليتل:

ـ إنّ مِنَ الأفضلِ أنْ ننتظرَ، فسيعودُ بالتّأكيدِ.

ـ وإذا لَمْ يعُدْ؟

ـ سيعودُ أسلمُ، بالتّأكيدِ. ردَّ ليتل مُواسيًا.

وبعدَ فترةٍ قالتْ حميدةُ:

ـ ليتل. إنّنا لَمْ نشكُرْكَ في الواقعِ.

ـ تشكرونَني؟ لِماذا؟ تساءَلَ ليتل.

ـ لِما قدّمْتَهُ مِنْ عُروضٍ سِحْريّةٍ. وللمالِ الوفيرِ الّذي جَمَعْتَهُ وَالّذي أفادَنا كثيرًا، فلولا ذلكَ لَكُنّا نِمنا في الشّارعِ.

ـ لا بأْسَ، لكنّ الأمرَ لَمْ يكنْ صَعبًا، وبخاصّةٍ في ما يتعلّقُ بالمصباحِ اليَدويِّ.

ـ مِنْ أينَ حصَلتَ على هذه الشُّعلةِ السِّحريّةِ العجيبةِ؟

ردَّ ليتل:

ـ اشتريتُها مِنْ محل لبيعِ الكَهربائيّاتِ وهوَ موجودٌ في شارعِ (شيلّر)... أردتُ أنْ أقولَ، إنّني أعْني...

شعرَ ليثل بالحَيرةِ. فأينَ يمكنُ أنْ نعثُرَ في بِلادِ المَشرقِ في ذلكَ العَصْرِ عَلى محلٍّ لبيعِ الكَهربائيّاتِ؟

ـ أردتُ أنْ أقولَ.. إنّني أعْني.. عندَها استيقظَ ليثل مِنَ النّوم.

كانَ عَلى سريرِهِ في منزلِهِ، وكانتِ العِمامَةُ ملقاةً عَلى مِخَدّتِهِ، لأنّها سقطتْ عَنْ رأسِهِ في أثناءِ النّوم. نَظرَ ليثل نحوَها فوجدَها خاليةً تَمامًا، لا تَحتوي عَلى أيّةِ قطعةٍ مِنَ النُّقودِ.

الخَميسُ

الفصلُ العشرونَ

صباحٌ غيرُ عاديٍّ

صحا ليثل، وجلسَ ونظرَ إلى ساعتِهِ الّتي كانتْ تشيرُ إلى السّابعةِ إلّا رُبعًا ـ كانَ ذلكَ هوَ الوقتُ الّذي اعتادتْ أنْ تجيءَ فيهِ السّيّدةُ يعقوبُ إلى غرفتِهِ كي توقظَهُ.

جلسَ بضعَ دقائقَ عَلى حافّةِ السّريرِ بانتظارِ مَجيئِها، لكنّها لَمْ تأتِ بَعْدَ أنْ مرّ ما يقربُ مِنْ خَمسِ دقائقَ، فنهضَ ليثل واتّجهَ إلى الحمّامِ.

وبينما كانَ يمرُّ بغرفةِ والديهِ، حيثُ تنامُ السّيّدةُ يعقوبُ، شاهدَها وهي تندفعُ إلى الخارجِ. كانتْ ثائرةً وهيَ تحاولُ أنْ تربطَ ثوبَها الصّباحيَّ بيدينِ مُرتعشتَيْنِ. وعندما شاهدتْهُ صاحتْ:

ـ (فيليب)! قلْ لي ماذا أصنعُ باللّهِ عليكَ! لقدْ غفوتُ، ولَمْ يتحرّكْ

منبّهُ السّاعةِ فلمْ أستيقظْ. كم السّاعةُ الآنَ؟ هلْ معكَ ساعةٌ؟ ماذا نَفعلُ؟ وكانَ منظرُها يشيرُ إلى اضْطرابِها، وكانَ شعرُها المُسَرَّحُ جيّدًا في العادةِ ينسدلُ على وجهِها. هدّأَ ليّلَ من رَوْعِها قائلًا:

ـ ليسَ الأمرُ بهذا السّوءِ، يا سَيِّدَةُ يَعقوبُ. لقدِ استيقظتُ، والسّاعةُ الآنَ لَمْ تبلغِ السّابعةَ.

ـ لقدْ أرحتَني، وسقطَ حِملٌ ثقيلٌ عَنْ كَتِفي. قالتِ السَّيِّدةُ يَعقوبُ، ثُمَّ أضافَتْ: ما الّذي سيقولُهُ والِداكَ لَوْ عَلِما بالأمرِ؟ هذا أمْرٌ لَمْ يسبِقْ أنْ وَقَعَ لي مِنْ قَبلُ.

ـ لَنْ يعرِفَ والِدايَ بالأمْرِ. وحتّى لَوْ عَرفا فليسَ الأمرُ سيّئًا إلى هذهِ الدَّرجةِ. فأنا لَمْ أتأخّرْ عنِ المدرسةِ.

ـ أنتَ ولدٌ طيّبٌ يا (فيليب). قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ وهيَ تُربّتُ فوقَ رأسِهِ، ثُمَّ تابعَتْ:

أرجو المعذرةَ. سأذهبُ إلى غرفةِ الحَمّامِ، وفي خِلالِ دقيقتينِ أكونُ قدِ انتهيتُ تمامًا. وبعدَها يمكنُكَ الدُّخولُ.

فكّرَ ليّل أنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ قد لا تكونُ شرّيرةً على الإطلاقِ، لكنّها بالتّأكيدِ ليستْ لطيفةً!

وبعدَ أنْ خرجتْ مِنْ غرفةِ الحَمّامِ متأخّرةً خمسَ دقائقَ عَنْ موعِدِها، عادتْ إلى وَضْعِها القديمِ، وبدتْ كَما كانتْ تبدو مِنْ قبلُ: كانَ شعرُها مُسَرَّحًا، وثَوبُها الصّباحيُّ مُزَرَّرًا، ونبراتُ صوتِها كالمُعتادِ عندما قالتْ لهُ:

ـ تستطيعُ أنْ تذهبَ الآنَ إلى الحَمّامِ يا (فيليب)! أسْرِعْ! فأنتَ تعلمُ أنَّ ما لديكَ مِنَ الوقتِ محدودٌ! نظّفْ أسنانَكَ! فسأذهبُ إلى المَطبخِ لتحضيرِ طَعامِ الإفطارِ!

تناولَ ليّل اللّبنَ كالمُعتادِ، وحصلَ على نقطةٍ إضافيّةٍ مِنَ السّيّدةِ يعقوبَ، فازدادَ محصولُه مِنَ النّقاطِ. وصارَ يعتقدُ أنّ بإمكانِهِ أنْ يجمعَ مئةَ نقطةٍ عندما ينتهي الأسبوعُ.

ـ هلْ أُحضِّرُ لكَ قطعةً مِنَ الخُبزِ لتأكُلَها أثناءَ الاستراحةِ؟

ـ حضِّري قِطْعَتينِ لُطْفًا!

ـ قطعتانِ! أرأيتَ؟ إنّ على المرءِ أنْ يَدُلَّ الأطفالَ على الطّريقِ السّليمِ، فقطعةُ الخبزِ أفضلُ ألفَ مرّةٍ مِنْ شوكولاتةِ الكناكي.

ـ شوكولاتةُ الكراكي! صحّحَها ليّل.

ـ أتريدُهما بالزُّبدةِ؟

ـ لا، بالنّقانِق. وهنا فكّرَ ليّل بأنّ (موك) سيجدُ النّقانِقَ أطيبَ طعماً مِنَ الخُبزِ المدهونِ بالزُّبدةِ.

ـ النّقانقُ جيّدةٌ، وهيَ تمنحُ الطّاقةَ. إنّ ذوقَكَ سيتحسّنُ تدريجيًّا. أثنتْ عليهِ، ثُمّ أضافتْ: لا تنسَ أنْ تأخُذَ معكَ معطفَكَ المَطَريَّ، فقدْ نسيتَه يومَ أمسِ.

ـ لكنّها لمْ تمطِرْ يومَ أمسِ.

ـ لكنّ المطرَ هطلَ ليلةَ البارحةِ.

ـ أنا لا أحبُّ ارتداءَ المعاطفِ المطريّةِ.

ـ كما تريدُ! فأنتَ مَنْ سيبتلُّ، ولستُ أنا. وتركَتْهُ يَمضي.

أخذَ ليّل يفتشُ عنْ (موك) على امتدادِ الطّريقِ دونَ توقُّفٍ، وأخذَ يُناديهِ. لكنّ (موك) لمْ يظهرْ، ولمْ يبدُ لهُ أثرٌ. فوصلَ ليّل إلى مدرستِهِ دونَ أنْ يُطعمَ (موك) شيئًا مِنَ الخُبزِ المدهونِ بالنّقانقِ. كانتِ السّاعةُ الثّامنةَ

إلّا خمس دقائقَ. فشعرَ ليّل بشيءٍ مِنَ الرّاحةِ. وكانَ يمشي الهُوَينا، ويقطعُ ممرَّ المدرسةِ ببُطءٍ. فجأةً اضطُرَّ ليّل أنْ يتوقّفَ، ولمْ يستطعْ أنْ يتحرّكَ، فقدْ رأى إلى جانبِ سلّةِ المُهملاتِ الموجودةِ أمامَ غرفةِ الصَّفِّ السِّوارَ الّذي رآهُ في الحلمِ.

توقّفَ ليّل عَنِ الحركةِ، ولمْ يجرؤْ أنْ ينحنيَ ليرفعَهُ؛ فقدْ كانَ يخشى أنْ يصحوَ، وأنْ يكونَ ما يراهُ الآنَ مجرّدَ حلمٍ.

لكنَّ ليّل انْحَنى والتقطَ السِّوارَ. كانَ هوَ السِّوارَ الذَّهبيَّ الّذي رآهُ ليلةَ البارحةِ في الحلمِ. كانَ يشبِهُهُ في الحجمِ والشَّكلِ والنَّمطِ، وكانَ فيه الحجرُ الأحمرُ نفسُهُ.

شعرَ ليّل بالحَيرةِ الشَّديدةِ. فكيفَ يمكنُ لهذا الشَّيءِ أنْ يأتيَ مِنْ حُلمِه إلى المدرسةِ.

ـ صباحُ الخيرِ يا ليّل! حيّاهُ أحدٌ على مقرُبةٍ منهُ. كانتْ حميدةُ قدْ جاءتْ مِنْ غُرفةِ الصَّفِّ. وعندما رأتْهُ صاحتْ:

ـ سِواري مَعَكَ! هلْ عثرتَ عليهِ؟ رائعٌ! لقدْ فتّشتُ عنهُ في جميعِ أرجاءِ غرفةِ الصَّفِّ. شُكرًا!

ثُمَّ انْتَقَطتِ السِّوارَ مِنْ يَدي لِيَل الَّذي كانَ يشعرُ بالحَيرةِ الشَّديدةِ.

ـ ولكنْ قولي: كيفَ يمكنُ أَنْ يكونَ هذا السِّوارُ لَكِ؟ إنَّهُ لَيسَ لَكِ عَلى الإطلاقِ!

ـ إنَّهُ لي بِكُلِّ تَأكيدٍ! لقدْ حصلتُ عليهِ أمسِ. أَلَمْ تَرَهُ مَعي؟

ـ أمسِ! سألَ لِيَل. لا أدري. ولكنْ هلْ هوَ لَكِ حَقًّا؟

ـ أَجَلْ إنَّهُ لي. أكَّدتْ حميدةُ. ثُمَّ دخلتْ مَعَ لِيَل إلى غرفةِ الصَّفِّ.

ـ أينَ أرسلانُ؟ سألَ لِيَل. أليسَ هُنا؟

شعرتْ حميدةُ بالارتباكِ، وقالتْ:

ـ إنَّـهُ.. إنَّـهُ مسـافرٌ، ولـنْ يـأتيَ إلى المدرسـةِ هـذا اليـومَ. وإيّـاكَ أنْ تَبـوحَ بهـذا السِّـرِّ لأحـدٍ!

ـ أسلمُ مسافرٌ! إنَّهُ لَمْ يرجعْ حتّى اللَّحظةِ.

ـ أرسلانُ هوَ المسافرُ. قالتْ حميدةُ مصحِّحَةً.

ـ لا فَرْقَ، إنَّهما شخصٌ واحدٌ! أجابَ ليّل.

وعنْدَمـا وصلـتِ المعلِّمـةُ (كلـوبي) إلى غرفـةِ الـدَّرسِ، وسـألتْ عَـنْ أرسـلانَ، زَعمـتْ حميـدةُ أنَّـهُ مريـضٌ، وأنَّـهُ مصـابٌ بالـزُّكام.

ظـلَّ ليّـل مـدَّةَ مـا قبـلَ الظُّهـرِ غائبًـا عَـنِ الوَعـي، كانَ يحـدِّقُ في سِـوارِ حميـدةَ، ويهـزُّ رأسَـهُ نفيًـا وموافقَـةً، ويُتمتِـمُ، دونَ أنْ يسـتطيعَ الإصغـاءَ لِمـا يقـالُ بتركيـز.

وقـدِ اضْطُـرّتِ السَّـيِّدةُ (كلـوبي) في حِصَّـةِ اللُّغـةِ الألمانيَّـةِ، وهـيَ حِصَّتُـهُ المفضَّلَـةَ، أنْ تنبِّهَـهُ ثـلاثَ مـرّاتٍ، حتّـى يُـدركَ أنَّـهُ هـوَ المقصـودُ. ومـعَ ذلـكَ فإنَّـهُ عجـزَ عـنِ الإجابـةِ عَـنِ السُّـؤالِ، حتّـى بعـدَ أنْ قامَـتْ بتكـرارِ السُّـؤالِ مِـنْ جديـدٍ.

فَسَألَتْهُ:

ـ مـاذا حـدثَ لـكَ يـا (فيليـب)؟ أنـا أعـرفُ أنَّـكَ تحلُـمُ في بعـضِ الأحيانِ. لكنّـي لَمْ أعهـدْكَ مُشـتَّتَ الذِّهـنِ عَـلى هـذهِ الشّـاكِلةِ مِـنْ قبـلُ عـلى الإطـلاقِ! إنّـي أخشـى أنْ تكـونَ مَريضًـا، وأنْ يكـونَ أرسـلانُ قَـدْ أصابَـكَ بالعَـدْوى. قُـلْ لأمِّـكَ إنَّ عَليهـا أنْ تقيـسَ درجـةَ حرارتِـكَ!

ـ إنَّ أُمّـي لا تسـتطيعُ أنْ تقيـسَ درجـةَ حَـرارتي؛ لأنَّهـا مسـافرةٌ، ولَـنْ تعـودَ قبـلَ يـومِ الإثنـينِ.

ـ وأينَ أبوكَ؟

ـ إنَّهُ مسافرٌ هوَ الآخرُ!

ـ هلْ أنتَ وحدَكَ في المنزلِ؟ سألتْهُ السَّيِّدةُ (كلوبي) وهيَ تشعرُ بالقلقِ.

ـ كلّا، إنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ تقومُ برعايتي. أكّدَ ليتل.

ـ الآنَ أدركْتُ لماذا تبدو غيرَ قادرٍ على التَّركيزِ؟ فأنتَ تعيشُ وحيدًا بعيدًا عنْ أُمِّكَ وأبيكَ، وهذا يؤدّي إلى شُرودِ الذِّهنِ.

لكنَّ شرودَهُ الذِّهنيَّ لمْ تكنْ لهُ علاقةٌ بسَفَرِ والديهِ، ولا بوجودِ السَّيِّدةِ يعقوبَ. فقدْ كانتْ لهُ أسبابٌ أُخرى لا يستطيعُ إيضاحَها. فكيفَ تأتي بعضُ الأشياءِ منْ أحلامِهِ لتحُطَّ فجأةً على أرضِ الواقعِ؟

الفصلُ الحادي والعشرونَ

أرسلانُ

بعدَ انتهاءِ الدَّوامِ المدرسيِّ سارَ ليتل مَعَ حميدةَ على امتدادِ شارعِ (هيردر). وبعدَ مدَّةٍ قصيرةٍ سألتْهُ حميدةُ وهيَ تتأمَّلُهُ بدقَّةٍ:

ـ هلْ لديكَ مشكلةٌ؟ لماذا لا تتكلَّمُ؟ هلْ أنتَ غاضبٌ منّي؟

ـ كلّا! كلّا! إنَّني مستغرقٌ في التَّفكيرِ لا أكثرَ. إنَّني لا أستطيعُ أنْ أربطَ الأشياءَ ببعضِها بعضًا. ثُمَّ أضافَ: لقدْ سافرَ أرسلانُ، واختفى أسلمُ، وأنتِ تقولينَ إنَّ هذا السِّوارَ لكِ.

ـ هذا صحيحٌ. إنَّهُ سِواري.

ـ أهوَ منَ الذَّهبِ الخالصِ؟

ـ مِنَ الذَّهبِ؟ لا. إنَّهُ يبدو وكأنَّهُ مِنَ الذَّهبِ. لكنَّهُ جميلٌ. أليسَ كذلكَ؟

ـ طبعًا، طبعًا. ردَّ ليثل وهوَ يشعرُ بأنَّهُ مشتَّتٌ، وفي أعماقِهِ كانَ يقولُ: في هذهِ الحالِ تكونُ المرأةُ السَّمينةُ، صاحبةُ النُّزُلِ، قدْ أخطأتْ تمامًا، عندَما أرادتْ أنْ تأخذَ السِّوارَ وديعةً. هذا إذا لمْ يكنْ مِنَ الذَّهبِ.

ثُمَّ أخذا يسيرانِ معًا ببُطْءٍ.

وقدْ شاهدا أمامَ مدخلِ أحدِ المنازلِ فتًى يجلسُ عَلى الدَّرَجِ. كانَ الفتى قدْ أرجعَ رأسَهُ إلى الوراءِ حتَّى لامسَ الجدارَ، واسترخى يستمتعُ بأشعَّةِ الشَّمسِ.

وقدْ مرَّتْ بِهِ امرأةٌ سَمينةٌ تحملُ كيسًا مليئًا بالمُشترياتِ، فصاحتْ في وجهِهِ، وأنزلَتْهُ عنِ الدَّرَجِ بطريقةٍ تُعرِّضُهُ للخَطَرِ.

ولمْ يكنْ ذلكَ الفتى سوى أرسلانَ.

ـ أرسلانُ! كيفَ وصلتَ إلى هُنا؟ ألستَ مريضًا؟ أينَ كنتَ صباحَ هذا اليومِ؟ صاحَ ليثل.

هزَّ أرسلانُ كتِفَيهِ، وقالَ:

ـ كنتُ في المدينةِ.

ـ هكذا بكُلِّ بساطةٍ! هَلْ تعمَّدْتَ التَّغيُّبَ عنِ المدرسةِ؟ سألَ ليثل.

ـ التَّغيُّبُ؟ تساءلَ أرسلانُ. ما معنى هذهِ الكلمةِ؟

شرحتْ حميدةُ لأرسلانَ معنى الكلمةِ بِلُغَتِها.

ـ نعمْ، لقدْ تعمَّدتُ التَّغيُّبَ عنِ المدرسةِ. أجابَ أرسلانُ.

ثُمَّ ساروا ثلاثتُهم معًا.

وكانَ عَلى ليّل أَنْ يسألَ في هذهِ اللَّحظةِ، وبخاصَّةٍ بعدَ أَنْ عادَ أرسلانُ:

ـ أتسمحانِ لي أَنْ أسألَكُما، شريطةَ أَنْ تَعِداني بألّا تَضحكا مني؟ قالَ ليّل.

ـ لماذا سنضحكُ منكَ؟ قالتْ حميدةُ، ثُمَّ أضافتْ: اسألْ ما بَدا لَكَ!

بدأَ ليّل حذِرًا، فقدْ أرادَ أَنْ يتدرَّجَ في الأمرِ حتّى لا تنكشِفَ المسائلُ عَلى الفورِ.

ـ هلْ تَعرفانِ أحدًا يُدْعى السِّندبادَ؟

فكَّرَتْ حميدةُ، وقالتْ: السِّندبادُ. أَجَلْ! السِّندبادُ. ثُمَّ شَرعتْ تبحثُ عنِ الكلمةِ المناسبةِ، وصاحتْ: أَجَلْ السِّندبادُ المَلّاحُ!

إذن فَهُما يعرفانِه، بَلْ إنَّهما يعرفانِ عنهُ أكثرَ مِمّا يعرفُ. فهُما يعرفانِ أنَّهُ كانَ ملّاحًا في البدايةِ.

فتشجَّعَ ليّل، وسألَ:

ـ وأنتُما، أرجوكُما ألّا تَضحكا، هلْ أنتُما أميرانِ؟ وأبوكُما أحدُ الملوكِ؟

ـ مَلِكٌ؟! قالَ أرسلانُ وهوَ غيرُ قادرٍ عَلى استيعابِ ما يُقالُ.

حدَّقَتْ حميدةُ في ليّل طَويلًا؛ لتعرفَ إنْ كانَ يسخرُ منْهُما، لكنَّ نظراتِه كانَتْ تنِمُّ عَنِ الجدِّيَّةِ والرَّزانَةِ.

ـ هَلْ تَهذي؟ هلْ جُنِنْتَ؟ سألتْ حميدةُ.

ـ هلْ تريدُ التَّنكيتَ؟ سألَ أرسلانُ.

ـ كلّا. لقدْ كانَ ذلكَ مُجرَّدَ سؤالٍ. اعتذرَ ليّل، وأضافَ: لكنَّ الأمرَ ليسَ هيِّنًا بالنِّسبةِ لي عَلى الإطلاقِ. فأنا أعرفُ فتىً يُدْعى أَسْلَمَ لا يستطيعُ الكَلامَ، كَما أنَّ أرسلانَ لا يتحدَّثُ هوَ الآخرُ. وأسلمُ هوَ ابنٌ

لأحدِ الملوكِ، وحميدةُ شقيقتُهُ، أعني حميدةَ الَّتي أعرفُها. وها أنتِ تمتلكينَ سِوارَها.

ـ حميدةُ! مِنْ أينَ تعرفُها؟

كانَ مِنَ الصَّعبِ على ليتل أنْ يقولَ إنَّهُ حَلِمَ بِها، لهذا تمتمَ قائلًا:

ـ مِنْ أحدِ الكتبِ، أو مِنْ إحدى الحكاياتِ.

ـ آه. أطرقَتْ حميدةُ برأسِها وقدْ أدركَتِ الأمرَ، وقالَتْ: إنَّ أبي يعملُ ميكانيكيًّا، أمّا أُمّي فتعملُ في حقلٍ لبيعِ الوُرودِ.

وفي هذهِ اللَّحظةِ قالَ لها أرسلانُ شيئًا بلغَتِها، فَتَرجَمَتْ ما قالَهُ:

ـ إنَّكَ تستطيعُ أنْ تزورَنا، وتتعرَّفَ إلى أُمِّنا.

عندَها توجَّهَ ليتل بالسُّؤالِ إلى أرسلانَ على نحوٍ مباشرٍ، وقالَ:

ـ لِماذا لا تتحدَّثُ أبدًا؟ فأنتَ تفهمُ كلَّ ما أقولُ.

ـ إنَّني لا أستطيعُ أنْ أتحدَّثَ. ردَّ أرسلانُ مُدافعًا.

ـ كيفَ؟ لقدْ تحدَّثْتَ للتَّوِّ. قالَ ليتل.

ـ صحيحٌ. لكنَّني لا أتحدَّثُ على نحوٍ صحيحٍ، فكلُّ ما أقولُهُ خطأٌ.

ـ وما الضَّررُ لو أنَّكَ أخطأتَ عندما تتكلَّمُ؟

ـ عندها سيضحكُ الجميعُ.

ـ هذا غيرُ صحيحٍ، فأنا لا أضحَكُ مثلًا. أكَّدَ ليتل.

ـ ثُمَّ إنَّ حميدةَ قادرةٌ على أنْ تتحدَّثَ بطلاقةٍ. إنَّها أصغرُ منّي، ومعَ ذلكَ فهيَ تعرِفُ كلَّ شيءٍ، وعليَّ دائمًا أنْ أسألَ لها. لِهذا السَّببِ لا أتحدَّثُ.

ـ الصحيحُ أنْ تقولَ أنْ أسألَها. قالَ ليتل مُصحِّحًا.

ـ لِرأيتَ؟ قالَ أرسلانُ ساخِطًا.

ـ إنَّ مِنَ الأفضلِ أنْ أقومَ بتصويبِ ما في كلامِكَ مِنْ أخطاءَ، وإلّا فكيفَ ستعلَمُ؟ قالَ ليّل.

ـ لِماذا ينبغي أنْ أقولَ أنْ أسألَها؟

ـ لِماذا؟ أُصيبَ ليّل بالدَّهشةِ: لِمَ لا؟ هذهِ هيَ القاعِدَةُ. ثُمَّ فكَّرَ قليلًا، وخُيِّلَ إليهِ أنَّهُ توصَّلَ إلى التَّعليلِ السَّليم: تقولُ ذلكَ لأنَّ الأمرَ يتعلَّقُ بالحديثِ عَنْ فتاةٍ، والفعلُ سألَ لا يحتاجُ إلى حرفِ جرٍّ. فَهُوَ يتعدّى بنفسِهِ.

ـ إنَّ عَلَيَّ أنْ أسألَها على الدَّوامِ. قالَ لرسلانُ، ثُمَّ أضافَ: وأنا لا أستطيعُ أنْ أحكيَها شيئًا.

ـ وأنا لا أستطيعُ أنْ أحكيَ لها شيئًا.

ـ لِماذا؟ أليسَتْ حميدةُ فتاةً؟

ـ بلى! قالَ ليّل. هذهِ هيَ القاعِدَةُ.

وعندَما تأمَّلَ ليّل الأمرَ بعمقٍ، تبيَّنَ لَهُ أنَّ اللُّغةَ الألمانيَّةَ صعبةٌ تمامًا.

فقال أرسلانُ متلمِّرًا:

ـ والمُصيبةُ في أدواتِ التَّعريفِ الخاصَّةِ بالمذكَّرِ والمؤنَّثِ والمُحايِدِ!

ـ كيفَ؟ إنَّها سَهلةٌ تمامًا. أكَّدَ ليّل.

ـ سهلةٌ؟ تساءلَ أرسلانُ، وأضافَ: ما هيَ الأداةُ المُستخدمَةُ للتَّعريفِ بالبيتِ؟

ـ إنَّها الأداةُ الخاصَّةُ بالمُحايِدِ.

ـ أليستِ المدرسةُ بيتًا؟

ـ طبعًا، إنَّها بيتٌ. وإلّا فما تكونُ إذن؟

ـ إذن ينبغي أنْ نقولَ: المدرسةُ مُستخدمينَ أداةَ تعريفِ المُحايِدِ، مَعَ أنَّنا نستخدمُ معها أداةَ التَّأنيثِ. قالَ أرسلانُ بثقةٍ.

ـ كَلّا. كَلّا. صحيحٌ أنَّ المدرسةَ هيَ بيتٌ، لكنَّها مدرسةٌ في النِّهايةِ، وينبغي تأنيثُها (وكانَ ليّل يهمسُ في داخلِهِ قائلًا: إنَّ الأمرَ مضحكٌ حقًّا، فلماذا لا نستخدمُ أداةَ تعريفِ المُحايِدِ مَعَ المدرسةِ؟).

ـ لرأيتَ؟ شَكا أرسلانُ، وقالَ: إنَّ اللُّغةَ الألمانيَّةَ صعبةٌ جدًّا، لِماذا لَمْ آتِ المدرسةَ هذا اليومَ.

ـ الصَّوابُ: لَمْ آتِ إلى المَدرسةِ.

ـ ما هذا؟ أرأيتَ كيفَ تتبدَّلُ أدواتُ التَّعريفِ، وتتغيَّرُ الأفعالُ؟

سَحَبَ ليّل نَفَسًا عميقًا، وقالَ:

ـ إنَّني أوافقُكَ.. إنَّ اللُّغةَ الألمانيَّةَ أصعبُ بكثيرٍ ممّا كنتُ أتصوَّرُ. ولكنْ أينَ تعلَّمتَ الألمانيَّةَ؟

ـ في مدينةِ (سندل فنجن). ردَّتْ حميدةُ.

ـ هلْ يمكنُ أنْ تتركيني كي أُجيبَ بِنَفسي؟ قالَ أرسلانُ غاضِبًا: في

مدينةِ (ستدل فنجن).

ـ آه. في (ستدل فنجن). قالَ ليبّل.

كانَ الثّلاثةُ قدْ وصلوا إلى شارع (فريدريش روكرت)، فتوقّفوا لحظاتٍ قليلةً، فتوجّهَ أرسلانُ بالحديثِ إلى ليبّل قائلاً:

ـ ماذا تقولُ؟ هلْ ستجيءُ غدًا؟

ـ تعني أنْ آتيَ لزيارتِكُم؟ نعمْ. بكلِّ سُرورٍ. ولكنْ في أيِّ ساعةٍ؟ وأينَ منزلُكُم؟ تساءلَ ليبّل.

ـ منزلُنا في شارعِ محطّةِ سكّةِ الحديدِ. قالتْ حميدةُ.

ـ هلْ يمكنُ أنْ أجيبَ، قالَ أرسلانُ: إنّهُ في شارعِ محطّةِ سكّةِ الحديدِ.

ـ حسنًا؟ ومتى سأجيءُ؟

ـ تعالَ معنا لتتناولَ الطّعامَ. اقترحَ أرسلانُ.

ـ أجلْ، لتناولِ طعامِ الغداءِ. وسأُخبرُ والِدَتي بذلِكَ. قالتْ حميدةُ.

ـ عظيمٌ، لِمَ لا؟ قالَ ليبّل، وقدْ أعجبَتْهُ الفكرةُ، ثُمّ أضافَ: شريطةَ ألّا تكونَ البَندورةُ مِنْ ضِمْنِ الطّعامِ.

ـ لا بَندورةَ. هذا ما سأقولُهُ لأمّي. وعَدَتْ حميدةُ.

تحدّثوا قليلًا، وبعدها استأذنَ ليبّل بالانصرافِ.

نظرتْ حميدةُ إلى السّماءِ، وقالتْ:

ـ دَعْنا نذهبُ، فإنّها ستُمْطرُ في الحالِ. أرسلانُ! هيّا!

ـ إلى اللّقاءِ غدًا. قالَ ليبّل.

ـ إلى اللّقاءِ. ردَّ أرسلانُ بلغَتِهِ.

ثُمّ تفرّقَ ثلاثتُهم في اتّجاهَينِ مختلفَينِ.

الفصلُ الثّاني والعشرونَ

(موك) يتسَبَّبُ في إحداثِ فَوضى

سارَ ليّل في شارعِ (فريدريش روكرت)، فشاهدَ عَلى الطَّرفِ المقابلِ مِنَ الشّارعِ كلبًا بُنِيَّ اللَّونِ، فتوقَّفَ. كانَ هوَ (موك). فناداه قائلًا:

ـ (موك)! (موك)! تعالَ!

قطعَ (موك) الشّارعَ، وحرَّكَ ذيلَهُ وكأنَّهُ يريدُ أنْ يُحيّيَ ليّل، وأخذَ يتحَسَّسُ حقيبَتَهُ المدرسيَّةَ بقوَّةٍ. أنزلَ ليّل الحقيبةَ عنْ ظهرِهِ، ووضعَها على ممرِّ المُشاةِ، وقالَ:

ـ دعْنا نرَ إنْ كانَ بالإمكانِ أنْ نعثُرَ لَكَ عَلى شيءٍ داخِلَها!

كانَ ليّل يصنعُ ذلكَ عَلى نحوٍ مملوءٍ بالإثارةِ، ففتحَ حقيبَتَهُ ببُطءٍ، وأخذَ يفتِّشُ في ثَناياها، وكأنَّهُ يبحثُ حقيقةً عنْ شيءٍ داخِلَها. وأخيرًا أشفقَ ليّل عَلى (موك) الَّذي كان يتطلَّعُ إلى الحقيبةِ متلهِّفًا، فمدَّ يدَهُ في الجانبِ الأيمنِ مِنَ الحقيبةِ ليُخرجَ الخبزَ.

أزالَ الـورقَ عَـنْ قطعـةِ الخُبـزِ، وقسَّـمَها إلى قِسـمَينِ، ورَمـى القسـمَ الأوَّلَ للكلـبِ الَّـذي هَجَـمَ عَـلى قطعـةِ الخبـزِ بقـوّةٍ وابتلَعَهـا.

ثُمَّ ناوَلَهُ الجزءَ الثّاني مِنَ الخبزِ فابتلَعَهُ، وهُنا اشتدَّ نزولُ المطرِ.

قـامَ ليـل بإغـلاقِ حقيبتِـهِ المدرسـيّةِ، حتّـى لا تبتـلَّ دفاتـرُهُ وكتبُـهُ، ورمـى للكلـبِ قطعـةَ الخُبـزِ الثّانيـةَ، ووضـعَ الحقيبـةَ المدرسـيّةَ فـوقَ رأسِـهِ، ليتّقـيَ المطـرَ النّـازلَ بقـوّةٍ، وودَّعَ (مـوك) وأسرعَ يعـدو نحـوَ المنـزلِ.

أكلَ (موك) قطعةَ الخبزِ الثّانيةَ بسرعةٍ، وانطلقَ يعدو خلفَ ليل.

وفي اللّحظـةِ الّتـي وصـلَ فيهـا ليـل إلى بوّابـةِ المنـزلِ، وقـرعَ الجـرسَ بقـوّةٍ، كانَ (مـوك) قـدْ وصـلَ، ووقـفَ إلى جـوارِهِ.

فتحتِ السّيّدةُ يعقوبُ البابَ، وقالتْ بلهجةٍ تأنيبيّةٍ ظاهرةٍ مِنْ البابِ:

ـ هذا هوَ جزاءُ مَنْ لا يرتدي معطفَهُ المَطريَّ.

وعندَمـا رأى ليـل ذلِـكَ، أدخـلَ (مـوك) معَـهُ عَـبرَ بوّابـةِ المنـزلِ، ووقفـا معًـا في المَمَـرِّ.

ـ غادِرْ فورًا! هيّا. صاحتِ السّيّدةُ يعقوبُ (موجّهةً خِطابَها للكلبِ).

ثمَّ التفتتْ إلى ليل، وقالتْ:

ـ كيفَ تسمحُ لنفسِكَ بإحضارِ هذا الوحشِ إلى المنزلِ؟

ـ أنا لَمْ أُحضِرْهُ إلى هُنا. لقدْ جاءَ مِنْ تلقاءِ نفسِه، ردَّ ليل.

لَمْ يُعِرْ (موك) السّيّدةَ يعقوبَ أيَّ انتباهٍ.

قـامَ أوّلًا بنفـضِ جَسَـدِه بقـوّةٍ، فتطايـرَتْ قطـراتُ المـاءِ عَنْـهُ حتّـى وصلـتْ إلى السّـقفِ، بعدَهـا دَخـلَ إلى غرفـةِ المَعيشـةِ دونَ تـردُّدٍ، وتمشّـى فوقَ سَـجّادِها الفاتـحِ بأرجُلِـه القـذرةِ، وقفـزَ إلى (الكَنَبَـةِ) الّتـي اعتـادتِ السّـيّدةُ يعقـوبُ

أَنْ تجلسَ فوقَها عندما تستخدمُ الهاتفَ، وجلسَ وهوَ يشعرُ بالارتياحِ. بعدَها أخذَ (موك) يتلفَّتُ يَمنةً ويَسرةً، ثُمَّ ركلَ بإحدى قدَميهِ إحدى المِخدّاتِ الموجودةِ فوقَ (الكنبةِ) وتمدَّدَ وهوَ يتنفَّسُ الصُّعداءَ.

حدّقتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بالكلبِ عدَّةَ لحظاتٍ وهيَ تشعرُ بالصَّدمةِ، ثُمَّ اندفعتْ نحوَهُ، ووقفتْ أمامَ (الكَنَبةِ) وصاحتْ:

ـ اخرجْ! انزلْ عنِ (الكنبةِ) حالًا، وغادرِ المنزلَ على الفورِ!

رفعَ (موك) رأسَهُ قليلًا. ونظرًا لأنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ لَمْ تجرؤْ على لمسِهِ، فقدْ وَضعَ رأسَهُ

عَلى قدمَيهِ الأماميَّتينِ، وتمدَّدَ موحيًا بأنَّهُ سيغفو قليلًا.

ثمَّ جاءَ ليّل، وخاطبَ (موك) بصوتٍ مملوءٍ بالتَّأنيبِ قائلًا:

ـ لا يصحُّ أنْ تفعلَ ذلكَ! انظُرْ ماذا فعلتَ بالسَّجّادةِ! هيّا انزلْ حالًا!

ثُمَّ أمسكَهُ مِنْ مؤخّرةِ عُنُقِهِ، وحاولَ أنْ يُنزلَهُ عَنِ (الكنبةِ).

أدركَ الكلبُ المطلوبَ في الحالِ، فقفزَ عَنِ (الكنبةِ) إلى السَّجّادةِ، ونظرَ إلى ليّل وكأنَّهُ يقولُ لَهُ «وماذا عليَّ أنْ أفعلَ الآنَ؟»

ـ تعالَ معي! هيّا! قالَ ليّل بلهجةٍ آمرةٍ.

فتحَ ليّل بابَ المنزلِ، وقالَ:

ـ هيّا اخرجْ! فأنتَ مبلولٌ وقذرٌ تمامًا!

سارَ (موك) بضعَ خطواتٍ وراءَ ليّل، لكنَّهُ ارتدَّ سريعًا إلى الوراءِ، وعادَ إلى غرفةِ المعيشةِ، وقفزَ فوقَ (الكنبةِ)، عندما رأى بابَ المنزلِ قد فُتِحَ، والمطرُ ما يزالُ يتساقطُ بقوّةٍ.

امتلأتِ السَّجّادةُ فاتحةُ اللَّونِ بآثارِ خُطى أقدامِ الكلبِ القذرةِ، فقال

ليثل:

ـ إنّني أستطيعُ طردَهُ خارجَ المنزلِ، إذا أعطيتُهُ شيئًا ليأكلَهُ. فأنا أحتاجُ إلى قطعةٍ مِنَ (النّقانق) أو ما شابَهَ.

فتحتِ السّيّدةُ يعقوبُ ثلّاجةَ المطبخِ، وأخذتْ تفتّشُ في داخلِها بأصابعَ مرتعشةٍ عنِ (النّقانقِ) وهيَ تصيحُ:

ـ كلبٌ في المنزلِ! وقذارةٌ كُبرى! كيفَ تجرؤُ عَلى أنْ تفعلَ هذا؟

أكّدَ ليثل مرّةً أُخرى أنّهُ لَمْ يقُمْ بإحضارِ الكلبِ.

عثرتِ السّيّدةُ يعقوبُ عَلى قطعةٍ مِنَ (النّقانقِ). أرادتْ أنْ تُعطيَها في بادئِ الأمرِ لليثل، لكنّها فكّرتْ بعدَ ذلكَ في أمرٍ مختلفٍ. فذهبتْ، ومعَها قطعةُ (النّقانقِ) إلى غرفةِ المعيشةِ.

ـ ماذا يُدعى الكلبُ؟ ما اسمُهُ؟ سألتِ السّيّدةُ يعقوبُ.

ـ اسمُهُ (موك). قالَ ليثل.

وضعتِ السّيّدةُ يعقوبُ قطعةَ (النّقانقِ) أمامَ أنفِ (موك) وصاحتْ:

ـ (موك)، تعالَ معي!

قفزَ (موك) في الحالِ عنِ (الكَنَبَةِ)، وجرى يلهثُ وراءَ (النّقانقِ).

ـ لا. لا تفعلْ! صاحتِ السّيّدةُ يعقوبُ بخوفٍ، ورفعتْ قطعةَ (النّقانقِ) إلى الأعلى، فقامَ ليثل بإبعادِ الكلبِ، وأمسكَ بِهِ بقوّةٍ.

ركضتِ السّيّدةُ يعقوبُ في الممرِّ، وبدلًا مِنْ أنْ تفتحَ بابَ المنزلِ، فتحتِ البابَ المؤدّيَ إلى القَبْوِ.

ـ دعهُ الآنَ! صاحتْ مخاطبةً ليثل.

جاءَ (موك) إلى الممرِّ سريعًا، فأرَتْهُ السّيّدةُ يعقوبُ قطعةَ (النّقانقِ)

ورمَتْها فوقَ درجاتِ القَبْوِ.

ركضَ (موك) خلفَ (الثُّعابينِ)، ونزلَ الدَّرجاتِ الموصلةَ إلى القَبْوِ. عندها قامتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بإغلاقِ البابِ بالمفتاحِ، فسألَها ليثل:

ـ لماذا لَمْ تقومي برَمْيِ (الثُّعابينِ) إلى الشارعِ؟ إنَّهُ الآنَ في القَبْوِ.

ـ إنَّ مكانَهُ الحقيقيَّ هوَ في القَبْوِ. هناكَ ينبغي أنْ يبقى.

ـ لماذا؟ ماذا سيفعلُ (موك) في القَبْوِ؟

ـ إنَّ عَلى أصحابِهِ أنْ يأتوا إلى هُنا لاستلامِهِ. وهُمْ لَنْ يأخذوهُ قَبْلَ أنْ يدفعوا أُجرةَ تنظيفِ السَّجادِ و(الكَنَبَةِ) والخَدَمِ. ردَّتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بغَضَبٍ.

ـ لكنَّ (موك) كلبٌ مُتَشَرِّدٌ لا أصحابَ لَهُ، فهوَ يتنقَّلُ منذُ بضعةِ أيّامٍ هُنا وهناكَ.

ـ كيفَ عرفتَ اسمَهُ إذنْ؟

ـ إنَّني لا أعرفُ اسمَه في الواقعِ. وقدْ أطلقتُ عليهِ هذا الاسمَ مِنْ عِنْدي.

ـ هلْ هذا صحيحٌ؟

ـ بالتَّأكيدِ.

فكَّرتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ قليلًا، ثُمَّ قالتْ:

ـ إذنْ سأَسْتَدعي الشُّرطةَ، وسيقومونَ بأخذِهِ.

ـ لماذا الشُّرطةُ تحديدًا؟ إنَّهُ سيختفي إلى الأبَدِ، ولَنْ أتمكَّنَ مِنْ رؤيتِهِ، وما دَخْلُ الشُّرطةِ بالكلبِ؟ تساءلَ ليثل.

ـ سيأخذونَهُ إلى مأوى الحيواناتِ، إلى بيتِ الكلابِ، وسيرتاحُ هناكَ.

ثُمَّ اتَّجهتْ إلى الهاتفِ، وبدأتْ الاتِّصالَ.

كانَ ليّل يقفُ ثائرًا إلى جانبِها، وهوَ يقولُ:

ـ أرجوكِ، دعيهِ يذهبُ يا سَيِّدَةُ يعقوبُ!

ـ كلّا! هذهِ مسألةٌ لا مجالَ للنِّقاشِ حولَها. اخفِضْ صوتَكَ قليلاً، فأنتَ تراني أريدُ أنْ أتكلَّمَ بالهاتفِ.

تسلّلَ ليّل إلى الممرِّ، وفي نيّتِه أنْ يفتحَ بابَ القَبْوِ بهدوءٍ، ويدعَ (موك) يهربُ. لكنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ كانتْ قدْ خبّأتِ المفتاحَ معها.

فعادَ ليّل حزينًا إلى غرفتِهِ، وتمدَّدَ فوقَ سريرِهِ، وأخذَ يحدِّقُ في السَّقفِ.

الفصلُ الثّالثُ والعشرونَ
اتِّصالٌ هاتفيٌّ

جاءتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بعدَ وقتٍ قصيرٍ إلى غرفتِهِ، كي تصطحبَهُ إلى المَطبخِ لِتناوُلِ طعامِ الغداءِ.

رفضَ ليّل الاستجابةَ، واستدارَ نحوَ الحائطِ، فقالتْ لهُ السَّيِّدةُ يعقوبُ بغضبٍ:

ـ إنْ لمْ تكنْ راغبًا في تناولِ الطَّعامِ، فأنا لا أستطيعُ أنْ أُجبرَكَ. ثُمَّ عادَتْ.

بعدَ مُرورِ وقتٍ طويلٍ سمعَ ليّل صوتَ جرسِ المنزلِ وهوَ يُقرَعُ، فجلسَ فوقَ سريرِهِ، وأخذَ يُصْغي إلى ما يدورُ حولَهُ. سمعَ أوّلَ ما سمعَ

أصواتَ عددٍ مِنَ الرِّجالِ، ثُمَّ سمعَ صَوتَ السَّيِّدَةِ يعقوبَ. بعدَ ذلكَ بقليلٍ جرى فتحُ أبوابِ القَبْوِ. وقدْ عرفَ ليّل ذلكَ مِنْ خِلالِ صريرِ تلكَ الأبوابِ. ثُمَّ عادَ واستمعَ إلى أصواتِ الرِّجالِ، ثُمَّ جَرى إغلاقُ بوّابةِ المنزلِ.

لَمْ يستطعْ ليّل أَنْ يَبقى في فراشِهِ طويلًا، فنزلَ الدَّرَجَ بهدوءٍ. كانتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ تتحدّثُ بالهاتفِ، وكانَ بابُ القبوِ هذه المرّةَ مفتوحًا. نادى ليّل بصوتٍ خفيضٍ:

ـ (موك)! (موك)! لكنَّ (موك) لَمْ يظهرْ كما اعتادَ أَنْ يفعلَ وهوَ يحرّكُ ذيلَهُ. لَمْ يكنْ سِوى الفراغِ، ودرجِ السِّردابِ المُقْفَرِ. لقدِ اختفى (موك).

عادَ ليّل إلى غرفتِهِ مجدَّدًا، وتمدَّدَ فوقَ السَّريرِ، وغطّى وجهَهُ بالمِخَدَّةِ، فَلَمْ يعدْ قادرًا على رؤيةِ أحدٍ، ولَمْ يعُدْ أحدٌ قادرًا على أَنْ يراهُ. وقالَ لنفسِهِ بحزْمٍ:

ـ سأظلُّ متمدِّدًا على هذهِ الشّاكِلَةِ، ولَنْ أنهضَ مِنَ السَّريرِ.

وظلَّ ممدَّدًا على هذا النَّحوِ وقتًا طويلًا، وأفكارُهُ الحزينةُ تملأُ رأسَهُ.

فجأةً فُتِحَ البابُ، ودخلتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ، وهيَ تقولُ:

ـ فيليب! فيليب. هناكَ مكالمةٌ هاتفيّةٌ لَكَ مِنْ أبيكَ وَأُمِّكَ.

مكالمةٌ هاتفيّةٌ! هلْ كانَ سمعُهُ صحيحًا هذهِ المرّةَ؟ أزاحَ ليّل المِخَدَّةَ، وقفزَ مِنَ السَّريرِ.

ـ أخيرًا! هَلْ كنتَ نائمًا؟ أَسْرِعْ فإنَّهما ينتظرانِ.

قفزَ ليّل الدَّرجاتِ، وأسرعَ إلى سمّاعةِ الهاتفِ، وقالَ بانفعالٍ:

ـ مرحبًا! أنا ليّل.

ـ ليـلـ. وَلَـدي! أخـيرًا تمكَّنْـتُ مِـنَ الحديـثِ مَعَـكَ؟ كيـفَ حالُـكَ؟ سـألتْهُ أُمُّهُ.

ـ لمـاذا لَمْ تتَّصِـلا بي مِـنْ قَبْـلُ؟ لقـدِ انتظـرتُ مكالَمَتَكُـما بفـارغِ الصَّـبرِ. ردَّ ليـلـ مُعاتِبًـا.

ـ لقـدْ حاوَلْنـا أَنْ نتَّصِـلَ بـكَ مِـرارًا، ولَمْ ننجـحْ في الاتِّصـالِ سـوى مـرَّةٍ واحـدةٍ. لا بُـدَّ أَنَّ السَّـيِّدةَ يعقـوبَ قَـدْ أخبرتْـكَ بذلِـكَ. أليـسَ كذلِـكَ؟

ـ أجلْ. لقدْ فعلَتْ؟ أكَّدَ ليـلـ.

ـ لقدْ حاوَلْنا الاتِّصالَ بكَ ثلاثَ مرّاتٍ يوميًّا.

ـ وماذا كانَ يحصلُ؟ سألَ ليـلـ.

ـ كانَ الهاتـفُ مَشـغولًا دائـمًا. فاعْتَقَدنـا، أَنـا وأبـوكَ، أنَّ الهاتـفَ مُعطَّـلٌ، فهـوَ مشـغولٌ باسـتمرارٍ. وبالمقابـلِ فأنـتَ لَمْ تتَّصـلْ بنـا. مَـعَ مَـنْ تتحـدَّثُ يـا تُـرى طيلـةَ هـذا الوقـتِ؟

ـ لسـتُ أَنـا. إنَّهـا السَّـيِّدةُ يعقـوبُ. فهـيَ تتحـدَّثُ كثـيرًا في الهاتِـفِ. ردَّ ليـلـ. وقـدْ كانَ ذلِـكَ تعبيـرًا مجامِـلًا في الواقـعِ، فقـدْ كانَ يريـدُ أَنْ يقـولَ: إنَّهـا تسـتخدمُ الهاتـفَ دونَ توقُّـفٍ.

ـ هـذا هـوَ السَّـببُ ـ قالـتِ الأمُّ ـ لا بـأسَ فهـا نحـنُ نتحـدَّثُ معًـا. إنَّنـا نفتقـدُكَ كثـيرًا. لكـنْ قُـلْ لي: كيـفَ حالُـكَ؟

ـ حالي سيِّئةٌ. ردَّ ليـلـ.

ـ سيِّئةٌ. لمـاذا؟ هـلْ أنـتَ مريـضٌ؟ كانَ صـوتُ والدتِـهِ مملـوءًا بالقلـقِ، ثُـمَّ تابعـتْ: هـلْ تواجـهُ مشـكلاتٍ مَـعَ السَّـيِّدةِ يعقـوبَ؟ احْـكِ لي. هيّـا!

ـ لقدْ طردَتْ (موك)، ولَنْ أتمكَّنَ مِنْ رؤيتِهِ إطلاقًا. ردَّ ليـلـ.

ـ مَنْ؟ (موك)؟ ومَنْ هوَ (موك) هذا؟ ومِنْ أينَ أحضَرتَهُ؟

ـ (مـوك) هـوَ أحـدُ الـكلاب. وكانَ في منزلنـا، فقامـتِ السَّـيِّدةُ يعقـوبُ باحتجـازِهِ في القَبْـوِ، ونـادتِ الشُّرْطـةَ، وتركتْهُـم يأخذونَـهُ.

ـ آه كلبٌ! هلْ قمتَ أنتَ بإحضارِهِ؟

ـ لقد تَبِعَني إلى المنزلِ.

سادَ الصَّمْتُ بضعَ لحظاتٍ، ثُمَّ قالتْ أمُّهُ بحذَرٍ:

ـ إنَّني أتفهَّـمُ دواعـيَ حُزنِـكَ، لكنَّـني أتفهَّـمُ، بالمقابـلِ، مـا فَعَلَتْـهُ السَّـيِّدةُ يعقـوبُ.

ـ ماذا؟ يمكِنُكِ أنْ تَفْهَمي ما فعلَتْهُ!

ـ إنَّهـا ضيفـةٌ في منزلِنـا ـ قالـتِ الأمُّ موضِّحَـةً ـ وهـيَ لا تسـتطيعُ أنْ تقبَـلَ وجـودَ كلـبٍ في منـزلٍ لا يَخُصُّهـا.

صمتَ ليَيْل.

ـ هل تسمَعُني يا ليَيْل؟ أما تزالُ عَلى الهاتِفِ؟ سألَتْهُ أمُّهُ.

ـ أَجَلْ. قالَ ليّل باختصار.

ـ إنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ لَمْ تفعلْ ذلكَ عَنْ وقاحَةٍ.

صمتَ ليّل. وكان يشعرُ بالإهانَةِ. فها هِيَ أُمُّهُ تقفُ إلى جانبِ السَّيِّدةِ يعقوبَ، وتقولُ إنَّها عَلى حَقٍّ.

كانَ ليّل يذهبُ في مثلِ هذهِ الحالاتِ إلى المِرحاضِ، ويغلقُ بابَهُ، ويبقى فيهِ طَويلاً،

يفكِّرُ في الإهانَةِ الَّتي تعرَّضَ لها. لكنَّهُ آثَرَ هذهِ المرَّةَ أَنْ يُبدِيَ امتعاضَهُ عَنْ طريقِ اللُّجوءِ إلى إجاباتٍ مختَصَرَةٍ وحاسِمَةٍ.

ـ ولكنْ هَلْ أمورُكَ الأُخرى تسيرُ على ما يُرامُ؟ وهلْ لديكَ ما تحتاجُ إليهِ؟

ـ هِمْ.. أجابَ ليّل.

ـ هلْ سبقَ لكَ أنْ قُمْتَ بزيارةِ السَّيِّدةِ (يشكي)؟

ـ نعمْ.

ـ هلِ الأمورُ في مدرستِكَ تسيرُ على نحوٍ حَسَنٍ؟

ـ هِمْ.

ـ هلْ تفتقدُنا قليلاً؟

ـ نعم.

ـ أرجوكَ يا ليّل. لا تشعُرْ بالإهانَةِ.

ـ هِمْ.

ـ كيفَ الطَّقسُ عندَكُم؟ هلْ ما يزالُ متقلِّبًا، أَمْ أنَّ الشَّمسَ مشرقةٌ كَما هِيَ عندَنا؟

ـ كَلّا.

ـ ليلى! إنَّ عِندي فكرةً رائعةً.

ـ ما هِيَ؟

ـ انتظرْ قليلًا. فسوفَ أناقِشُها مَعَ أبيكَ بسرعةٍ.

وهنا حلَّ الهدوءُ في الجانبِ الآخرِ.

ـ ألو.. أُمّي! قالَ ليلى.

ولَمْ يستمعْ إلى جوابٍ.

ـ ماما، أَما زلتِ على الهاتِفِ؟ تساءلَ ليلى بخوفٍ.

ـ لقدْ عُدْتُ إليكَ ثانيةً. لقدْ وافقَ أبوكَ عَلى الاقتراحِ. وهوَ يسلِّمُ عليكَ كثيرًا.

ـ على ماذا وافقَ أبي يا تُرى؟ وما هو المقترحُ الَّذي لديكُما؟

ـ لنْ نَجيءَ يومَ الإثنينِ. فَسنسافرُ مِنْ هنا مساءَ السَّبتِ، ونكونُ عندَكَ يومَ الأحدِ.

ـ رائعٌ. وفي أيَّةِ ساعةٍ ستصلانِ؟

ـ أظُنُّ أنَّنا سنكونُ عندَكَ وقتَ تناولِ طعامِ الغداءِ.

ـ إذن ستأتيانِ مبكِّرَينِ! هذا يُسعِدُني تمامًا. قالَ ليلى سعيدًا.

ـ لقدْ سعِدنا نحنُ أيضًا بذلِكَ! قالتْ أمُّهُ. ثُمَّ ودَّعَتْهُ، لتدعَ المجالَ لأبيهِ كي يتحدَّثَ معهُ بضعَ كلماتٍ على الهاتفِ ولتنتهيَ المكالمةُ.

ذهبَ ليلى إلى المطبخِ حيثُ كانتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

ـ أبلِّغُكِ تحياتِ والديّ. قالَ ليلى.

ـ شكرًا.

ـ وماذا فعلتِ يا تُرى بـ(موك)؟ سألَها بتأنيب.

ـ إنَّهُ الآنَ في بيتِ الكلابِ، ووضعُهُ جيّدٌ، تستطيعُ أنْ تطمئِنَّ. ومِنْ هناكَ يمكنُ لمالكيهِ أنْ يأخذوهُ، إذا كانَ لهُ أصحابٌ.

ـ همّ.. أجابَ ليّل، ثُمَّ قالَ في أعماقِهِ: إنَّ لديهِ كلبًا آخرَ يستطيعُ أنْ يلعبَ معَهُ!

ـ أليسَ لديكَ أصدقاءُ آخرونَ مِنَ الأطفالِ تلعبُ معهُمْ؟

ـ بالطَّبعِ. لديَّ أصدقاءُ. وهُنا أضافَ ليّل: هلْ تسمحينَ لي بأنْ أتناولَ طعامَ الغداءِ غدًا عندَ زميلٍ مِنْ زملاءِ الصَّفِّ؟ فقدْ دعاني للغداءِ.

نظرَ ليّل إلى السَّيِّدةِ يعقوبَ، وبدا لهُ للوهلةِ الأولى أنَّها سترفضُ، وأنَّ خلافًا سينشبُ بينَهُما في الحالِ. لكنَّها كانتْ قدْ قرَّرتْ أمرًا مُختلفًا. فلعلَّها شعرتْ بتأنيبِ الضَّميرِ بسببِ ما وقعَ للكلبِ، لهذا بدَتْ مَرِنَةً أكثرَ مِنَ المُعتادِ، فقالتْ:

ـ كما تشاءُ. وهذا يعني أنَّني سأتناولُ غدًا طعامَ الغداءِ وحدي. ولكنْ لا تتأخَّرْ في الرُّجوعِ إلى المنزلِ! وإلّا لنْ يتبقّى وقتٌ لأداءِ الواجباتِ المدرسيَّةِ. هلْ قمتَ بأدائِها اليومَ؟

ونظرًا لأنَّ ليّل لمْ يقُمْ بأدائِها، فقدْ صَعِدَ في الحالِ إلى غرفتِهِ، وأمضى ما تبقّى مِنْ عصرِ ذلكَ اليومِ في أداءِ واجباتِه المدرسيَّةِ.

كانَ ليّل ينتظرُ العشاءَ بفارغِ الصَّبرِ. فقدْ كانَ شديدَ الجوعِ، فهوَ لمْ يأكلْ أيَّ شيءٍ منذُ أنْ تناولَ شوكولاتةَ الكراكي في الاستراحةِ.

وعندما ناولتهُ السَّيِّدةُ يعقوبُ قطعةَ خبزٍ عِنْدَ العشاءِ، أكلَها أسرعَ بكثيرٍ ممّا اعتادَ أنْ يفعلَ. لهذا علَّقَتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ قائلةً بفخرٍ:

ـ لقد أعجبتُكَ كما يبدو! ولو قُدِّرَ لكَ أنْ تبقى عندي مدَّةً زمنيَّةً أطولَ، فلنْ تظلَّ نحيفًا على هذهِ الشَّاكِلَةِ.

وعندما آوى ليتبل إلى فراشِهِ، كانَ الظَّلامُ قد حلَّ. ومعَ ذلكَ فلمْ يتمكَّنْ مِنَ النَّوم. ولعلَّ ذلكَ يعودُ إلى كثرةِ ما تناولَ مِنَ الطَّعام.

ظلَّ ليتبل يتقلَّبُ مِنْ جهةٍ إلى أُخرى، ولا يدري ماذا يفعلُ، فيجلسُ تارةً، ويغطّي نفسَهُ تارةً أخرى حتّى يصلَ الغطاءُ إلى ذقنِه، ثُمَّ يقومُ بسحبِ الغطاءِ ليصلَ إلى ركبتَيهِ. وقدْ كانَ يضعُ رأسَهُ على المِخَدَّةِ، ثُمَّ يَضعُ المِخَدَّةَ فوقَ رأسِهِ. لكنَّ ذلكَ كلَّهُ كانَ قليلَ الجَدوى، ولمْ يستطعْ أنْ ينامَ إلّا عندَ الساعةِ الحاديةَ عشرةَ ليلًا، فأخذَ يواصلُ حُلمَهُ مِنْ جديدٍ.

الفصلُ الرّابعُ والعشرونَ

الحلمُ الرّابعُ

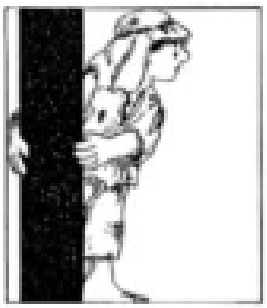

كانَ الصّباحُ قدْ طلعَ في تلكَ الأثناءِ.

استمعَ ليّل إلى صوتِ العصافيرِ القادمِ مِنْ سَطحِ النُّزُلِ، وهيَ تشدو عندَ بُزوغِ الفجرِ.

وعندما ذهبتِ العَتْمَةُ، وبانَ الصُّبحُ، ازدادَ الضّجيجُ، واقتربَ أكثرَ فأكثرَ. كانَ أحدُ الرُّعيانِ يسوقُ قطيعَ الأغنامِ مارًّا بالنُّزُلِ. أصغى ليّل أوّلاً إلى ثُغاءِ الماعزِ، ثُمَّ إلى صوتِ الرّاعي الّذي يقودُ القَطيعَ. بعدَ ذلكَ مَرَّ رَجُلٌ يركبُ حمارَه. ويبدو أنَّ الرَّجُلَ معروفٌ عندَ ساكني الزُّقاقِ؛ لأنَّ التّحيّاتِ كانتْ تنهالُ عليهِ بصوتٍ عالٍ ونغمةٍ مَرِحَةٍ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وصَوبٍ. وكانَ الرَّجُلُ يردُّ على التّحيّاتِ بالأسلوبِ نفسِهِ.

في المنزلِ المُجاورِ كانَ ثَمَّةَ مَنْ يستخدمُ المِطْرَقَةَ. وقدِ ارتفعَ صوتٌ ذُكوريٌّ يشتمُ رجلاً يُدْعى سعيدًا. أخيرًا استمعَ ليّل إلى صوتِ صاحبةِ النُّزُلِ وهي تُغنّي في ساحةِ النُّزُلِ الدّاخليّةِ، وتروحُ جيئةً وذَهابًا ومعَها أطباقُها المعدنيّةُ. كانتْ، على الأرجحِ، تُعِدُّ طعامَ الإفطارِ للمُقيمينَ عندَها.

فجأةً، شعرَ ليّل أنَّ حميدةَ تتأمّلُهُ.

استدارَ نحوَها، وحاولَ أنْ يبتسمَ، ثُمَّ قالَ لَها مُواسِيًا:

ـ سيعودُ أسلمُ بكلِّ تأكيدٍ.

كانَ ليّل يواجِهُ صعوبةً في الوُصولِ إلى مُستوى شجاعةِ حميدةَ؛ فهوَ

فتى سريعُ الانفعالِ. لكنَّهما الآنَ يجلسانِ معًا في الغرفةِ، ويتظرانِ، والأسئلةُ تدورُ في ذهنِ كلٍّ منهما:

تُرى ما الَّذي حدثَ على وجهِ التَّحديدِ؟ أينَ اختفى كلٌّ مِنْ أسلمَ و(موك)؟ ماذا يتوجَّبُ عليهما أنْ يفعلاهُ إذا لَمْ يعُد أسلمُ. وهُنا سألتْ حميدةُ:

ـ هلْ نقومُ بالبحثِ عنهُ؟

ـ هذا ما كنتُ أفكِّرُ فيه. لكنَّني أخشى أنْ يعودَ إلى هنا أثناءَ بحثِنا عنهُ.

ـ أستطيعُ أنْ أذهبَ للبحثِ عنهُ، ويُمكنُكَ البقاءُ هنا. فأنا بنتُ هذهِ المدينةِ، وأعرفُها أفضلَ مِنْ معرفَتِكَ بها. قالتْ حميدةُ مُقترِحةً. لكنَّ ليّل ردَّ قائلا:

ـ أنا الَّذي سيذهبُ. فنحنُ لا ندري مكانَهُ، ولا نعرفُ أينَ سنبحثُ عنهُ. وفي حالةٍ كهذهِ تستَوي المعرفةُ بالمدينةِ والجهلُ بها.

ـ أنتَ على صوابٍ. وأسألُ اللّهَ أنْ يرعاكَ! كُنْ حَذِرًا وبخاصَّةٍ مِنَ الحَرَسِ!

عندما وطِئتْ قدَما ليّل أرضَ السَّاحةِ الدَّاخليَّةِ للنُّزُلِ، كانتْ صاحبةُ النُّزُلِ تطبخُ التِّينَ. وقدْ شاهدَ ليّل قِدْرًا ضخمةً فوقَ النَّارِ، وكانتِ المرأةُ تحرِّكُ ما في داخلِ القِدْرِ بالمِلْعَقةِ الضَّخمةِ الَّتي تُمسِكُها بيدِها. صاحتِ المرأةُ عندما رأتْهُ:

ـ آه! لقدْ صَحَوتُم مِنَ النَّومِ! هل صَحا زميلاكَ الآخرانِ؟ هلْ أعدُّ لكُمُ الإفطارَ؟

لم يُجِبْ ليّل عَنْ أسئلتِها، واكتفى بأنْ سألَها:

ـ هلْ رأيتِ أسلمَ؟

ـ الولدَ الأخرسَ؟ أليسَ معكُم؟

ـ كَلّا. لقدِ اختفى هوَ والكلبُ. ولا نعرفُ أينَ ذهبَ.

ـ هكذا! لمْ لمْ تُخبرْنُكم بالمكانِ الَّذي سيذهبُ إليهِ... أرجو المعذرةَ. يا لَها مِنْ مُلاحَظَةٍ غبيَّةٍ. ما الَّذي يمكنُنا أنْ نفعلَهُ؟

ـ سأشرعُ بالبحثِ عنهُ. أكّدَ ليّل.

كانَ الطَّقسُ ما يزالُ مُعتدلَ البُرودةِ في الخارجِ.

وكانَ أصحابُ الحِرَفِ قد فَرغوا مِنْ تناوُلِ إفطارِهم، وجَلسوا أمامَ محلّاتِهم يباشرونَ أشغالَهُم.

وكانَ ثَمَّةَ أطفالٌ يلعبونَ لعبةَ «الرَّجُلِ الأسودِ». اتّجهَ ليّل نحوَهُمْ، وسَألَهُمْ:

ـ هلْ شاهدتُم فتًى غريبًا يمُرُّ مِنْ هُنا؟ إنَّهُ في مِثلِ سِنّي، ومعهُ كلبٌ بنيُّ اللّونِ. تفى الأطفالُ رؤيتَهم للفَتى وللكلبِ.

كانَ ليّل حائرًا أيَّ الطُّرُقِ يسلُكُ. ثُمَّ اتّخذَ قرارَهُ، فصارَ يركضُ على امتدادِ الزُّقاقِ. بعدَها صارَ يركضُ على امتدادِ أحدِ الأسوارِ العاليةِ الَّتي تُحيطُ بإحدى الحدائقِ. وكانَ قريبًا مِنْ بعضِ أشجارِ الفاكهةِ الَّتي كانتْ أغصانُها تمتدُّ فوقَ الزُّقاقِ، عندَما رأى أسلمَ قادمًا في الاتّجاهِ المُقابلِ.

كانَ أسلمُ في أقصى درجاتِ سرعتِهِ، ويركضُ بأقصى ما يستطيعُ مِنْ قُوَّةٍ. كادَ كلٌّ منهُما يتجاوزُ الآخرَ، لكنَّهُما توقّفا فجأةً.

ـ ليّل! صاحَ أسلمُ وهوَ يلهثُ، ويتنفَّسُ بصعوبةٍ.

ـ أسلمُ، ها أنتَ تستطيعُ الحديثَ! صاحَ ليّل مملوءًا بالدَّهشةِ، ثُمَّ

أردفَ: لماذا صارَ مِنَ المسموحِ لكَ أنْ تتكلَّمَ؟ ماذا جَرى؟ تكلَّمْ!

ـ توقَّفْ! واقفِزْ مِنْ فوقِ السُّورِ! هيّا! صاحَ أسلمُ. وقدْ ألحَّ عليهِ لدرجةِ أنَّ ليّلَ فعلَ ما طلبَهُ إليهِ دونَ مناقشةٍ.

تسلَّقَ ليّلُ الجِدارَ، وقفزَ ليَسْقطَ في حديقةٍ غريبةٍ. نزلَ ليّلُ عَلى مقربةٍ مِنْ حوضٍ مِنْ أحواضِ الزُّهورِ، في حينِ سقطَ أسلمُ فوقَ حوضِ الزُّهورِ.

ـ ما الأمرُ؟ همسَ ليّلُ وهوَ يشعرُ بالقلقِ.

ـ ألا تسمعُ؟ همسَ أسلمُ. أصغى الاثنانِ، فهمسَ ليّلُ:

ـ صوتُ حوافرِ الخَيلِ! ثُمَّ سألَ: هلْ همُ الحُرّاسُ الثَّلاثةُ؟

ـ بلْ اثنانِ. وهُما يطارداننِي.

كانَ صوتُ حوافرِ الخَيلِ فوقَ حجارةِ الرَّصيفِ يزدادُ عُلُوًّا. فقدْ كانَ ثَمَّةَ فارسانِ يَعْدُوانِ بفرَسَيهِما عَلى الجهةِ المقابلةِ للسُّورِ، ثُمَّ صارَ الصَّوتُ يخفُتُ حتّى لَمْ يعُدْ يُسمَعُ. فقالَ ليّلُ بارتياحٍ:

ـ لَمْ يكتشفانا!

في هذهِ اللَّحظةِ دُفعَ مِصراعُ نافذةِ المَنزلِ الَّذي تعودُ الحديقةُ إليهِ، واندفعَ مِنْ أحدِ الأبوابِ الخلفيَّةِ في الحالِ، رجلٌ غاضبٌ، والسَّوطُ في يدِهِ، وهوَ يصيحُ:

ـ أخيرًا أمسكتُ بكُما أيُّها اللُّصّانِ! أنتُما اللَّذانِ اعتدْتُما على سَرقةِ شجرةِ الرُّمّانِ! لكنْ ما دخلُ الوردِ؟ ولماذا دستُما فوقَها؟ إنَّ عليكُما أنْ تَذوقا، جزاءَ ذلكَ، طَعْمَ عَصايَ. كانَ الرَّجُلُ يصرُخُ، ويُحاولُ في تلكَ الأثناءِ أنْ يُمسِكَ برداءِ ليّلَ الَّذي أُصيبَ للحظةٍ بالذُّهولِ، لكنَّهُ أسرعَ

بالعَدْوِ نحوَ فروعِ أحدِ الأشجارِ، وَصَعِدَ فوقَهُ.

كانَ أسلمُ أسرعَ، فقدْ قفزَ إلى أعلى السّورِ، ومدَّ يدَهُ لليّل، وسَحَبَهُ نحوَهُ، ثُمَّ قَفَزا معًا إلى الزُّقاقِ.

كانَ صاحبُ الحديقةِ يواصِلُ شَتْمَ اللِّصَّينِ، ويتحسَّرُ على زهورِهِ الَّتي تكسَّرتْ، وإنْ كانَ الهدوءُ قدْ أخذَ يعودُ إليهِ بالتَّدريجِ.

ـ دخلَ الرَّجُلُ إلى منزلِهِ. قالَ أسلمُ، ثُمَّ أضافَ: إنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يتسلَّقَ السُّورَ، لأنَّ ذلكَ يكلِّفُهُ كثيرًا مِنَ الجهدِ والعناءِ.

ـ لقدْ كانَ على وشكِ الإمساكِ بي. قالَ ليّل وهوَ يمسحُ عَرَقَهُ عَنْ جبينِهِ، ثُمَّ أضافَ مخاطبًا أسلمَ: والآنَ يتوجَّبُ عليكَ أنْ تَحكِيَ لي عَنْ كلِّ شيءٍ. كيفَ استطعتَ أنْ تتحدَّثَ؟ وأينَ كنتَ؟

ردَّ أسلمُ خائفًا: ألا تسمعُ صوتَ الخيلِ؟

فَأصغى ليّل، ثُمَّ صاحَ: إنَّهما يعودانِ! ماذا نفعلُ الآنَ! ها هُما يعودانِ!

ـ هيّا اقفِزْ عَنِ السُّورِ! قالَ أسلمُ بلهجةٍ آمِرَةٍ. مَدَّ ليّل يدَهُ، وقفزَ الاثنانِ فوقَ حَوضِ الزُّهورِ.

قالَ ليّل يائسًا: انظرْ صاحبَ الحديقةِ! إنَّهُ واقفٌ وَمَعَهُ عَصاهُ!

ـ ضرباتُهُ أخَفُّ وَطْأَةً مِنَ الحَرَسِ!

لَمْ يتأخَّرْ ظُهورُ صاحبِ الحديقةِ، فقدْ سمعَ صوتَ القَفْزَةِ بوضوحٍ. نظرَ الرَّجُلُ عبرَ البابِ، وصاحَ:

ـ لقدْ عادَ هذانِ الوَحشانِ، هذانِ الوَغْدانِ! عادتْ هذهِ العِصابةُ إلى حوضِ الزُّهورِ، لَنْ تُفلِتا مِنِّي هذهِ المرَّةَ.

تطلّعَ ليّل نحوَ أسلمَ، يسألُهُ النّصيحةَ.

كانَ الحارسانِ يقودانِ فرسَيهما عَلى الطّرفِ المقابلِ للسّورِ، وكانَ صاحبُ الحَديقةِ يهدّدُهما ويطاردُهما بوصفِهما لِصّين.

ـ اتبعْني! صاحَ أسلمُ بصوتٍ نِصْفِ عالٍ وهوَ يركضُ عَلى امتدادِ السّورِ، في الجزءِ الأقصى مِنَ الحديقةِ.

كانَ صاحبُ الحَديقةِ يلاحِقُهما وأنفاسُهُ تكادُ تتقطّعُ.

وعندَما ظنَّ الرّجُلُ أنّهُ استطاعَ أنْ يحشرَهُما في إحْدى الزّواياء، قامَا فَجأةً بتغييرِ اتّجاهِهما، واندفعا خِلالَ بابِ المنزلِ.

ـ ماذا تصنعُ؟ إنّهُ منزلُ صاحبِ الحَديقةِ! قالَ ليّل لاهِثًا، وهوَ لا يكُفُّ عَنِ الجَري خلفَ أسلمَ.

لَمْ يردَّ أسلمُ، بَلْ جَرى في ممرِّ المنزلِ، وفتحَ أحدَ الأبوابِ، ثُمَّ أغلقَها، فَوَجدا نفسَيهما في الغرفةِ الخاصّةِ بالنّساءِ، ولَمّا خرجا مِنْها، وَجَدا بوابةَ المنزلِ، ففتَحاها وَخَرجا، ليَجدا أنّهما صارا في الشّارعِ المُقابلِ للحديقةِ.

وعندَما وصلَ صاحبُ الحديقةِ إلى بوّابةِ المنزلِ، كانَ أسلمُ وليّل قدِ اختَفيا وراءَ المُنعطَفِ وصارا في أمانٍ. عندَها قالَ أسلمُ: انتظِرْ، حتّى نصلَ إلى شقيقَتي حميدةَ، وَإلّا صِرْتُ مُضطرًّا لإعادةِ الحكايةِ مرّتينِ.

سارا بحذرٍ شديدٍ نحوَ النُّزُلِ خوفًا مِنَ الحَرسِ، ووصلا إلى هناكَ سالِمَيْنِ.

كانتْ حميدةُ في غايةِ السُّرورِ، فعانقتْ أخاها، وقالتْ: لَمْ أكُنْ أتوقّعُ أنْ يتمكّنَ ليّل مِنَ العُثورِ عليكَ. إنّهُ حقًّا ساحرٌ!

ـ أينَ كنتَ؟ وأينَ (موك)؟ سألَ ليّل وهوَ يتوقُ إلى معرفةِ ذلكَ.

ـ (مـوك)! لا أعـرفُ تحديـدًا. لكنّـي أرجـو ألّا يكـونَ قـدْ مـاتَ. قـالَ أسـلمُ وهـوَ يشـعرُ بالأسـى والمـرارةِ. ثُـمَّ أضـافَ: سـأحكي لكُـما القصَّـةَ بأكمَلِهـا: لقـدْ أمضيتُ ليلـةَ أمـس دونَ أنْ تغفـوَ عينـايَ، وأنـا أفكّـرُ. لقـدْ أخـبرَني معلّمـي سِـندبادُ أنَّ عـليَّ أنْ أصمُـتَ لمـدَّةِ سـبعةِ أيّـام. فاسـتلقَيتُ عَـلى فِـراشي، وأخـذتُ بالعـدِّ والحِسـابِ، إلّا أنّـني لَمْ أعـرفْ إنْ كانَ مـا مـرَّ سـتَّةُ أيّـام أم سـبعةُ أيّـام. وكانَ سـندبادُ هـوَ الشَّـخصُ الوحيـدُ القـادرُ عَـلى مُسـاعدَتي، وكانَ عـليَّ أنْ أذهـبَ إلى منزلِـهِ! كانَ ذَهـابي مُخاطـرَةً؛ لأنَّ منزلَـهُ يقـعُ إلى جانـبِ القَـصرِ، وكنـتُ مُعَرَّضًـا للاكْتِشـافِ والاعتقـالِ لَـوْ ذَهبـتُ إليـهِ في وَضَـحِ النَّهـارِ. لذلـكَ صَمَّمْـتُ أنْ أذهـبَ إلى منزلِـهِ لَيـلًا. لقـدْ كانَ كلاكُـما يَغُـطُّ في نـومٍ عميـقٍ، ولَمْ أُرِدْ أنْ أوقِظَكُـما. كنـتُ أعتقـدُ أنّـني سـأعودُ عنـدَ الصَّبـاحِ. كانَ الكلـبُ (مـوك) وحـدَهُ يَقِظًـا، فعندَمـا قُمْـتُ بالتَّسَـلُّلِ مـنَ الغُرْفـةِ تَبِعَنـي، وسـارَ خَلْفي. قرعـتُ بـابَ منـزلِ السِّـندبادِ لأوقِظَـهُ، واسـتمعتُ إلى صَـوتِ خُطُواتِـهِ في منزلِـهِ وهـوَ قـادمٌ ليفتـحَ بوّابـةَ المنـزلِ.

فصاحتْ حميدةُ:

ـ الحمدُ لِلّـهِ! إنَّهُ رَجُلٌ طيِّبٌ. ولا بُدَّ أنَّهُ قدْ أدخلكَ حالًا إلى منزلِهِ.

ـ إنَّـهُ لَمْ يفعـلْ ذلـكَ! فقـدْ تأمَّلَنـي، وصـاحَ، وأغلـقَ بـابَ المنـزلِ حـالًا. وكنـتُ واقفًـا في الخـارجِ، والظَّـلامُ يلُفُّني، ولا أعـرفُ مـاذا يتوجَّـبُ عـليَّ أنْ أفعـلَ. وأخـذتُ أتسـاءلُ إنْ كانَ معلّمـي العجـوزُ قـدْ خـافَ مِـنْ إدخـالي إلى منزلِـهِ؛ لأنَّـهُ صـدرَ القـرارُ بنَفْيـي؟ فقـدْ كنـتُ أعـدُّهُ دائمًـا صديقًـا لي!

وبينـما كنـتُ أقـفُ أمـامَ المنـزلِ، وأتأمَّـلُ مـا إذا كانَ يتوجَّـبُ عـليَّ أنْ أقـومَ بقـرعِ بـابِ المنـزلِ ثانيـةً، أو أمـضيَ لسـبيلي، إذا بالبـابِ فجـأةً يُفتَـحُ.

ـ هـلْ أنـتَ أسـلمُ؟ سـألَ سـندبادُ. فأطرقـتُ، وتسـاءلْتُ إنْ كنـتُ قـدْ

تغيّرتُ إلى درجةٍ لَمْ يعُدْ فيها قادرًا على التَّعرُّفِ إليَّ.

ـ هلْ أنتَ حَيٌّ؟ أمْ أنَّكَ مجرَّدُ شبحٍ؟

ـ كيفَ لي أنْ أُجيبَ عَنْ هذا السُّؤالِ؟ فَمِنْ غيرِ المسموحِ لي أنْ أتحدَّثَ.

مـدَدْتُ يـدي نحـوَهُ للمصافَحَـةِ، حتّى يتمكَّنَ مِنَ التَّعرُّفِ إليها، ويتأكَّدَ مِنْ أنّني لستُ مجرَّدَ شبحٍ.

أمسكَ الرَّجُلُ بيدي، وأدخلَني في الحالِ إلى منزلِهِ.

ـ هلْ أنتَ حَيٌّ؟ سألَني، وهوَ ذاهِلٌ.

كنتُ أتمنّى أنْ أُجيبَ: كيفَ لا؟ هَـزَزْتُ كَتِفَيَّ، وأشرتُ لَـهُ بيـديَّ أنّني أرغبُ في الكتابَةِ. أحضرَ لي سندبادُ لوحًا وأداةً للكتابةِ. فكتبتُ عَلى اللَّوحِ أوّلًا السُّؤالَ الَّـذي يُلـحُّ عَـليَّ، والَّـذي جئـتُ مِـنْ أجلِـهِ إلى منزِلـهِ «متى أستطيعُ أنْ أتحـدَّثَ؟»

كانَ فـوقَ طاولـةِ العَمَـلِ الخاصّـةِ بـه، مجموعةٌ كبيرةٌ مِنَ الأقلامِ الشَّمعيَّةِ، والأوراقِ والألـواحِ الصَّغيـرةِ. بَحَـثَ عـنِ الـوَرَقِ الخـاصِّ بي فوجـدَهُ ودرسَـهُ طويـلًا. وكنـتُ أقـفُ إلى جانبـه غيرَ قـادرٍ عَـلى التَّحـلّي بالصَّبرِ.

نطَـقَ السُّـندبادُ أخيـرًا، وقالَ: لقـدْ مـرَّ منتصـفُ اللَّيـلِ، وانقضـتِ الأيّـامُ السَّـبعَةُ. تسـتطيعُ أنْ تتكلَّـمَ.

أخيرًا!

بعدَهـا سـألتُهُ: لِـماذا اسـتقبَلَني بتلـكَ الأسـئلَةِ الغريبـةِ، فأعْلَمَنـي أنَّ الخـبرَ قـدْ شـاعَ بأنّنـا قـدْ تُوفّينـا.

ـ مُتنا! لماذا؟ سألتُ حيدةُ.

ـ عندَمـا عـادَ الحَـرَسُ إلى المدينـةِ مِـنَ الصَّحـراءِ، قامـوا بالإعـلانِ عَـنْ

خبرِ وفاتِنا في القَصْرِ، ورووْا بأنّنا قدْ مُتنا نحنُ الثّلاثةُ. وعلّلوا ذلكَ بأنّنا قُمْنا بالهربِ أثناءَ العاصفةِ الرّمليّةِ، فلمْ يتمكّنوا مِنَ اللّحاقِ بِنا. فقضتِ العاصفةُ عَلينا.

وهنا سألتْ حيدةُ: لماذا فَعلوا ذلكَ؟ مَعَ أنّهُمْ يعلمونَ أنّنا لَمْ نمُتْ!

فأجابَ ليّل: أستطيعُ أنْ أعرفَ السّبَبَ. إنّ الحُرّاسَ يريدونَ الحصولَ عَلى الكيسِ الثّاني المملوءِ بالذّهبِ مِنْ خالَتِكُما. وهمْ لنْ يحصُلوا عليهِ إلّا إذا قامَ الحُرّاسُ بتصفِيَتِنا؛ لذا زَعموا أنّنا قَضَينا نَحْبَنا في الصّحراءِ، وبذلكَ حصلوا عَلى المالِ.

ـ هذا ما حصلَ تمامًا. أكّدَ أسلمُ، وأضافَ: عندما بلغَ خبرُ موتِنا مسامعَ أبينا أُصيبَ باليأسِ تمامًا. وهوَ الآنَ معتكفٌ في غرفتِهِ لا يتوقّفُ عَنْ لومِ نفسِهِ، لأنّهُ قامَ بنفيِ أبنائِهِ. وقدْ أغلقَ بابَ غرفتِهِ عَلى نفسِهِ، ولا يريدُ أنْ يغادِرَها. ويقالُ إنّهُ لَمْ يعُدْ يرغبُ في المُلْكِ.

ـ وهوَ ما سيملأُ قلبَ خالَتِكُما بالفرحِ؛ لأنّ ابنَها سيصبحُ هوَ المَلِكُ. قالَ ليّل.

أطرَقَ أسلمُ، وواصلَ الحديثَ.

ـ وعندَما عرفتُ مِنْ سِندبادَ مِقدارَ ما يعانيهِ والدُنا مِنْ حزنٍ، صمّمتُ عَلى الذّهابِ إلى القصرِ؛ كي أُسَرّيَ عنهُ، وأقولَ لهُ إنّنا ما زِلْنا عَلى قيدِ الحَياةِ.

أقْنَعني سِندبادُ بالانتظارِ إلى الصّباحِ. وقدْ كانَ عَلى حقٍّ، فقدْ كانَ التّعبُ قَدْ بلغَ منّي مبلَغَهُ، لدرجةِ أنّني لَمْ أعُدْ أقوى عَلى الوقوفِ. فَنِمْتُ في منزِلِهِ حتّى طلعَ الصُّبحُ، فذهبتُ مَعَ (موك) إلى القصرِ في الصّباحِ الباكِرِ.

ـ جميلٌ! ماذا قالَ لكَ أبي؟ إنَّني لا أستطيعُ أنْ أتخيَّلَ مِقدارَ فرحَتِهِ. ليتَني كنتُ مَعَكَ في تلكَ اللَّحظاتِ! قالتْ حميدةُ.

ـ لحُسنِ الحظِّ أنَّكِ لَمْ تكوني معي في تلكَ اللَّحظاتِ. قالَ أسلمُ بمرارةٍ، ثُمَّ أضافَ:

عندما أردتُ عبورَ ساحةِ القصرِ الأولى الواقعةِ قبلَ الساحةِ الكُبرى للقصرِ، هجمَ الحَرَسُ الثَّلاثةُ عليَّ. كانوا مُختبئينَ يُراقبونَني، فلمَّا رَأَوني سَلُّوا سُيوفَهم، وانْطلقوا يركضونَ خلفي. ولَمْ يكونوا راغبينَ في الإمساكِ بي، بل كانوا يُريدونَ قَتْلي!

ـ قَتْلَكَ! تساءلَتْ حميدةُ في ذُهولٍ.

ـ أجلْ، قَتلي! أكَّدَ أسلمُ ذلكَ، وكانتْ تعبيراتُ وجهِهِ مُتجهِّمَةً. ثُمَّ قالَ: إنَّ حالَتَنا ينبغي ألا تعرفَ أنَّنا عَلى قيدِ الحياةِ، وهذا ما يَسْري على والدِنا كذلكَ. وعندَما تُقتَلُ يطمئنُّ الحَرَسُ إلى أنَّ الحقيقةَ قدْ ماتتْ معنا. لذلكَ ظلُّوا يجوبونَ المدينةَ بحثًا عنَّا طيلةَ ليلةِ أمسِ، وظلُّوا يجرونَ خَلفي، فقدْ توقَّعوا قدومي إلى القصرِ؛ لذلكَ جابوا المَدينةَ بحثًا عنّي، وظلُّوا يفتشونَ عنّي دونَ كَللٍ أو مَللٍ..

ـ لكنَّكَ لَمْ تُحدِّثْنا كيفَ استطعتَ أنْ تنجوَ مِنْ قبضتِهِمْ ـ قالَ ليثٌ ـ وبخاصَّةٍ عندَما اسْتَلُّوا سيوفَهُم وهجَموا عليكَ.. فردَّ أسلمُ:

ـ لَوْ لَمْ يكُنِ الكلبُ (موك) مَعِيَ، لكنتُ غادرتُ الحياةَ، ولما رأيتُموني بعدَ ذلكَ. فقدْ هاجَمَهم، ونبحَ عليهِمْ بشراسةٍ، وحالَ بينَهُم وبينَ الوصولِ إليَّ. وبينما كانوا مشغولينَ بـ(موك) استطعتُ الإفلاتَ منهُم. وعندَما انْتَطوا صَهوةَ خُيولِهم للَّحاقِ بي، كنتُ قدِ استطعتُ أنْ أتسلَّقَ سُورَ المقبرةِ. وعندما دَخلوا مِنْ خلالِ البابِ كنتُ قدْ تمكَّنْتُ مِنَ القفزِ

مِنْ عَلى سورِ المَقبرةِ الآخرِ، واختفيتُ في الزُّقاقِ التالي، وهناكَ وجدتُ ليثل. أمّا ما بقيَ مِنَ الحكايةِ فتعرفانِه.

أطرقَ ليثل، وهنا خطرَ ببالِه أنْ يتساءلَ: لقدْ كانَ عددُ الفُرسانِ الّذينَ يبحثونَ عنكَ اثنين. فأينَ الثالثُ يا تُرى؟

ـ ظلَّ في القصرِ لكي يضمنَ ألّا يصلَ واحدٌ مِنّا حيًّا إلى القصرِ، بينما زميلاهُ يتجوّلانِ في المدينةِ بحثًا عنّا. أجابَ أسلمُ.

فقالتْ حميدةُ غاضبةً: لكنَّ القصرَ مملوءٌ بالحَرَسِ، فأينَ كانوا؟ ولماذا لَمْ يُدافعوا عَنْكَ؟

ـ إنَّ بقيّةَ الحرسِ موجودونَ داخلَ القصرِ وفي ساحاتِه. وعندما يقومُ ثلاثةٌ منهم بالهجومِ عليَّ في أقصى الساحةِ الخارجيّةِ للقصرِ، فإنَّ الآخرينَ لنْ يلحظوا ذلكَ. وإذا لاحظوا فإنّهم سيعتقدونَ أنَّ الحرسَ قدْ أمسكوا بطفلٍ مِنْ أطفالِ الشّوارعِ، أو ألقوا القبضَ عَلى أحدِ اللُّصوصِ.

وهنا تأمّلَ أسلمُ ملابسَهُ القذرةَ المُمزّقةَ، وقالَ: إنَّ منظري ليسَ منظرَ أميرٍ عَلى الإطلاقِ!

فقالتْ حميدةُ: ينبغي أنْ نعثرَ عَلى إمكانيّةِ الدُّخولِ إلى القصرِ أحياءً. إنّنا لا نستطيعُ البقاءَ هنا إلى الأبدِ. إنّني أريدُ العودةَ إلى أبي وأمّي.

ـ اهدئي قليلًا. إنَّ المخرجَ موجودٌ دائمًا، وعلينا أنْ نجدَهُ. قالَ ليثل مهدّئًا مِنْ روعِ حميدةَ.

ـ وكيفَ يا تُرى؟ تساءلتْ حميدةُ، وقدْ فرغَ صبرُها.

ـ مِنْ خلالِ التّفكيرِ. قالَ ليثل.

جلسَ الثّلاثةُ إلى جوارِ بعضِهم بعضًا فوقَ إحدى الفُرُشاتِ المملوءةِ

بالقشِّ، وقدْ وضعَ كلٌّ منهُمْ ذقنَهُ على راحةِ يدِهِ، وبدؤوا بالتَّفكيرِ.

أحسَّ ليثل أنَّهُ عثرَ على مَخْرَج. فقدْ كانتْ لديهِ فكرةٌ، لكنَّ تصوُّرَهُ لمْ يكنْ قدِ اكتملَ، لهذا لمْ يكُنْ قادرًا على التَّعبيرِ عنها. كيفَ يتمُّ ذلكَ؟ أخذَ ليثل يتأمَّلُ بعُمقٍ.

أخذَ مخطَّطُهُ يتَّضحُ بالتَّدريجِ، وبَدا لهُ أنَّهُ وصلَ إلى المَخْرَجِ الصَّحيحِ للخروجِ مِنْ هذا المَأْزِقِ. لوْ لمْ تقُمِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بمناداتِهِ قائلةً: انهضْ يا فيليب. إنَّ عليكَ أنْ تنهضَ. إنَّها السَّابعةُ إلَّا رُبعًا!

ما الَّذي يستطيعُ ليثل أنْ يفعلَهُ: لقدْ خلَّفَ حميدةَ وأسلمَ وراءهُ يفكرانِ بالمخرجِ المناسبِ، واستيقظَ للذَّهابِ إلى المدرسةِ.

الفصلُ الخامسُ والعشرونَ

الجُمُعَةُ

عائلةُ غوني

ارتدى ليثل معطفَهُ المطريَّ هذهِ المرَّةَ عندما انتهى مِنْ إفطارِهِ، واتَّجهَ صوبَ المدرسةِ. فلمْ يكُنْ راغبًا في أنْ يبتلَّ كما جرى لهُ يومَ أمسِ.

وما إنْ صارَ في منتصفِ الطَّريقِ حتَّى ندمَ على ارتدائِهِ المعطفَ. فمعَ أنَّ الصَّباحَ ما زالَ في أوَّلِهِ، إلَّا أنَّ الشَّمسَ كانتْ تبعثُ الدِّفْءَ في الأجواءِ على نحوٍ واضحٍ، وكانتِ السَّماءُ خاليةً مِنَ الغيومِ، وكلُّ الدَّلائلِ تشيرُ إلى أنَّنا سنكونُ أمامَ يومٍ حارٍّ! فكَّرَ ليثل أنَّ مِنَ الأفضلِ أنْ يعودَ إلى منزلِهِ،

ويضعَ معطفَهُ المطريَّ هناكَ، لكنَّ ذلكَ يَعني أنْ يتأخَّرَ عنِ المدرسةِ. لِهذا صمَّمَ أنْ يتعمَّدَ نسيانَ معطفِه في المدرسةِ. ولمَّا جاءَتْهُ هذهِ الفكرةُ ارتاحَ، وتحسَّنَ مِزاجُه، ورأى في ذلكَ حلًّا عمليًّا. فالمعطفُ سيكونُ مُعلَّقًا على المِشْجَبِ الموجودِ أمامَ غرفةِ الصَّفِّ، فإذا تساقَطَ المطرُ ذاتَ يومٍ بعدَ انتهاءِ الدَّوامِ المدرسيِّ، فسيكونُ معطفُه هناكَ ليحميَهُ مِنَ البلَلِ. وقدْ تحسَّنَ مِزاجُهُ أكثرَ عندَما انحرفَ ليذهبَ باتِّجاهِ شارعِ (هيردر)، فوجدَ حميدةَ وأرسلانَ يسيرانِ أمامَهُ. غذَّ ليَسِيرَ خُطاهُ ليلحقَ بهما، ثمَّ ساروا جميعًا معًا. توجَّهتْ حميدةُ إليهِ بالسُّؤالِ:

ـ هلْ ستجيءُ اليومَ لتناوُلِ طعامِ الغَداءِ عندَنا؟

أطرقَ ليَنِل، وقالَ:

ـ سأذهبُ معكُما بعدَ انتهاءِ الدَّوامِ المدرسيِّ.

ـ جميلٌ. قالتْ حميدةُ.

ـ هذا أمرٌ جيِّدٌ. قالَ أرسلانُ.

لكنَّ ليَنِل سألَهُما:

ـ ماذا سنأكُلُ عندَكم اليومَ يا تُرى؟

ـ لا أدري. ردَّ أرسلانُ وهوَ يهزُّ كتِفَيهِ.

أما حميدةُ فقالتْ:

ـ أنا الأخرى لا أعرفُ ماذا سيقدَّمُ على المائدةِ، لكنَّني أعرفُ تمامًا ما لَنْ يوجَدَ على المائدةِ!

ـ ما الطَّعامُ الَّذي لنْ يكونَ موجودًا؟ سألَ ليَنِل.

ـ البَندورةُ. قالتْ حميدةُ ضاحكةً، ثُمَّ أضافتْ: إنَّ الطَّعامَ لنْ يكونَ

جاهِزًا عندَ وُصولِنا. فأُمّي تعملُ في مَحلِّ لبيعِ الزُّهورِ حتّى السّاعةِ الثّانيةَ عشرةَ، وهيَ ستقومُ بإعدادِ الغداءِ بسرعةٍ.

ـ إنّني قادرٌ على الانتظارِ. ردَّ ليثل بنبرةٍ تأكيديّةٍ، وأضافَ: فأنا لمْ أتناولْ طعامَ الغداءِ يومَ أمسِ إلّا عندَ المساءِ!

ـ لنْ تنتظرَ حتّى المساءِ عندَنا. لأنّ هذا يعني المجاعةَ! قالتْ حميدةُ.

انتهتْ فترةُ ما قبلَ الظُّهرِ سريعًا.

كانتْ هناكَ حِصّتانِ للّغةِ الألمانيّةِ، قامتِ السّيّدةُ (كلوبي) فيهما بإرجاعِ دفاترِ الإملاءِ. كانَ ثَمّةَ خَطأٌ واحدٌ عندَ ليثل، وأربعةَ عشرَ خطأً عندَ حميدةَ، وثلاثةٌ وسبعونَ عندَ أرسلانَ.

بعدَ الاستراحةِ كانَ هناكَ حصّتانِ للتّربيةِ الرّياضيّةِ. في البدايةِ أدّى الطّلبةُ بعضَ التّمريناتِ الرّياضيّةِ، ثُمّ قاموا بمسابقةٍ للجَرْيِ. جاءَ أرسلانُ في المُقدّمةِ، واحتلّتْ حميدةُ المرتبةَ الحاديةَ عشرةَ، أمّا ليثل فقدْ كانَ في المرتبةِ التّاسعةَ عشرةَ. بعدَها عادوا إلى غرفةِ الصّفِّ مِنْ أجلِ حصّةِ العلومِ الاجتماعيّةِ.

بعدَ انتهاءِ الحصّةِ رافقَ ليثل كُلًّا مِنْ حميدةَ وأرسلانَ إلى منزلِها.

شعرَ ليثل بمشاعرَ غريبةٍ عندَما ظلَّ يواصلُ المَشْيَ في شارعِ (فريدريش روكرت)، دونَ أنْ ينحرفَ إلى شارعِ (هيردر)، وظلَّ يواصِلُ المَشْيَ معهُما حتّى وصلوا إلى شارعِ محطّةِ السِّكّةِ الحديديّةِ. حاولَ ليثل أنْ يقرأَ الاسمَ المثبّتَ على بابِ الشّقّةِ (كانَ شَيءٌ مِنَ الظّلامِ يسودُ في بيتِ الدَّرَجِ).

كانَ الاسمُ المثبّتُ هوَ (غوتي)، ولمْ يكنْ ليثل حتّى تلكَ اللّحظةِ يعرفُ اسمَ عائلةِ زميلَيهِ. قرعَ أرسلانُ الجرسَ، ففتحتِ البابَ امرأةٌ شابّةٌ ممتلئةُ القوامِ.

ـ هذهِ والِدَتي. قالَ أرسلانُ.

ـ حيّاها ليّل بلطفٍ.

تبِعَ الثّلاثةُ السّيّدةَ (غوني) إلى غرفةِ المَعيشةِ، حيثُ كانتْ مائدةُ الطّعامِ مغطّاةً بالصُّحونِ، وقدِ اصطَفَّ إلى جوانبِها أربعةُ كَراسٍ.

تطلّعَ ليّل بفضولٍ في أرجاءِ الغرفةِ، فوجَدَها شبيهةً بغرفةِ المعيشةِ في شقّةِ السّيّدةِ (يشكي). ولمْ يكُنْ ثَمّةَ ما يمنعُ الغرفةَ طابَعها الشّرقيَّ سوى الموسيقى. فقدْ كانَ هناكَ مُسَجِّلٌ تصدحُ منهُ أنغامُ أغنيةٍ شرقيّةٍ. كَما وُجِدتْ بعضُ الصُّوَرِ والمناظرِ مُعَلَّقةً إلى جانبِ سَجّادةِ الحائطِ وراءَ(الكَنَبَةِ) الطّويلَةِ، وهيَ الأخرى شرقيّةُ الطّابعِ.

رأى ليّل صورةً لإحدى المدنِ. ورأى قلعةً تعلو فوقَ إحدى الصُّخورِ.

ـ هذهِ هيَ مدينتي الَّتي «وَلِدْتُ» فيها. قالَ أرسلانُ. لقدْ وَلِدْتُ هنا.

ـ لقدْ وُلِدْتُ هناكَ. قالَ ليّل مصحّحًا. ثُمَّ تساءلَ: وهلْ هيَ مدينةٌ كبيرةٌ؟ ضحكَ أرسلانُ، وقالَ فخورًا:

ـ إنَّها أكبرُ منْ مَدينتِنا هُنا بما يوازي عشرَ مرّاتٍ. كلُّ شيءٍ فيها كبيرٌ، وليسَ كما الحالُ هنا. فهنا كلُّ شيءٍ صغيرٌ، والمدينةُ صغيرةٌ كذلكَ.

ـ أتجدُها كذلكَ حقًّا؟ سألهُ ليّل.

ـ وهذانِ هُما جدّي وجدّتي. لقد كنتُ أعيشُ معَهُما. قالَ أرسلانُ.

ـ ها أنتَ تتكلّمُ الألمانيّةَ جيّدًا. ولا أعرفُ، تحديدًا، لماذا لا تتكلّمُ؟ قالَ ليّل مادحًا أرسلانَ.

وفي هذهِ اللّحظةِ جاءتِ السّيّدةُ (غوني) ومَعَها الطّعامُ.

أدركَ ليّل أنَّ الطّعامَ الموجودَ على المائدةِ يختلفُ عنِ الطّعامِ الألمانيِّ على نحوٍ واضحٍ تمامًا. فالخبزُ مسطّحٌ وسميكٌ يشبهُ الكعكةَ المُحلاةَ، وكانَ اللّبنُ موجودًا، لكنّهُ لمْ يكنْ لبنًا حُلوًا، بلْ كانَ مخلوطًا بالخيارِ والثّومِ، شبيهًا بالمُكوّناتِ الخاصّةِ بالسّلطةِ، لكنّها تخلو منَ السّلطةِ هذهِ المرّةَ.

وكانَ على المائدةِ الفلفلُ الأخضرُ الّذي فُرِغتْ بذورُهُ، وحُشيَ باللّحمِ والأرزِّ.

وقدْ شربتْ عائلةُ (غوني) كثيرًا منَ الماءِ في بادئِ الأمرِ. وكانتِ السّيّدةُ (غوني) توضّحُ لليّل اسمَ الطّعامِ المقدّمِ، لهذا لمْ يحفظْ ليّل أسماءَ تلكَ الأطعمةِ. كانتِ السّيّدةُ (غوني) تتحدّثُ الألمانيّةَ أفضلَ بكثيرٍ ممّا يستطيعُ أرسلانُ أنْ يتحدّثَ بها. وكانتْ لغتُها تقاربُ لغةَ حميدةَ في الجَوْدةِ، ويعودُ ذلكَ لأنّها تعملُ في محلِّ لبيعِ الزّهورِ. لكنّها كانتْ تلفظُ

بعضَ الكلماتِ على نحوٍ غريبٍ، لدرجةِ أنَّ ليّل كانَ يبذلُ جُهدًا كبيرًا كي يستطيعَ استيعابَها.

بعدَ الفراغِ مِنَ الطَّعامِ، قُدِّمَ لهُ طبقٌ يُدعى «حَلوى»، وهوَ لذيذُ الطَّعمِ، وشديدُ الحَلاوَةِ.

بعدَ الفراغِ مِنَ الطَّعامِ تَجرَّأَ ليّل وسألَهم عَنْ نقاطِ التَّجميعِ الموجودةِ عَلى علبِ اللَّبنِ. بدأَ يُفتِّشُ بمساعدةِ أرسلانَ وحميدةَ في سلَّةِ المُهملاتِ عنْ أغطيةِ اللَّبنِ. وعندما عثرَ عَليها تبيَّنَ لهُ لسوءِ الحَظِّ أنَّها تَخلو مِنَ العلاماتِ الخاصَّةِ بنقاطِ التَّجميعِ؛ لأنَّ السَّيِّدةَ (غوني) تشتري نوعًا مُغايرًا مِنَ الألبانِ، لا تَعتني بالنُّقاطِ. لكنَّها وعدَتْهُ أنْ تأخذَ ذلكَ بعينِ الاعتبارِ عندَ التَّسوُّقِ اللّاحقِ (وهوَ وعدٌ وجدَهُ ليّل دالًّا عَلى اللُّطفِ). وبعدَ أنْ لعبَ معَ حميدةَ، ثُمَّ معَ أرسلانَ لعبةَ المِطْحَنةِ، بدأَ يستعدُّ للعودةِ إلى منزلِهِ.

ودَّعَ ليّل السَّيِّدةَ (غوني) وسألَها إنْ كانتْ توافقُ عَلى مجيءِ أرسلانَ وحميدةَ إلى منزلِهِ غدًا لتناولِ طعامِ الغداءِ.

أرادتِ السَّيِّدةُ (غوني) أنْ تعرفَ إنْ كانَ والداهُ يَسمحانِ لهُ باستضافةِ حميدةَ وأرسلانَ. فقالَ:

- إنَّهما يسمحانِ بكلِّ تأكيدٍ. لكنَّهما ليسا هُنا في الوقتِ الحاضرِ، أمَّا السَّيِّدةُ يعقوب فهيَ الَّتي ستقومُ بالطَّبخِ لنا، ولنْ يُضيرَها أنْ تطبخَ طَعامًا إضافيًّا لطفلَيْنِ.

لمْ تمانعِ السَّيِّدةُ (غوني)، وكانَ أرسلانُ وحميدةُ موافقَيْنِ. وقدْ رافقاهُ مسافةً قصيرةً حتَّى وصلوا إلى شارعِ (فريدريش روكرت).

االفصلُ السَادسُ والعشرونَ
السَيِّدةُ (يشكي) تُقدِّمُ الحَلّ

استقبلتهُ السَيِّدةُ يعقوبُ بالأسئلةِ:

ـ حسنًا، هلْ أكلتَ جيِّدًا؟ هلْ مذاقُ الطَّعامِ عِندي أفضلُ أمْ في منزلِ أصدقائكَ؟

ـ إنَّ للطَّعامِ هناكَ مذاقًا مختلفًا.

ونظرًا لأنَّ الحديثَ كانَ يدورُ حولَ الطَّعامِ فقدْ سألَها ليِّل:

ـ هلْ تَسمحينَ لي بأنْ أُحضرَ أصدقائي إلى هُنا يومَ غدٍ لِتَناولَ طعامَ الغَداءِ؟

ـ أصدقاؤكَ؟ كمْ عددُهمْ يا تُرى؟ سألتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

ـ اثنانِ، وهُما اللَّذانِ تناولتُ عندَهما طعامَ الغَداءِ هذا اليومَ. إنَّهما شقيقٌ وشقيقتُهُ.

ـ اثنانِ. لا بأسَ. إذنْ سأطبخُ غدًا لأربعةِ أشخاصٍ، قالتِ السَّيِّدة يعقوبُ، ثُمَّ تساءلتْ: ما اسمُ عائلةِ صديقَيْكَ هذيْنِ؟ فلعلِّي أعرفُ أبوَيهما.

ـ اسمُ العائلةِ (غوني).

ـ (غوني)، يا لَهُ مِنْ اسم غريب! أتسكُنُ هذهِ العائلةُ هنا منذُ زمنٍ طويلٍ؟ وما هيَ الأسماءُ الأولى لصديقَيكَ؟ توالتْ أسئلةُ السَّيِّدةِ يعقوبَ.

ـ اسمُ الفَتى أرسلانُ، واسمُ الفتاةِ حميدةُ. أجابَ ليّل.

ـ أليسا مِنَ الأجانبِ؟ سألتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

ـ بَلى، إنَّهما مهاجرانِ شَرقيّانِ.

ـ لَنْ أسمحَ لَهُما بالدُّخولِ إلى هذا المنزلِ عَلى الإطلاقِ. كيفَ تجرؤُ على فِعْلِ هذا؟ قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ غاضِبَةً.

ـ لِماذا؟ وماذا فَعلا؟ ولِماذا لَنْ تَسمحي لَهُما بالدُّخولِ إلى المَنزلِ؟ تساءَلَ ليّل وهوَ يشعرُ بالذُّهولِ.

ـ كيفَ تجرؤُ عَلى أنْ تسألَ؟ وماذا سيقولُ والِداكَ عندَما يعلمانِ أنَّكَ دعوتَ اثنينِ مِنَ المهاجرينَ للغَداءِ؟ سألتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ وهيَ تشعرُ بالغضبِ الشَّديدِ. ثُمَّ أضافَتْ بلهجَةٍ ساخِرَةٍ: كأنَّ هذا هو ما ينقُصُنا!

ـ لكنَّني قدْ دعوتُهما، ولا أستطيعُ أنْ أقومَ بإلغاءِ الدَّعوةِ. قالَ ليّل يائسًا، ثُمَّ أضافَ: إنَّني أعلمُ تمامًا أنَّ والديَّ لَنْ يُعارضا ذلكَ. أعرفُ ذلكَ تمامًا.

ـ هذا أمرٌ لا يهمُّني، وما يهمُّني أنَّ هؤلاءِ الأجانبَ لَنْ يدخُلا إلى المنزلِ الَّذي أتولّى مسؤوليةَ رعايتِهِ. فقدْ يحدثُ ما لا تُحمَدُ عُقْباهُ، وسيقومُ والِداكَ عندئذٍ بِتحميلي المسؤوليّةِ.

ـ هلْ تُريدينَ أنْ تقولي إنَّ أرسلانَ وحميدةَ سيقومانِ بالسَّرقَةِ؟ صاحَ ليّل منفعلًا، ثُمَّ أضافَ: لقدْ كنتُ عندَهما اليومَ لتناولِ طعامِ الغداءِ، وأريدُ أنْ أدعوَهُما غدًا إلى هُنا.

ـ هلْ تأمرُني؟ هذا سيكونُ أكثرَ جمالًا! صاحتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ، ثُمَّ أضافتْ: لا داعي لمزيدٍ مِنَ النِّقاشِ حَولَ هذا الأمرِ. فَهُما لَنْ يَدْخُلا ها هُنا. انتهَينا!

ذهبَ ليّل إلى غرفتِهِ.

كانَ عليهِ أَنْ يبدأَ بحلِّ واجباتِهِ المدرسيّةِ، لكنَّهُ لَمْ يستطعْ أنْ يتوقَّفَ عَنِ التَّفكيرِ في أرسلانَ وحميدةَ ودعوتِهِ لَهُما للغداءِ. فماذا يتوجَّبُ عليهِ أَنْ يفعلَ؟ ومَنْ يستطيعُ أنْ يقدِّمَ لَهُ النَّصيحَةَ؟ إنَّها السَّيِّدةُ (يشكي). نَعَمْ إنَّها هيَ. لِذا قرَّرَ أنْ يزورَ السَّيِّدةَ (يشكي) ويطلُبَ نصيحتَها. فضلًا عَنْ أَنَّهُ لَمْ يجدْ شيئًا يفعلُهُ مَعَ الكلبِ (موك).

قرَّرَ ليّل تأجيلَ القيامِ بحلِّ واجباتِهِ المدرسيّةِ، فَتسلَّلَ مِنَ المنزلِ، حتّى لا تشعرَ السَّيِّدةُ يعقوبُ بخروجِهِ، وسارَ إلى منزلِ السَّيِّدةِ (يشكي).

فرحتْ السَّيِّدةُ (يشكي) بزيارتِهِ لَها، واستقبلتْهُ بالتَّحيَّةِ والتَّرحابِ، وسألَتْهُ:

ـ هلْ أنتَ سيِّئُ المزاجِ هذا النَّهارَ؟ إنَّ وجهَكَ عابسٌ! ما الَّذي يُؤرِّقُكَ، ويثقلُ عَلى فؤادِكَ؟

ـ هناكَ كثيرٌ! إنَّها السَّيِّدةُ يعقوبُ. لَقَدْ طردَتِ الكلبَ مِنَ المنزلِ، ولَنْ تسمحَ لحميدةَ وأرسلانَ بدخولِ المنزلِ.

ثُمَّ حَكى لها كلَّ شيءٍ.

هزَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي) رأسَها، وقالتْ:

ـ إنَّني أستطيعُ أَنْ أستوعبَ ما حدثَ مَعَ الكلبِ، وإنْ كنتُ أجدهُ أمرًا مؤسفًا،

فقدْ كنتُ استمتعُ بإطعامِهِ..

ـ وأنا أيضًا. قالَ ليبل مِنَ الأعماقِ. ثُمَّ أضافتْ:

ـ لكنّني لا أستطيعُ استيعابَ ما جرى بخصوصِ أصدقائِكَ! فماذا سنفعلُ؟ فأنتَ لا تستطيعُ أنْ تقولَ لهُما غدًا: يؤسِفُني أنّكُما لا تستطيعانِ أنْ تجيئا إلى منزلي غدًا لأنّكُما مهاجرانِ!

ـ بالتّأكيدِ. فهذا أمرٌ كريهٌ، لأنّهما لنْ يكلّماني بعدَ ذلكَ على الإطلاقِ. ولكنْ يبدو أنّهُ لا مفرَّ مِنْ إلغاءِ الدّعوةِ. فماذا أقولُ لهُما؟

ـ لا تَقُلْ لهُما شيئًا! أتعرفُ: تعالَوْا أنتمُ الثّلاثةُ إلى هُنا لتناوُلِ طعامِ الغداءِ. وليسَ ثمّةَ فرقٌ أنْ تأكُلوا في منزلي أو في منزِلكم.

ـ أتفعلينَ ذلكَ حقًّا؟ سألها ليبل وهوَ يشعرُ بالفَرَحِ.

ابتسمتِ السّيّدةُ (يشكي) وقالتْ:

ـ إذا ما سألكَ صديقاكَ، فلا تخبرْهُما أنّكَ تسكنُ هاهنا، فلا يجوزُ لنا أنْ نكذبَ عليهما. لكنّكَ لستَ مضطرًا كي تحكيَ لهُما عنِ السّيّدةِ يعقوبَ وكلماتِها الغيبيّةِ. ويمكنُكَ أنْ تقولَ لهُما إنّ أباكَ وأمّكَ ليسا هنا، وإنّنا سنتناولُ الطّعامَ في منزلِ السّيّدةِ (يشكي).

ـ هذا صحيحٌ. قالَ ليبل، ورجَعَ إلى منزلِهِ مُنشرحَ الصّدرِ.

عندَ العشاءِ سألَتْهُ السّيّدةُ يَعقوبُ:

ـ هلِ اقتنعتَ بعدمِ مجيءِ صديقَيكَ المهاجرَيْنِ إلى هنا للغداءِ؟

ـ نعمْ. نعمْ. ردَّ ليبل بفرحٍ غامرٍ، وأضافَ: أنا لَنْ أتناولَ الغداءَ هُنا. سنتغدّى نحنُ الثّلاثةُ عندَ السّيّدةِ (يشكي).

ـ ماذا؟ في منزلِ السّيّدةِ (يشكي)! صرختِ السّيّدةُ يعقوبُ، وقدْ كادتِ

الشَّوكةُ تسقطُ منْ يَدِها.

أطرقَ ليَيْل. فقالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بحزمٍ:

ـ لا أظنُّكَ ستفعلُ ذلكَ!

ـ ماذا؟

ـ ستتناولُ طعامَ الغداءِ عندي غدًا!

ـ سأتناولُ الغداءَ مَعَ حميدةَ وأرسلانَ. فإذا سمحتِ لهُما بالقدومِ إلى هنا، فسنأكلُ جميعًا عندَكِ.

ـ هلْ تريدُ أنْ تبتزَّني؟ بلْ ستجيءُ إلى هُنا بمفردِكَ، وتتناولَ الطَّعامَ مَعي.

ـ لا. قالَ ليَيْل.

فقالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بلهجةٍ مملوءةٍ بالوعيدِ:

ـ سنرى، ستتناولُ الطَّعامَ هنا!

ـ لا.

ـ اذهَبْ إلى سريرِكَ في الحالِ. هذِهِ عقوبةٌ لَكَ، أتفهمُ؟ وفي سريرِكَ تستطيعُ أنْ تفكِّرَ أينَ ستتناولُ طَعامَ الغداءِ.

ـ كَما تريدينَ. ردَّ ليَيْل.

ذهبَ ليَيْل إلى غرفتِهِ، خلعَ ملابسَهُ، واستَلقى على سريرِهِ. كانَ يفكِّرُ في أرسلانَ وحميدةَ على نحوٍ مستمرٍّ.

لكنَّ هذا التَّفكيرَ ينْبغي أنْ يتوقَّفَ في الحالِ. وعَليهِ أنْ يُواصِلَ الحُلمَ بالحكايةِ ليصلَ إلى نهايتِها. لِهذا حاولَ أنْ يؤجِّلَ التَّفكيرَ بصديقَيهِ، وأنْ

يـدعَ المجـالَ للتَّصـوُّراتِ الشَّرقيَّـةِ لتحـلَّ بـدلًا منهـا. فبـدأَ ليـل يتخيَّـلُ العاصمـةَ، والأزقّـةَ والنُّـزُلَ ورَدهـاتِ القـصرِ. وعندَمـا وصـلَ بتَخَيُّلاتِـهِ إلى الغرفـةِ الموجـودةِ في النُّـزُلِ نـامَ، وأخـذَ يحلُـمُ.

الفصلُ السّابعُ والعشرونَ
الحُلْمُ الخامِسُ

سألَ ليّل كُلًّا مِنْ أسلمَ وحميدةَ:

ـ هلْ وقعَ لكُما شيءٌ في المُدّةِ الّتي لَمْ نلتَقِ فيها؟

ـ على الإطلاقِ. قالَ أسلمُ، وهوَ يهزُّ رأسَهُ نافيًا.

ـ وأنا الآخرُ لَمْ يقعْ لي شيءٌ. ردَّ ليّل، وأضافَ: كانتْ لديَّ فكرةٌ لكنّني نسيتُها.

قُرعَ بابُ الغرفةِ، فهَرعَ أسلمُ صوبَ البابِ، وأصغى، ثُمَّ سألَ بصوتٍ خفيضٍ:

ـ مَنْ بالبابِ؟

ـ أنا صاحبةُ النُّزُلِ. قالتِ المرأةُ وهيَ تجولُ بعينَيها في أرجاءِ الغرفةِ، ثُمَّ أردفتْ قائلةً: إنّنا عندَ الظُّهرِ تقريبًا، ولَمْ تتناولوا طعامًا قطُّ إلى الآنَ. فماذا جَرى لكم؟

ـ إنّنا مشغولونَ بالتّفكيرِ. قالَ أسلمُ.

فصاحتِ المرأةُ:

ـ إنّكَ قادرٌ على الكلامِ! فلماذا إذن تجلسونَ على هذا النّحوِ الحزينِ، وقدْ ردَّ اللّهُ على أسلمَ نعمةَ الكلامِ بعدَ أنْ كانَ أخرسَ؟ أنا لا أستطيعُ استيعابَ ذلكَ!

فقالَ ليّل:

ـ دعونا نخبرُها عَنِ الأمرِ. فهيَ لَنْ تبوحَ بسرِّنا للحرَسِ.

ـ ماذا ستقولونَ؟ قالتِ المرأةُ.

ـ أنا الأميرُ أسلمُ، ابنُ الملكِ الوحيدُ، وليُّ عهدِهِ. وهذهِ هيَ الأميرةُ حميدةُ شقيقتي الصُّغرى. قالَ أسلمُ ذلكَ بنبرةِ احترامٍ.

ـ أأنتَ أميرٌ؟ ضحكتْ صاحبةُ النُّزُلِ بصوتٍ عالٍ، وقالتْ: طفلانِ يرتديانِ ملابسَ ممزقةً وباليةً، ويريدانِ أنْ يكونا أميرَينِ!

خلعتْ حميدةُ سِوارَها الذَّهبيَّ، وناوَلَتْهُ لصاحبةِ النُّزُلِ، وقالتْ:

ـ اقرئي ما هو مكتوبٌ على السُّوارِ مِنَ الدّاخِلِ!

نظرتْ صاحبةُ النُّزُلِ إلى أسلمَ وحميدةَ غيرَ مصدّقةٍ، وبدأتْ تتأمّلُ السُّوارَ.

عندها صاحتِ المرأةُ مذعورةً، وانْحنتْ وقالتْ:

ـ إنَّهُ الشِّعارُ المَلكيُّ!

لكنَّها أعادتِ التأمّلَ في حميدةَ وأسلمَ، وقالتْ لهما:

ـ هلْ قُمتما بسَرقةِ هذا السُّوارِ؟

ثُمَّ أعادتِ النَّظرَ إلى وجهيهما، وقالتْ:

ـ لا أدري، على وجهِ التَّحديدِ، ما الَّذي يتوجَّبُ عليَّ أنْ أصدِّقَهُ!

ـ تستطيعينَ أنْ تصدِّقيني، أيَّتُها المرأةُ المحترمةُ. قالتْ حميدةُ، ثُمَّ أضافتْ: إنَّهُ سِواري، وأنا الأميرةُ حميدةُ.

ـ إذن ما الَّذي أتى بكمْ إلى هذا النُّزُلِ؟ ولِماذا ترتدونَ هذهِ الملابسَ؟ وما معنى هذا كلُّه؟ تساءلتِ المرأةُ وهي تشعرُ بالحَيرةِ. ثُمَّ قالتْ لهما:

هل يعلمُ أبوكما أنكما هنا في هذا النُّزُلِ؟

ـ إنَّ علينا أن نشرحَ لها ذلكَ. قالَ ليّل. وبعدَ ذلكَ شرعَ الثَّلاثةُ يحكونَ لها الحكايةَ مِنْ أوَّلِها.

علَّقتِ المرأةُ على الحكايةِ بعدَ أنْ استمعَتْ إليها بقولِها:

ـ يا لَكُمْ مِنْ أطفالٍ مساكينَ. ثُمَّ استدركتْ قائلةً: لكَ اللّهُ يا صاحبَ الجلالةِ! ما الَّذي أستطيعُ أنْ أقومَ بِهِ؟ هلْ أذهبُ إلى القصرِ، وأقولُ للملكِ إنَّكم تُقيمونَ عندي في النُّزُلِ!

ـ هذا غيرُ ممكنٍ. ردَّ أسلمُ حائرًا. فأنتِ لا تستطيعينَ الوُصولَ ببساطةٍ إلى والدي، إضافةً إلى أنَّهُ قد أغلقَ البابَ على نفسِه وهو لا يُريدُ أنْ يرى أحدًا.

فقالتْ صاحبةُ النُّزُلِ:

ـ إذن علينا أنْ نعملَ لإبعادِ الحَرَسِ عَنِ القصرِ، وأنْ نَصْرِفَ أنظارَهم إلى مكانٍ آخرَ. عندها سيكونُ في مَقدورِكم أنْ تتسلَّلوا بسرعةٍ إلى داخلِ القصرِ، فإذا صِرتُم داخلَهُ فلنْ يجرؤَ أحدٌ على التَّعرُّضِ لكم.

فردَّ أسلمُ:

ـ هذا أمرٌ معروفٌ لدينا. لكنَّ السُّؤالَ هوَ: كيفَ يمكنُ أنْ نقومَ بإبعادِ الحرسِ عَنِ القصرِ؟

تدخَّلَ ليّل، وقالَ:

ـ لقدْ خَطَرَتْ لي فكرةٌ. إنَّني أستطيعُ أنْ أُشاغلَ الحرسَ، وأقومَ بإبعادِهم عَنِ القصرِ، ويكفي أنْ تدخُلا أنتما إلى داخلِهِ.

فردَّتْ حميدةُ: ولكنْ كيفَ يمكنُنا أنْ نمشيَ داخلَ المدينةِ حتّى نصلَ

إلى القصر؟ لا بُدَّ أنْ يقومَ الحارسانِ باكتشافِنا في هذه الحالةِ.

فقالتِ المرأةُ:

ـ لقدْ خطرتْ لي أنا الأُخرى خاطرةٌ. إنَّ لَدينا حديقةً تقعُ قبلَ سُورِ القصرِ الخارجيِّ البعيدِ، ونحنُ نذهبُ إليها في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ، بالعربةِ الَّتي يجرُّها الحمارُ، ونعملُ فيها أنا وزوجي. إنَّني أستطيعُ أنْ أخبِّئكم في العربةِ، وأغطِّيكم بأكياسٍ فارغةٍ، وهو ما لَنْ يلحظَهُ أحدٌ. والمسافةُ بينَ سورِ القصرِ والقصرِ ليستْ بعيدةً.

نظرَ الثَّلاثةُ إلى بعضِهم بعضًا: هذا هو المَخْرَجُ الوحيدُ! لكنَّ السُّؤالَ الَّذي أخذَ يتجلّى بوضوحٍ هوَ: كيفَ سيتمكَّنُ ليّل مِنْ مُشاغَلةِ الحرسِ، وَصَرْفِ أنظارِهِم، دونَ أنْ يتعرَّضَ للخَطَرِ؟ فقالتِ المرأةُ:

ـ عليهِ أنْ يصعدَ فوقَ السّورِ، ويُناديَ بصوتٍ عالٍ، وستَرَونَ كيفَ سيأتي الحرسُ إليهِ مُسرعينَ.

ـ وهلِ السُّورُ مرتفعٌ؟ تساءلَ ليّل بخوفٍ.

ـ إنَّهُ عريضٌ بما يَكفي، لهذا فَلَنْ تقعَ مِنْ فوقِهِ.

كانَ لَدى أسلمَ قَلَقٌ آخرُ. لذا سألَ:

ـ وماذا لو قامَ الحارسُ بإلقاءِ القبضِ على ليّل، كَأَنْ يتسلَّقَ السّورَ، ويُمسكَ بِهِ، ويقومَ بإنزالِهِ؟!

قالتْ صاحبةُ النُّزُلِ بعدَ أنْ نبَّهتْهُم إلى ضرورةِ اتِّباعِ الدَّورِ في الحديثِ، وأنْ يتحدَّثَ الواحدُ منهُمْ تلوَ الآخرِ:

ـ إنَّ سورَ القصرِ ليسَ بالغَ الارتفاعِ، فهوَ في طولِ الرَّجُلِ، وهوَ جِدُّ عريضٌ لدرجةِ أنَّهُ يمكنُ للمرءِ أنْ يُدحرجَ برميلًا فوقَهُ. فإذا كانَ ليّل

يتحلّى بقدرٍ كبيرٍ مِنَ الشّجاعةِ، ويستطيعُ أَنْ يقفزَ مِنْ فوقِ السّورِ، فأنا أعرفُ ما الّذي سنفعلُهُ.

ـ ماذا سنفعلينَ؟ قالَ ليّل.

ـ سيدعُ ليّل الحارسَ يقتربُ منهُ، ثُمَّ يقومُ بالقفزِ سريعًا إلى الأسفلِ، أعني إلى الجهةِ المقابلةِ. وهنا سيقومُ الحارسُ بملاحقتِهِ ممّا يستدعي أَنْ يقفزَ فوقَ السّورِ، ومِنْ ثَمَّ على الأرضِ، عندها أكونُ قد قُمْتُ بتخبئةِ ليّل تحتَ الأكياسِ. وعندما يسألُني الحارسُ عنه، سأخبرهُ أَنَّ الفتى هربَ إلى الزُّقاقِ، وأشيرُ إلى المكانِ الّذي اختبأَ فيه هُناكَ ـ كيفَ تجدونَ هذه الخُطّةَ؟

ـ خُطّةٌ جيّدةٌ جدًّا. قالَ الثّلاثةُ.

وقدْ سارَ الأمرُ على هذهِ الشّاكلةِ تمامًا.

تمدّدَ كلٌّ مِنْ أسلمَ وحميدةَ وليّل في العربةِ، وقامتْ صاحبةُ النُّزُلِ بتغطيتِهِم بالأكياسِ، وقادتِ العربةَ في طُمأنينةٍ إلى حديقتِها الّتي تقعُ قبلَ سُورِ القصرِ. وهناكَ أوقفتِ العربةَ، وتفقّدتْ ما حولَها بنظراتِها.

ـ لا أثرَ للفُرسانِ على الإطلاقِ، يمكنُكم أَنْ تَظهروا!

نزلَ الثّلاثةُ مِنَ العربةِ بحَذَرٍ، وقاموا بإلقاءِ نظرةٍ حَذِرَةٍ على السّورِ. كانَ هناكَ مكانٌ فارغٌ في الجهةِ المقابلةِ، وخلفَهُ سورٌ عالٍ ذو بوّابةٍ ضخمةٍ.

كانَ الحارسُ يقفُ إلى جانبِ البوّابةِ، ويراقبُ الشّارعَ الرّئيسيَّ وهو يتّكئُ على أحدِ الأعمدةِ.

مَشى كلٌّ مِنْ أسلمَ وحميدةَ مسافةً بمحاذاةِ السّورِ حتّى استطاعوا أَنْ يعثروا على ثغرةٍ يستطيعونَ النّفاذَ مِنْ خلالِها، وسَرعانَ ما تسلّلوا مِنْ خلالِها، واستطاعوا أَنْ يمرّوا بعيدًا عَنِ البوّابةِ والحارسِ.

وهنا يجيءُ المشهدُ الكبيرُ الخاصُّ بليلى.

تسلَّقَ ليلى فوقَ السّورِ، وسارَ على امتدادِهِ. وعندما صارتْ بوّابةُ السّورِ في الجهةِ المقابلةِ له توقَّفَ. وكانَ ليلى قد نَظَمَ أُنشودةً أثناءَ السَّفرِ، وهوَ مُستلقٍ تحتَ الأكياسِ، فأخذَ نفَسًا عميقًا، وصاحَ يُنشِدُ:

أنا واقفٌ كاللَّيثِ فوقَ السّورِ
واللَّيثُ ليسَ زئيرهُ كزئيري
وهناكَ يقبعُ حارسٌ متربِّصٌ
هُوَ عاجزٌ عَنْ أنْ يسيرَ مَسيري

حدَّقَ الحارسُ فيهِ وهوَ فاغرٌ فاهُ، غيرَ قادرٍ على أنْ يصدِّقَ ما يَراهُ. بعدَها سارَ ليلى ببُطءٍ بِضْعَ خطواتٍ إلى الأمامِ، ثُمَّ قالَ مُنشِدًا:

أنا فوقَ سورِ القصرِ واقفْ
كالطَّيرِ يصدحُ بالأغاني
والحارسُ الأعمى هناكَ
فهوَ الغبيُّ ولنْ يَراني

وقدْ أشعلَ هذا النَّشيدُ غضبَ الحارسِ تمامًا! فجاءَ يُهرولُ سريعًا نحوَ السّورِ!

وهنا استطاعَ كلٌّ مِنْ أسلمَ وحميدةَ أنْ يتسلّلا عَبرَ بوّابةِ القصرِ دونَ أنْ يتمكَّنَ أحدٌ مِنْ رؤيتِهما.

هنا صاحتِ المرأةُ مِنْ وراءِ السّورِ:

ـ كنْ حَذِرًا يا ليلى!

فضحكَ ليلى، وقالَ بشجاعةٍ:

ـ لنْ يتمكّنَ مِنَ الإمساكِ بي. إنَّهُ بعيدٌ عنّي.

ثُمَّ ارتجلَ ليّل بيتَينِ مِنَ الشِّعرِ، وقالَ:

الآنَ أَجْري إلى الزُّقـــاقِ

وفيه مَنْ فيه مِنْ رفاقـي

فصاحتْ صاحبةُ النُّزُلِ بهِ ثانيةً:

ـ كنْ حَذِرًا يا ليّل!

وهنا تساءلَ ليّل:

ـ ماذا جرى لها؟ إنَّ الحارسَ ليسَ قريبًا منّي إلى هذا الحَدِّ.

صمَّمَ ليّل أَنْ يُهدِّئَ مِنْ رَوْعِ المرأةِ، ورأى أنَّ مِنَ الأفضلِ ألّا يتأخَّرَ في القَفْزِ، وأَنْ يقفزَ مُبكِّرًا. وما إنِ استدارَ إلى الخَلْفِ حتّى كادَ قلبُهُ يتوقَّفُ مِنَ الخوفِ؛ فقدْ كانَ ثَمَّةَ حارسانِ يقفانِ وراءَهُ إلى جانبِ السّورِ، وقدْ شاهَداهُ وهما في المدينةِ، فَحَثّا الخُطى سريعًا نحوَ السّورِ، واقتَربا منهُ وهوَ واقفٌ يُنشِدُ

أشعارَهُ.

حاولَ أحدُ الحرّاسِ أَنْ يُمسِكَ بقدمِ ليّل؛ ليقومَ بجرِّهِ مِنْ فوقِ السّورِ، عندَها صاحَ ليّل:

ـ النَّجدَةَ! النَّجدَةَ! واندفعَ يركضُ على امتدادِ السّورِ.

وكانَ الحُرّاسُ يلاحقُونَهُ، واحدٌ مِنَ الدّاخلِ، واثنانِ مِنَ الخارجِ. توقَّفَ واحدٌ مِنَ الحارسَينِ، واستدارَ إلى الوراءِ وأخذَ يركضُ. استطاعَ ليّل أَنْ يُدركَ ماذا يُريدُ الحارسُ: كانَ الحارسُ يريدُ أَنْ يركبَ فرسَهُ؛ لأنَّهُ إذا ركبَ فرسَهُ، يستطيعُ أَنْ يلحقَ بليّل، وأَنْ يُمسِكَ بهِ.

صاحَ ليثل مجدّدًا:

ـ النَّجدَةَ! واستدارَ يركضُ فوقَ السُّورِ مجدّدًا، وهوَ يطلبُ النَّجدَةَ.

فُتِحَتْ بعضُ النَّوافذِ في طوابقِ القصرِ العُليا، وشَرَعَ الحُرّاسُ ينظرونَ إلى هذا الفَتى الَّذي يصرخُ طلبًا للنَّجدةِ، وجاءَ بعضُهم إلى بوّابةِ السّورِ بدافعِ الفُضولِ وحبِّ الاستطلاعِ.

فخاطَبَهم ليثل:

ـ النَّجدَةُ! ساعدوني!

لكنَّهم اقتربوا مِنَ السّورِ بخُطىً وئيدةٍ وهم يتأمّلونَ بفُضولٍ هذا المشهدَ التَّمثيليَّ المُمتعَ.

قفزَ ليثل مِنْ فوقِ السّورِ إلى السّاحةِ الكُبرى، وحاولَ أنْ يتجنَّبَ الحارسَ، لكنَّ الحارسَ كانَ أسرعَ منهُ، فاستطاعَ أنْ يُمسكَ بذراعِ ليثل بخشونةٍ، وألقى القبضَ عليهِ، ومدَّ يدَهُ إلى سَيفِه، فارتجفَ ليثل، وحاولَ أنْ يُدافعَ عَنْ نفسِهِ كالوحشِ.

وصلَ في تلكَ الأثناءِ عددٌ مِنَ الحُرّاسِ وخدمِ القصرِ، فقالَ واحدٌ منهُمْ للحارسِ الَّذي يُمسكُ بليثل:

ـ لا داعي لأنْ تسحبَ السَّيفَ في وجهِ هذا الفَتى!

وصاحَ آخرُ بدهشَةٍ:

ـ انظُرْ جيّدًا. إنَّهُ الفَتى الغريبُ الَّذي نُفِيَ مَعَ الأميرِ والأميرةِ! فكيفَ استطاعَ الوصولَ إلى هنا؟

وفي تلكَ الأثناءِ استطاعوا أن يُحكموا الوثاقَ حولَ يدَيْ ليثل، فارتفعتِ الأصواتُ تقولُ:

ـ سـنأخُذُهُ إلى المَلِـكِ! فهـوَ الوحيـدُ القـادرُ عَـلى أَنْ يقـرِّرَ مـا الَّـذي يَنْبَغـي أَنْ نفعـلَ بِـهِ. ولعلَّـهُ يعلـمُ شـيئًا عَـنْ وفـاةِ الأمـيرِ.

ـ هيّـا! تعـالَ مَعنـا إلى القـصرِ، وإيّـاكَ أَنْ تُحـاولَ الهَـرَبَ! صـاحَ أحدُهُـمْ بصـوتٍ جـافٍّ. فـردَّ ليّـل بارتيـاح:

ـ لا تخـشَ ذلـكَ عَـلى الإطـلاقِ! فأنـا لَـنْ أهـربَ! أرجوكـم خُـذوني إلى الملـكِ في الحـالِ!

اجتـازَ الحـارسُ سـاحةَ القـصرِ الأولى، ثُـمَّ قطـعَ سـاحةَ القـصرِ الثّانيـةَ، ووقـفَ أمـامَ البـابِ الَّـذي يقـودُ إلى المقـرِّ الملكِـيِّ.

فُتِحَ البابُ.

فصاحَ ليّل: لا! ليسَ الآنَ رجاءً!

لكنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ أدخلتْ رأسَها عَبْرَ البابِ، وقالتْ:

ـ هيّا! انهَضْ يا فيليب! إنَّها السّادسَةُ وسبعٌ وأربعونَ دقيقةً.

فاستَيقظَ ليّل.

السَّبـتُ

الفصلُ الثّامنُ والعشرونَ

إفطارٌ قصيرٌ وغداءٌ طويلٌ

سألتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ أثناءَ تناولِ طعامِ الإفطارِ:

ـ حسنًا! هلْ فكّرتَ جيّدًا؟

ـ حولَ أيِّ موضوعٍ؟

ـ بخصوصِ طعامِ الغداءِ. فأنتَ تعرفُ ذلكَ!

هزَّ ليّل كتفَيه، ثُمَّ صمتَ، وواصلَ تناوُلَ اللَّبنِ.

رأتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ أنَّ عليها أنْ تقولَ ما تريدُ بوضوح، فقالتْ:

ـ عليكَ أنْ تأتيَ هذا اليومَ إلى الغداءِ، وعليكَ ألّا تأكلَ في منزلِ السَّيِّدةِ (يشكي) هذه! هلْ فهمتَ؟

ـ سأتناولُ الغداءَ في منزلِ السَّيِّدةِ (يشكي). ردَّ ليّل بتصميمٍ.

فقالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بغضبٍ:

ـ إذا فعلتَ ذلكَ، فلا تَعُدْ إلى المنزلِ! ثُمَّ...

ـ ثُمَّ ماذا؟ تساءلَ ليّل بِحَذَرٍ.

ـ سترى ذلكَ بنفسِكَ. إنَّني أحذِّرُكَ! قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ، ثُمَّ نهضَتْ، وأردفَتْ قائلةً وهيَ تغادرُ المطبخَ:

ـ تستطيعُ أنْ تكملَ إفطارَكَ وحدَكَ! لقدْ سَدَدْتَ نفسي عَنِ الطَّعامِ.

ولَمْ تكنْ لدى ليّل رغبةٌ في أنْ يتناولَ الطَّعامَ وحدَهُ، لهذا تناولَ حقيبتَهُ المدرسيَّةَ، ومشى نحوَ المدرسةِ.

بعدَ انتهاءِ الدَّوامِ المدرسيِّ اتَّجهَ مَعَ أرسلانَ وحميدةَ صَوبَ منزلِ السَّيِّدةِ (يشكي). وقدْ ظلَّ ليّل يمشي على الجانبِ المقابلِ، حتّى لا يَمُرَّ بالقربِ مِنَ السَّيِّدةِ يعقوبَ، فقدْ كانَ يخشى أنْ تندفعَ في هذهِ اللَّحظةِ خارجَ المنزلِ عندما تراهما، وأنْ تنتزعَهُ مِنْ بينِهما.

ـ ها هو منزلي. وهنا أعيشُ، أوضح ليّل لكلٍّ مِنْ أرسلانَ وحميدةَ.

ـ أنتَ تسكنُ هناكَ؟ فإلى أينَ نذهبُ إذنْ؟ سألتْ حميدةُ.

ـ ألَسْنا ذاهبينَ إلى منزلِكَ؟ سألَ أرسلانُ وهو يقفُ.

ـ كَلّا. كَلّا. قالَ ليّل بسرعةٍ وهوَ يجرُّهُ معهُ. ثُمَّ أضافَ: إنَّ أبي وأمي

لَيسا هنا، لِهذا ستتغدّى عندَ صَديقتي السَّيِّدةِ (يشكي).

فاحتْ رائحةُ الطَّعامِ عندما فتحتِ السَّيِّدةُ (يشكي) بابَ المنزلِ. قامَ ليّل بتقديمِ صديقَيهِ. حيَّتهُ السَّيِّدةُ (يشكي) بترحيبٍ واضحٍ، وبدأ ليّل وحميدةُ يساعدانها في ترتيبِ المائدةِ.

قدمتِ السَّيِّدةُ (يشكي) الحساءَ بالمعكرونةِ الَّتي تأخذُ شَكْلَ الحروفِ الهجائيَّةِ. وقدْ سَعى كلُّ واحدٍ مِنْهم ليلتقطَ المعكرونةَ الَّتي تُشَكِّلُ الحرفَ الأوّلَ مِنْ اسمِهِ. ثُمَّ أحضرتِ السَّيِّدةُ (يشكي) بعدَ ذلكَ قطعةً مِنْ لحمِ البَقَرِ المُحَمَّرِ مَعَ فطائرِ البطاطا المهروسةِ. ولَمْ يسبقْ لحميدةَ وأرسلانَ أنْ تَناولا فطائرَ البطاطا، وقدْ شارَكا للمَرَّةِ الأولى آخرينَ في تذوُّقِها. لَمْ يكنْ أرسلانُ معجبًا بِها، فاستأذنَ أنْ يتناولَ قطعةَ خبزٍ مِنَ المطبخِ. أمّا حميدةُ فقدْ تذوَّقتْها، وأكلتْ فطيرتَينِ مِنها بسرعةٍ.

أمّا الأفضلُ فقدْ كانَ الكَرَزَ المحفوظَ.

اقترحَ ليّل أنْ تظلَّ السَّيِّدةُ (يشكي) جالسةً، وأنْ يَتَوَلّى الثَّلاثةُ تنظيفَ أدواتِ الطَّعامِ.

وفي النِّهايةِ بدؤوا يلعبونَ، وظلّوا يلعبونَ ألعابًا شَتّى، حتّى الرّابعةِ إلّا رُبعًا. وشارَكَتْهُم السَّيِّدةُ (يشكي) بعضَ هذه الألعابِ؛ لأنَّ الأربعةَ يستمتعونَ باللَّعِبِ أكثرَ مِمّا يستمتعُ الثَّلاثةُ.

في الرّابعةِ كانَ على حميدةَ وأرسلانَ أنْ يَعودوا إلى مَنزِلِهِمْ. فودَّعوا السَّيِّدةَ (يشكي) وشكَروها ثانيةً، ومضَوا.

رافقَهُم ليّل إلى زاويةِ شارعِ (هيردر)، ثُمَّ افترقوا هُناكَ.

ـ إلى اللِّقاءِ يومَ الإثنينِ! إلى اللِّقاءِ في المدرسةِ. قالَ ليّل.

ـ إلى اللِّقاءِ في المدرسةِ! قالَ أرسلانُ.

ـ وماذا سنفعلُ عصرَ الإثنين؟ سأل ليبّل.

ـ سنلعبُ معًا. اقترحتْ حميدةُ.

ـ فكرةٌ جيّدةٌ. قالَ ليبّل.

ـ إذن إلى اللّقاءِ يومَ الإثنينِ. قالتْ حميدةُ وهيَ تسيرُ مَعَ أرسلانَ إلى المنزلِ.

الفصلُ التّاسعُ والعشرونَ
السّيّدةُ (يشكي) تقرّرُ التّدخّلَ

بعدَ فترةٍ قصيرةٍ قرعَ ليبل بابَ منزلِ السّيّدةِ (يشكي).

ـ ليبل؟ أهوَ أنتَ؟ سألتْ وهيَ مندهشةٌ. ثُمّ أضافتْ: ألا تريدُ الذّهابَ إلى منزلكَ؟

ـ بالتّأكيدِ... ثُمّ تردّدَ وهوَ يُجيبُ.

ـ لماذا لا تذهبُ إذن؟ ماذا جرى؟

ـ إنّني لا أجرؤُ على الذّهابِ إلى هناكَ. أقرّ ليبل.

نظرتْ إليه السّيّدةُ بحيرةٍ شديدةٍ، وقالتْ:

ـ لا تجرؤُ على الذّهابِ إلى المنزلِ؟ لماذا؟

ـ أظنُّ أنّ السّيّدةَ يعقوبَ ستضربُني عندما أعودُ. قالَ ذلكَ بصوتٍ خفيضٍ، وأضافَ: لقدْ قالتْ لي اليومَ إنّها تحذّرُني إذا لمْ أتناولِ الطّعامَ في المنزلِ، وإنّهُ سيحصلُ ما لا تُحمَدُ عُقباهُ، إنْ فعلْتَ. هكذا قالتْ..

ـ هذه هيَ ذُروةُ الأشياءِ! إنّ هذا أمرٌ غيرُ ممكنٍ! صاحتِ السّيّدةُ (يشكي) بغضبٍ. ثُمّ قالتْ: لا تخفْ! سآتي معكَ، ولنْ أسمحَ لها بضربِكَ. كُنْ واثقًا منْ ذلكَ!

خلعتِ السّيّدةُ (يشكي) حذاءَها المنزليّ الّذي تضعُهُ في قدميها طيلةَ النّهارِ، ووضعتْ حذاءً أسودَ اللّونِ وقالتْ:

ـ انتظرْ لحظةً فسأرتدي بلوزتي الجديدةَ. سآتي بعدَ خمسِ دقائقَ.

سارا معًا نحوَ المنزلِ، وقرعا الجرسَ (معَ أنّ مفتاحَ المنزلِ كانَ في

جيبِ ليثل) فتحتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بابَ المنزلِ، وقالتْ تخاطبُ ليثل بلهجةٍ تُنْذِرُ بالشَّرِّ:

ـ لقدْ عُدْتَ أخيرًا! هيّا ادخلْ إلى المنزلِ!

نظرتْ إلى السَّيِّدةِ (يشكي) وكأنَّها مجرَّدُ غُبارٍ، وكانتْ ترغبُ في ألّا تفتحَ لها بابَ المنزلِ، لولا أنَّها دخلتْ مَعَ ليثل.

ـ مساءُ الخيرِ. قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي) بأدبٍ وهيَ تقفُ في ممرِّ المنزلِ، ثُمَّ أضافتْ: أنا أُدْعى السَّيِّدةُ (يشكي).

ـ هذا ما توقَّعْتُهُ! هلْ تريدينَ أنْ تزورينا؟ سألَتْها السَّيِّدةُ يعقوبُ.

ـ لقدْ جئتُ مَعَ ليثل لأنَّ... بدأتِ السَّيِّدةُ (يشكي) تحكي.

ـ معَ مَنْ؟ سألتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

ـ معي. قال ليثل.

ـ آه. مَعَ (فيليب). قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ، ثُمَّ أضافتْ: هذا أمرٌ واضحٌ. لقدْ جئتِ حَقًّا مَعَ (فيليب).

ظلَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي) محافِظَةً على هدوئِها، وقالتْ:

ـ لقدْ جئتُ مَعَ ليثل؛ لأنَّهُ يخشى أنْ تقومي بضَرْبِهِ... لأنَّهُ تناولَ وجبةَ الغداءِ في منزلي.

ـ أنا أضربُهُ! هذا كلامٌ فارغٌ! ثُمَّ ضحكتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بحدَّةٍ، وقالتْ: إنَّها أوهامُ هذا الفتى النَّمطيَّةُ! إنَّني لا أستخدمُ الضَّربَ على الإطلاقِ. لكنَّهُ سينالُ عقوبةَ الحبسِ في غرفتِهِ. فردَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي):

ـ لا يَحِقُّ لكِ أنْ تحبسيهِ في غرفتِهِ لأنَّهُ تناولَ الطَّعامَ عِندي. فهذا لا يَجوزُ!

ـ يجبُ عليكِ- وأرجو منكِ المعذرةَ- أنْ تُغادري، وأنْ تَدَعيني مَعَ

الفَتى، فأنا المسؤولةُ عنهُ- في النِّهايةِ- وَلستِ أنتِ!

ـ كَلّا! لَنْ أدعَ الأمرَ لَكِ! قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي) وقدِ ارتفعَ صوتُها تمامًا: لقدْ دعوتُ الفَتى إلى تناوُلِ الطَّعامِ عندي!

ـ هذا ذنبُكِ، وليسَ ذنبي! قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

وهنا اتَّجهتِ السَّيِّدةُ (يشكي) صَوبَ السَّيِّدةِ يعقوبَ، وربَّتَتْ بإصبَعِها عَلى كَتِفِها، وقالتْ لَها:

ـ بالمناسبةِ. تستطيعينَ الذَّهابَ!

ـ الذَّهابَ! ماذا تَقصِدينَ؟

ـ بإمكانِكِ أنْ تُغادري هذا المنزلَ قبلَ انتهاءِ موعدِكِ بيومٍ، وَسأتولّى أنا العِنايةَ بهذا الفتى طيلةَ اليومِ المُتبقّي.

ـ هذا غيرُ ممكنٍ! لَقدْ أخذتُ أُجرتي كاملةً عَنِ المُدَّةِ كاملةً. أنا لا

أعـرفُ كيـفَ تفكّريـنَ. قالـتِ السَّـيِّدةُ يعقـوبُ رافضـةً.

ـ إذا كانَ الأمـرُ يتعلّـقُ بالجانـبِ المـاليِّ، فيمكـنُ حـلُّ هـذا الإشـكالِ. سـأتحدّثُ هاتفيًـا مـعَ السَّـيِّدِ (ماتنهايـم)، وأظـنُّ أنَّ رَقْـمَ هاتفِـهِ لَديـكِ.

ـ كَلّا. ليسَ لديَّ رَقْمُ هاتفِهِ.

فقالَ ليّل:

ـ إنَّهُ موجودٌ عَلى قُصاصةٍ إلى جانبِ الهاتفِ.

فأخذتِ السَّيِّدةُ (يشكي) تطلُبُ الرَّقْمَ بعنايةٍ وَحَذَرٍ.

وقفتِ السَّيِّدةُ يعقـوبُ إلى جـوارِ السَّيِّدةِ (يشـكي) وملامـحُ وجهِها تشـيرُ إلى أنَّهـا تـودُّ لـو تقـومُ بتحطيـمِ جهـازِ الهاتفِ عـلى رأسِ السَّيِّدةِ (يشـكي).

ـ مسـاءُ الخـيرِ. هَـلْ يمكـنُ أنْ أتحـدَّثَ مَـعَ السَّـيِّدِ (ماتنهايـم). سـألتِ السَّيِّدةُ (يشـكي) وانتظـرتْ، ثُـمَّ قالـتْ: مَرحبًـا! هـلْ أنـتَ السَّـيِّدُ (ماتنهايم). الحمـدُ للّـهِ أنَّـكَ موجـودٌ في الفنـدقِ. أنـا (يشـكي)، السَّـيِّدةُ (يشـكي)، جارَتُكـمُ الَّتـي تسـكنُ في الجِهَـةِ المقابلـةِ لمنزلِكـم...

أجـلْ لَدينـا مشـكلةٌ. إنَّنـي أَوَدُّ أنْ أُمْـضِيَ هـذه اللَّيلـةَ ونصـفَ اليـومِ القـادمِ في منزلِكـم لرعايـةِ ليّـل. وأظـنُّ أنَّ ليّـل يرحَّـبُ بذلـكَ، ويرغـبُ فيهِ.

فصاحَ ليّل:

ـ إنَّني أرغبُ في ذلكَ تمامًا. إنَّ ذلكَ أفضلُ لي مئةَ مرّةٍ يا أبي!

صمتتِ السَّيِّدةُ (يشكي) على الهاتفِ، ثُمَّ قالتْ:

ـ أَجَـلْ. أَجَـلْ. ثُـمَّ قالـتْ: لا. لا. ثُـمَّ قالـتْ: صحيـحٌ. هكَـذا سـارتِ الأمـورُ. أنـتَ عَلى صـوابٍ. ثُـمَّ قالـتْ بوضـوحٍ: إذن، أنـتَ لا تُمانِـعُ يـا سَـيِّدَ (ماتنهايـم) أنْ تُغـادِرَ السَّـيِّدةُ يعقـوبُ المنـزلَ، وأنْ تأخـذَ أُجرَتَهـا عَـنِ المُـدَّةِ

كلُّها. إذنْ لا مُشكلَةَ. ثُمَّ ناولتْ سمّاعةَ الهاتفِ للسَّيِّدةِ يعقوبَ، وقالتْ لَها: السَّيِّدُ (ماتنهايم) يرغبُ في الحديثِ إليكِ.

تناولتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ السَّمّاعةَ بوجهٍ مُتَجَهِّمٍ. كانَ ليئل يُصغي بفُضولٍ، لكنَّهُ لَمْ يستمعْ إلّا لإجاباتٍ قصيرةٍ وسريعةٍ، مثلِ: أَجَلْ، كَما تريدُ. ثُمَّ أغلقتْ سمّاعةَ الهاتفِ.

ـ لقدْ كنتُ أريدُ الحَديثَ مَعَ أبي. قالَ ليئل شاكِيًا. لكنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ تجاهلتْ ذلكَ، وقالتْ:

ـ لَمْ يَعُدْ هذا أمرًا مُهِمًّا. فأنتَ تستطيعُ أنْ تَتَحَدَّثَ مَعَهُ لاحقًا، إنَّ علينا أنْ نوضِّحَ بعضَ الأمورِ.

ثُمَّ قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ بلهجةٍ غاضبةٍ:

ـ إنَّ ما وقعَ لي لَمْ يسمعْ أحدٌ بِهِ مِنْ قبلُ. إنَّهُ وقاحةٌ حَقيقيَّةٌ. كيفَ يقومونَ بِطَرْدي مِنْ منزِلِهِمْ بكلِّ بساطةٍ؟ لكنَّ هذا أمرٌ متوقَّعٌ عندَ عائلةٍ كهذِهِ!

ـ لم يطرُدْكِ أحدٌ على الإطلاقِ. لقدْ سَمحوا لكِ بالرُّجوعِ إلى منزلِكِ قبلَ انتهاءِ المُدَّةِ المقرَّرةِ بيومٍ واحدٍ، ردَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي).

ـ وكيفَ سأعودُ إلى منزلي؟ هلْ يتوجَّبُ عَلَيَّ أنْ أسيرَ على أقدامي، وأقطعَ مسافةً طويلةً وأنا أحملُ حَقيبتي؟

أخذَ ليئل يتصفَّحُ دليلَ الهاتفِ، وكانَ يبحثُ عَنْ رَقْمٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ قامَ بِالحديثِ مَعَ صاحبِ هذا الرَّقْمِ. فسألَتْهُ السَّيِّدةُ يعقوبُ:

ـ مَعَ مَنْ تريدُ الحديثَ؟

ـ إنَّني أطلبُ سيّارةَ (تاكسي) لكِ. ثُمَّ واصلَ حديثَهُ قائلًا: هَلْ مكتبُ (التاكْسِيات) المركزيُّ هنا؟ هلْ يمكِنُ أنْ تُرسلوا سيّارةَ (تاكسي) إلى شارعِ (فريدريش روكرت) رَقْم ٤٩، منزلِ (مانتهايم)؟ سيصلُ خلالَ عشرِ دقائقَ؟ شكرًا جزيلًا. فقالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ:

ـ وهلْ سأدفعُ أُجْرَةَ (التاكسي)؟

ـ كَلّا. بالطَّبعِ لا. قالَ ليّل.

ـ ومِنْ أينَ لكَ المالُ؟ سألَتْهُ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

ـ إنَّ معيَ بعضَ المالِ في الصُّندوقِ الخشبيِّ الصَّغيرِ، وقدْ وضعَهُ أبي هناكَ للحالاتِ الطّارئةِ.

ـ وهذهِ الحالةُ مِنَ الحالاتِ الطّارئةِ. قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ.

غادرتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ المنزلَ بعدَ رُبعِ ساعةٍ، دونَ تحيةِ الوَداعِ، فمرّتْ مِنْ غرفةِ المعيشةِ، ثُمَّ غادرتْ مِنْ خِلالِ البوّابةِ الرَّئيسيَّةِ للمنزلِ.

كانَ ليّل والسَّيِّدَةُ (يشكي) يُراقبانِ المشهدَ مِنْ خلالِ زجاجِ النّافذةِ، وظَلّا واقفينِ حتّى ركبتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ في السَّيّارةِ، وغادَرَتْ. عندها قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي):

ـ لقدِ اختفتِ السَّيّارةُ، فَعلينا أنْ نهيِّئَ أنفسَنا لقضاءِ أُمسيةٍ هادئةٍ.

ذهبَ ليّل إلى سريرِهِ، عَلى غيرِ ما اعتادَ، مُتأخِّرًا. وكانتِ السَّيِّدةُ

(يشكي) قد عادتْ إلى منزلِها، وأحضرتْ مِنْ هناكَ بعضَ الملابسِ الخاصَّةِ بالنَّومِ.

تناولا العشاءَ معًا، وَقاما معًا بتنظيفِ الصُّحونِ والأدواتِ المستخدمةِ، ثُمَّ لَعبا بعضَ الألعابِ، وشاهدا بعضَ البرامجِ التِّلفزيونيَّةِ.

استلقى ليَنَل على سريرِهِ، وتثاءبَ بصوتٍ مرتفعٍ، ثُمَّ تَمَدَّدَ وسُرعانَ ما غَطَّ في نومٍ عميقٍ.

الأَحَـدُ
الفصلُ الثلاثونَ
كِتابُ ليبَل

عندما مرّتِ السَّيِّدةُ (يشكي) بغرفةِ ليبَل وهيَ تترنَّمُ بإحدى الأغنياتِ بعدَ أنِ استَحَمَّتْ في الصَّباحِ، وكانتْ في طَريقِها إلى المطبخِ لإعدادِ الإفطارِ، جاءَ ليبَل مِنْ غرفتِهِ. كانَ يبدو ضَجِرًا ونَعِسًا، وشَعْرُهُ ينتصِبُ فوقَ رأسِهِ.

ـ صباحُ الخيرِ يا ليبَل! قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي) بمرَحٍ، فقدْ كانتْ تتمتَّعُ على الدَّوامِ بمزاجٍ صباحيٍّ مَرِحٍ.

ـ صباحُ الخيرِ. ردَّ ليبَل بشَكلٍ فَظٍّ.

ـ ماذا جَرى لكَ؟ هَلْ أنتَ غاضبٌ؟ هلْ أيقظتُكَ وأنا أُدَنْدِنُ بأُغنيتي؟ سألَتْهُ السَّيِّدةُ (يشكي). فردَّ سريعًا:

ـ لا. لا. لستُ غاضِبًا مِنْكِ. إنَّني غاضبٌ مِنْ نَفسي؛ لأنَّني لَمْ أحلُمْ ليلةَ أمسِ على الإطلاقِ!

ـ على الإطلاقِ! هلْ هذا ممكِنٌ؟ سألتِ السَّيِّدةُ (يشكي) مُندهِشَةً.

ـ لقدْ حلمتُ بالمدرسةِ وبأرسلانَ وحميدةَ ويكِ في ما أَظُنُّ. لكنّي لَمْ أستطعْ مواصلةَ حُلُمي، لِهذا فأنا لا أعرفُ كيفَ انتهتِ الحكايةُ! قالَ ليبَل وهوَ يشعرُ بالحَسْرَةِ.

ـ هذا أمرٌ مُؤْسِفٌ. ردَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي).

لكنَّ ليبَل ردَّ بحزمٍ وتصميمٍ:

ـ سأواصلُ الحلمَ بالحكايةِ وصولًا إلى نهايتِها في اللَّيلةِ القادمةِ.

ـ لكنَّني أخشى ألّا تتمكَّنَ مِنْ هذا. قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي)، ثُمَّ أضافتْ: عندما تنقطعُ استمراريَّةُ الحلُمِ، فإنَّ الإنسانَ يعجزُ عَنْ مواصَلةِ هذا الحلمِ مِنَ اللَّحظةِ الَّتي سبقَ لهُ أنْ توقَّفَ عندَها.

ـ وماذا أفعلُ؟ تساءلَ ليثل وهوَ يشعرُ بالألمِ، ثُمَّ أضافَ: إنَّ ما ينقصُ الحِكايةَ هوَ خاتمتُها. إنَّ عليَّ أنْ أعرفَ كيفَ انتهتْ تلكَ الحكايةُ.

تأمَّلتِ السَّيِّدةُ (يشكي) وقالتْ:

ـ ألمْ يسبقْ لكَ أنْ حدَّثتَني عَنِ الكتابِ الَّذي أخذَتْهُ السَّيِّدةُ يعقوبُ منكَ؟ ألا يحوي هذا الكتابُ الحكايةَ كاملةً؟

ـ بالتَّأكيدِ! أجَلْ! لكنَّها أخفَتِ الكتابَ، ولَنْ تتمكَّنَ مِنَ العثورِ عليهِ.

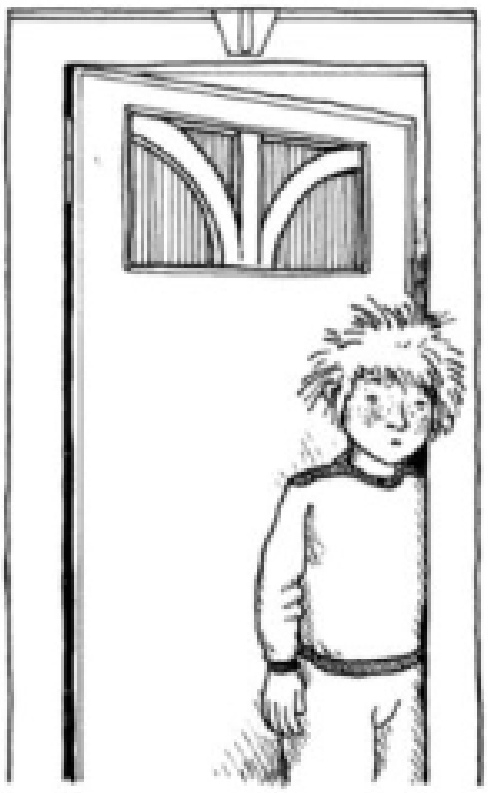

ـ انْتَظِرْ! قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي) وذهبتْ إلى غُرفةِ النَّومِ الخاصَّةِ بوالدَي ليَيْل، ثُمَّ عادتْ بسرعَةٍ وهيَ تحملُ الكتابَ بيَدِها.

ـ ها هو! أينَ عثرتِ عليهِ؟

ـ رغبتُ ليلةَ أمْسِ في أنْ أقْرأَ شيئًا قبلَ النَّومِ، فشاهدْتُ كتابًا موضوعًا فوقَ الرَّفِّ الموجودِ إلى جانبِ السَّريرِ. وكانَ هوَ الكتابَ الَّذي تفتِّشُ عنهُ. إنَّ فيهِ حكاياتٍ ممتعَةً وساحرةً حقيقةً. هلْ قرأتَ شيئًا مِنْ حِكايةِ ملكةِ الأفاعي؟

ـ كَلّا! إنَّها لا تهمُّني عَلى الإطلاقِ. إنَّني أُريدُ أنْ أرى قصَّةَ الملكِ مَعَ ولدِهِ.

استَلْقى ليَيْل فوقَ السَّريرِ، وأخذَ الكتابَ، وبدأ يقلِّبُ صفحاتِهِ بأصابعَ ترتعِشُ، وعثرَ عَلى الحكايةِ، وشرعَ بقراءتِها في الحالِ.

لكنَّهُ سرعانَ ما نزلَ إلى المطبخِ، وجلسَ إلى مائدةِ الإفطارِ وهوَ يشعرُ بالاكْتِئاب.

ـ ما الَّذي جَرى لكَ ثانيةً؟ إنَّ ملامحَ وجهِكَ تشيرُ وكأنَّ أحدًا قدْ أخذَ الكتابَ مِنْكَ ثانيةً. قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي) مستطلعةً.

ـ إنَّ الحكايةَ ليستْ صحيحةً! ردَّ ليَيْل بغضبٍ، ثُمَّ أضافَ: إنَّ ما هو موجودٌ في الكتابِ مختلفٌ تمامًا. إنَّ بدايتَها صحيحةٌ، أمّا ما سِوى ذلكَ فغيرُ صحيحٍ؛ فلا يوجَدُ في الكتابِ ذِكْرٌ للخالَةِ، أمّا المرأةُ الشِّرِّيرَةُ في الحكايةِ فهيَ الجارِيَةُ. ولا أعْرِفُ عَلى وجهِ التَّحديدِ ما مَعنى هذِهِ الكلمَةِ.

ـ وأنا لا أعرفُ كذلكَ مَعناها. أليسَ لدى والدَيكَ مُعْجَمٌ؟

ـ بلى. إنَّهُ موجودٌ في غرفةِ المكتبِ عندَ أبي.

ـ إذن دَعْنا نفتِّشُ فيهِ عَنْ دَلالةِ هذهِ الكلمةِ. ثُمَّ بدأَ الاثنانِ يفتِّشانِ عنْ دَلالةِ الكلمةِ في المُعجمِ حتّى وَجَدا المَعنى:

ـ الجارِيَةُ: هيَ الفتاةُ المَملوكَةُ، رأَليتِل، ثُمَّ قالَ غاضبًا:

لكنَّ الخالَةَ ليستْ مِنَ الجَواري! وكيفَ يُمكنُ أَنْ يكونَ بحوزَةِ الجارِيَةِ قِطعٌ ذهبيَّةٌ كثيرةٌ؟ ينبغي أَنْ تكونَ هذهِ المرأةُ أَرْمَلةَ شقيقِ الملكِ!

فقاطَعَتْهُ السَّيِّدةُ (يشكي) قائلةً:

ـ لا ينبغي لكَ أَنْ تقومَ بِلَعْنِ كتابِكَ ولا المعجمِ؛ لأَنَّهُ لا ذنْبَ لهما. لقدْ قُمتَ أنتَ بمواصلةِ الحُلمِ في هذهِ الحكايةِ. لقدِ اخترعْتَها في الحلمِ، وهوَ أمرٌ رائعٌ، عندما يتمكَّنُ الإنسانُ مِنْ إنجازِهِ.

ـ حسنًا. ولكنْ كيفَ لي أَنْ أعرفَ نهايةَ هذهِ الحكايةِ؟ سألَ ليتِل حانقًا.

ـ قُمْ بتخيُّلِ نهايتِها وحدَكَ. إنَّ عليكَ أَنْ تتصوَّرَ وحدَكَ كيفَ جَرَتِ الحكايةُ إلى نهايتِها! قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي).

ـ لا. هذا غيرُ مُمكنٍ. قالَ ليتِل وهوَ يهزُّ رأسَهُ غاضبًا، ثُمَّ أضافَ: إنَّ هذا يَعني أنَّني لَنْ أعرفَ على الإطلاقِ، إذا كانتِ الخاتمةُ صحيحةً أَمْ مُخترعَةً.

قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي) وهيَ تضعُ يدَها على كتفِ ليتِل وتعودُ معهُ إلى المطبخِ: أتعلمُ يا ليتِل؟ عليكَ أَنْ تنسى الحكايةَ الآنَ! فلعلَّكَ تحلمُ بها مِنْ جديدٍ، وقدْ لا تحلمُ بها. فكِّرْ بما سيحدثُ اليومَ. سيأتي أبوكَ وأمُّكَ. فما رأيُكَ لو أعْدَدْنا لهُما غداءً جميلًا؟

اعترفَ ليتِل بأهمِّيَّةِ هذا الاقتراحِ؛ لِهذا كانَ عَلَيهما أَنْ يَتناولا طعامَ الإفطارِ، وينظِّفا أدواتِ الطَّعامِ، ويَشْرَعا بالطَّهيِ.

كانتِ السَّيِّدةُ (بشكي) مُعْجَبَةً بأدواتِ المطبخِ الآليَّةِ الَّتي اشتراها والدُهُ؛ لهذا قامتْ في البدايةِ بإعدادِ عَصيرَيِ البرتقالِ والجزرِ لها ولليَسَل، ثُمَّ قامتْ بإعدادِ عصيرِ التُّفّاحِ في النِّهايةِ. وقدْ زعمتْ أنَّها تفعلُ ذلكَ للحُصولِ على (الفيتاميناتِ). لكنَّ ليَسَل أدركَ أنَّها تفعلُ ذلكَ لتستخدمَ الآلاتِ الكهربائيَّةَ.

انتَهَيا مِنْ إعدادِ الطَّعامِ، وقاما بتهيئةِ المائدةِ. وقامتِ السَّيِّدةُ (بشكي) بالذَّهابِ سريعًا إلى منزلِها لتُحضِرَ شيئًا مِنَ الإجاصِ (الكُمَّثرى) المحفوظِ لديها ليكونَ بمثابةِ الحَلوى الَّتي ستقدَّمُ بعدَ الطَّعامِ، وبذلكَ تكونُ المائدةُ قدِ اكتملتْ.

الفصلُ الحادي والثّلاثونَ

العَـودَةُ

ردَّ جرسُ المنزلِ في تمامِ السّاعةِ الثّانيةَ عشرةَ ظُهرًا.

اندفعَ ليَـل نحـوَ البـابِ وفتحَـهُ. كانَ أبـوهُ وأمُّـهُ واقفَـينِ بالبـابِ. وضعتْ أمُّـهُ حقيبتَهـا جانبًـا، وعانقـتْ ليَـل بقـوّةٍ وهـيَ تقولُ:

ـ ليَـل! ولدي! لقدِ افتقدتُكَ صِدقًا.

ـ وأنا سعيدٌ بعَودتِكما، قالَ ليَـل.

فسألَتْهُ أمُّهُ:

ـ قُـلْ لي: كيـفَ مـرَّ الأسـبوعُ؟ وكيـفَ حالُـكَ؟ هـلِ افتَقَدْتَنـا؟ هـلْ واجهـتَ صعوبـاتٍ مَـعَ السَّـيِّدةِ يعقـوبَ؟ ومـاذا حصـلَ تحديـدًا؟ ولمـاذا تدخَّلـتِ السَّـيِّدةُ (يشـكي)؟

كانَ أبوهُ يقفُ غيرَ قادرٍ عَلى الصَّبرِ، وقدْ قالَ لابنِهِ:

ـ قبلَ أنْ تُجيبَ عَنْ أسئلةِ أُمِّكَ، سأقومُ أوّلًا باحتضانِكَ.

قامَ ليَـل بمعانقةِ أبيهِ.

وفي هـذهِ اللَّحظـةِ قَدِمـتِ السَّـيِّدةُ (يشـكي) مِـنَ المَطبـخِ، فرحّـبَ بِهـا والدا ليَـل تَرحيبًـا صادقًا.

ذهبَ الأربعةُ إلى غرفةِ الطَّعامِ، وجَلسوا إلى مائدةِ طعامٍ عامِرَةٍ.

قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي):

ـ إنَّ ليَـل سيتناولُ الطَّعـامَ نفسَـهُ الَّـذي تناولَـهُ يـومَ أمـسِ لِسـوءِ الحـظِّ. فقـدْ كانَ عـليَّ أنْ أقـومَ بِطَبْـخِ مـا اشـترتهُ السَّـيِّدةُ يعقـوبُ. وقـدِ اشـترتْ

قطعةً مِنْ لحمِ البقرِ مُعدَّةً للشَّيِّ في الفرنِ.

ـ لكنَّني أكلتُ فطائرَ البطاطا يومَ أمسِ. واليومَ هناكَ معكرونةٌ، قالَ ليّل، ثُمَّ أضافَ: ومعَ ذلكَ فإنَّ طعامَكِ لذيذٌ، يأكلُهُ الإنسانُ كلَّ يومٍ دونَ أنْ يَمَلَّهُ.

ـ هلْ أعدَّتِ السَّيِّدةُ (يشكي) الطَّعامَ هنا يومَ أمسِ؟، سألَ أبوهُ وهوَ يشعرُ بالدَّهشةِ، ثُمَّ تابعَ: كنتُ أظنُّ أنَّ السَّيِّدةَ يعقوبَ كانتْ هُنا أمسِ.

فردَّ ليّل:

ـ لقدْ كانتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ هُنا يومَ أمسِ، لكنَّني تناولتُ الطَّعامَ مَعَ أرسلانَ وحميدةَ في منزلِ السَّيِّدةِ (يشكي). أوضحَ ليّل.

ـ مَعَ مَنْ؟

ـ إنَّ لديهِ دائمًا كثيرًا مِنَ الأسرارِ. قالتِ الأُمُّ.

ضحكَ ليّل، وقالَ: إنَّها صديقايَ الجديدانِ.

ـ صديقانِ. هذا أمرٌ حَسَنٌ. كيفَ تعرَّفْتَ إليهما؟ سألَتْهُ أمُّهُ، ثُمَّ أضافتْ: ولماذا تناولتُم الطَّعامَ عندَ السَّيِّدةِ (يشكي)؟ ثُمَّ قالتْ: إنَّ مِنَ الأفضلِ أنْ تحكيَ لنا كلَّ ما وقعَ لكَ في الأسبوعِ المُنصرمِ بالتَّسلسُلِ.

تحدَّثَ ليّل عمَّا وقعَ لهُ، فتحدَّثَ عنِ السَّيِّدةِ يعقوبَ، وعنِ المدرسةِ، وعنِ الكلبِ (موك) وعنْ عائلةِ (غوني).

كانَ الأبُ والأمُّ يستمعانِ إلى الحكاياتِ بتوتُّرٍ. وبعدَ أنْ أنهى ليّل كلامَهُ، قالتِ الأمُّ وهيَ توجِّهُ حديثَها إلى السَّيِّدةِ (يشكي):

ـ ينبغي أنْ أشكرَكِ ثلاثَ مرّاتٍ: لأنَّكِ دعوتِ أصدقاءَ ليّل إلى الغداءِ، ولأنَّكِ أجبرتِ السَّيِّدةَ يعقوبَ على مغادرةِ المنزلِ، ولإعدادِكِ الطَّعامَ الممتازَ هذا اليومَ. فأضافَ الأبُ وهوَ يتناولُ الإجاصَ (الكُمَّثرى) المحفوظَ للمرَّةِ الثَّالثةِ:

ـ ومِنْ أجلِ الحلوى أيضًا.

كانتِ السَّيِّدةُ (يشكي) تشعرُ بالارتباكِ، وقدِ اكتفتْ بالقولِ:

ـ لمْ أفعلْ شيئًا لهُ قيمةٌ. وما قمتُ بهِ هوَ أمرٌ طبيعيٌّ.

وبعدَ أنْ تناولوا الحلوى، سألَ الأبُ ليّل عَنْ عددِ النُّقاطِ الَّتي

جمعَها، وإنْ كانتْ هذهِ النُّقاطُ قدْ وصلتْ إلى المئةِ، فقالَ ليّل:

ـ لوْ لمْ تقُمِ السَّيِّدةُ بعقوبةِ برَمْيِ كثيرٍ مِنْ هذه النُّقاطِ، لتمكَّنتُ مِنَ الحُصولِ علَى الصّورةِ. إنَّ لَديَّ عِلى وجهِ التَّحديدِ ثمانٍ وتسعينَ نُقطةً، بِما فيها النُّقاطُ عَلى عُلبِ اللَّبنِ الموجودةِ في ثلّاجةِ المطبخِ.

ضحكَ الأبُ، وقالَ للأمِّ:

ـ هيّا افتحي إذنْ حقيبتَكِ اليدويَّةَ!

مدّتِ الأمُّ يدَها إلى الحقيبةِ، واستخرجَتْ أربعَ نقاطٍ مِنْ نقاطِ التَّجميعِ.

فصاحَ ليّل وهوَ يشعرُ بالمفاجأةِ:

ـ كيفَ حصلتُما عليها؟ هل يوجدُ في قيسْنا لبنٌ وعليهِ نقاطُ تجميعٍ؟

ـ كَلّا. كَلّا. لكنَّنا تناوَلْنا بعضَ عُلبِ اللَّبنِ في القطارِ.

فرحَ ليّل، وقالَ بحماسةٍ:

ـ رائعٌ. إنَّ لديَّ الآنَ ما يتجاوزُ المئةَ نقطةٍ. أستطيعُ أنْ أطلبَ الصّورةَ.

فقالَ الأبُ:

ـ لكنَّ هذه لمْ تكُنِ الشَّيءَ الوحيدَ الَّذي أحضرناهُ لكَ مِنَ (قيسْنا). ثُمَّ قامَ الأبُ باستخراجِ كتابٍ ملوَّنٍ مِنَ الحقيبةِ، ووضعَهُ في يدِ ليّل.

فقالَ ليّل سعيدًا:

ـ إنَّهُ مملوءٌ بالقصصِ المصوَّرةِ، وكلُّها ملوَّنةٌ.

ـ إنَّها حكايةُ ولدٍ يُدعى (نيمو)، وهوَ ولدٌ اعتادَ أنْ يحلُمَ كلَّ ليلةٍ. والحكاياتُ تبيِّنُ ما انطوَتْ عليهِ أحلامُهُ مِنْ مغامراتٍ.

كانَ مِنَ الأفضلِ ألّا يقومَ أبوهُ بذكرِ هذا الأمرِ، فإنَّهُ بذلكَ ذكَّرَ ليّل

بأحلامِهِ المتواصلةِ، مثلَما ذكَّرهُ بالنِّهايةِ الَّتي يفتقدُها، ويبحثُ عنها.

وضعَ ليّلِ الكتابَ جانبًا، فلمْ يعُدِ الكتابُ مُمتعًا، لهذا جلسَ على (الكَنَبَةِ) وبدأَ يُحدِّقُ بالجميعِ عَلى نَحوٍ مملوءٍ بالحُزنِ.

ـ ما الَّذي جرى؟ هلْ أخطأْنا؟ هل تَشعرُ بالضِّيقِ. سألتِ الأمُّ وهيَ تشعرُ بالحَيْرةِ.

ـ ماذا جَرى لكَ فجأةً؟ سألَ الأبُ.

ـ أستطيعُ أنْ أتخيَّلَ ما جرى لَهُ. لقدْ ذكَّرهُ هذا الكتابُ بحُلْمِهِ المتواصلِ. أليسَ كذلكَ ليّل؟ قالتِ السَّيِّدةُ (يشكي).

أطرقَ ليّل.

ـ الحلمُ المتواصلُ! ما معنى هذا؟ قُلْ لي! قالتِ الأمُّ.

بعدَها شَرَعَ ليّل يحكي عَنِ الكِتابِ الَّذي أهدَتْهُ أمُّهُ لهُ، عنْ بدايةِ الحكايةِ، وكيفَ صارَ يحلُمُ بِها، وعنِ الأميرِ أسلَمَ والأميرةِ حميدةَ، وعنِ المدينةِ الشَّرقيَّةِ، حتَّى وصلَ إلى نهايةِ الحُلمِ الأخيرِ. ثُمَّ قالَ وهوَ يشعرُ بالمَرارةِ:

ـ والآنَ لا أعرفُ كيفَ تسيرُ الحكايةُ، وتنقُصُني خاتِمَتُها. كانَ ينبغي أنْ يتمَّ إحضاري إلى المَلِكِ. لا أعْني أنا، لكنّي أعْني ليّل الموجودَ في الحلمِ. هلْ تفهمونَ ما أعْني؟

ـ أجَلْ. أجَلْ. ردَّتِ الأمُّ وهيَ تفكِّرُ. ثُمَّ قالتْ: إنَّني أظنُّ أنَّني أعرفُ خاتمةَ الحكايةِ.

ـ مِنْ أينَ تعرفينَ ذلِكَ؟ هلْ سبقَ لكِ أنْ سمعتِ بِها، أوْ قرأتِ عنْها؟

سألَ ليّل أمَّهُ وهوَ يشعرُ بالإثارةِ.

ـ ليسَ مُهِمًّا ذلكَ. المهمُّ أنّني أعرفُ كيفَ انتهتْ. قالتِ الأمُّ.

ـ هذا صحيحٌ. قالَ ليّل.

ثُمَّ بدأتِ الأمُّ تَحكي.

الفصلُ الثّاني والثّلاثونَ

نِهايَةُ الحِكايَةِ

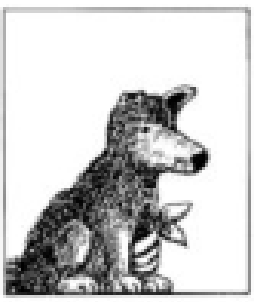

تَـمَّ إحضـارُ السَّـجينِ ليّـل إلى القـصرِ، حيثُ سـلّمَهُ الحـرسُ الّذيـنَ سـبقَ لهـم أنْ أمسـكوهُ وقيّـدوهُ، إلى حـرسِ البـلاطِ الملكـيِّ؛ لأنَّ الدُّخـولَ إلى المقرِّ الملكـيِّ غيرُ مسموحٍ لأولئـكَ الحـرسِ. ثُـمَّ قـامَ حـرسُ البـلاطِ بتسـليمِ ليّـل إلى القائـدِ الأعـلى للحـرسِ الّـذي سـلّمَهُ بـدَورِهِ إلى الحـرسِ الخـاصِّ بالملـكِ.

سألَهُ قائدُ الحرسِ الخاصِّ بقَسوةٍ:

ـ مَنْ أنتَ؟ وماذا تريدُ؟

ـ اسـمي ليّـل. وأنـا أَعْجَـبُ كيـفَ تسـألُني عَـنْ طَلبـاتي. لقـدْ أحضَرْتُمـوني إلى هنـا بالقُـوّةِ. لكنّـني أسـمحُ لـكَ بـأنْ تأخـذَني إلى المَلِـكِ!

ـ هكَـذا! تسـمحُ لي بـأنْ آخـذَكَ إلى المَلِـكِ! أتظُـنُّ أنَّ مقابلـةَ الملـكِ أمـرٌ سَـهْلٌ؟ إنّـكَ سَتَنسـى نِكاتِـكَ كلَّهـا عندمـا تقابلُـهُ.

كانَ الملـكُ قـدْ غـادرَ مقـرَّهُ، وجلـسَ في قاعـةِ العَـرْشِ عندَمـا تَـمَّ اقتيـادُ

ليّل إلى هناك.

كانتْ دهشةُ الحرسِ الشّخصيِّ غيرَ عاديّةٍ عندما أمرهُمُ الملكُ:

ـ فُكّوا قيودَهُ حالًا! وأحضروا لَهُ كُرسيًّا مُريحًا ليجلسَ عليهِ، وكأسًا مِنْ عصيرِ التّينِ، وصَحْنًا مملوءًا بالفواكِهِ.

ـ شكرًا جزيلًا. لكنّني أرجو أنْ تأمرَهُمْ بأنْ يُحضِروا لي اللّبنَ بدلًا مِنْ عصيرِ التّينِ.

ـ هَلْ سمعتُمْ؟ صاحَ الملكُ بالخدَمِ، ثُمّ أضافَ: أحضِروا لهُ أجودَ أنواعِ اللّبنِ مِنَ الثّلاّجةِ الملكيّةِ.

ثُمّ التفتَ إلى ليّل، وطلبَ إليه أنْ يحكيَ لهُ كلَّ شيءٍ.

حكى لهُ ليّل عنْ لُؤمِ الخالةِ، وعنْ هربِهِ في العاصفةِ الصّحراويّةِ، وعنِ الحُرّاسِ الثّلاثةِ، وعنِ الاختباءِ في النُّزُلِ، وعنْ صاحبةِ النُّزُلِ السّمينةِ، وعنِ اعتقالِ الحَرَسِ لهُ.

كانَ الملكُ يستمعُ، ويَحني رأسَهُ بعضَ الأحيانِ، وكانَ يبدو وكأنّهُ يريدُ أنْ يتأكّدَ ممّا كانَ يعرفُهُ مِنْ قَبلُ. وقدْ عجزَ الحرسُ الخاصُّ والخَدَمُ الّذينَ كانوا يُصغونَ إلى الحِكاياتِ عَنِ التّحكُّمِ بغضبِهم.

صاحَ قائدُ الحرسِ الخاصِّ:

ـ اسمحْ لي يا مَليكي أنْ أقومَ باعتقالِ الحُرّاسِ الثّلاثةِ الخائنينَ على الفورِ! وإلّا فإنّهم سيهربونَ.

ـ قُمْ باعتقالِ هؤلاءِ الثّلاثةِ، وأدخِلْهُم فورًا إلى السّجنِ. أمرَ الملكُ، ثُمّ أضافَ: أحضِروا فورًا صاحبةَ النُّزُلِ إلى هنا، وأخبِروا أرملةَ أخي بالحضورِ إلى قاعةِ العَرْشِ. وإيّاكم أنْ تبوحوا بما سمعتُم!

استغرقَ تنفيذُ ذلكَ بعضَ الوقتِ، وكانَ الخدمُ قدْ أحضروا اللَّبنَ لليَل. لمْ يكنِ اللَّبنُ رديءَ المذاقِ، لكنَّ ليَل رأى أنَّ منَ الإسرافِ أنْ يجريَ تقديمُ اللَّبنِ في أوعيةٍ مُذهَّبةٍ، فقدْ كانَ يكفيهِ أنْ يُقدَّمَ لهُ لبنٌ ومعَهُ القُماطُ التَّجميعيَّةُ.

تمَّ إدخالُ صاحبةِ النُّزُلِ السَّمينةِ إلى القاعةِ. كانتْ خائفةً ومذعورةً، لكنَّها ارتاحتْ عندما رأتْ ليَل، وذهبَ الخوفُ عنها قليلاً عندَما شاهدتْ ليَل يجلسُ حُرًّا وسعيدًا إلى جوارِ المَلِكِ.

ناداها الملكُ، وقالَ لها:

ـ أنتِ طيِّبةُ القلبِ أيَّتُها المرأةُ المحترمةُ، فقدْ أنقذتِ أبنائي، وهوَ أمرٌ لنْ أنساهُ لكِ أبدًا، وسأُجازيكِ عمَّا فعلتِ خيرَ الجزاءِ. أرجو أنْ تجلسي هناكَ على المِخدَّةِ، وتَري بعينيكِ كيفَ تسيرُ العدالةُ، وتأخذُ مَجْراها.

ثُمَّ دخلتِ الخالةُ إلى القاعةِ، وقدِ اصفرَّ وجهُها، وكادتْ تنهارُ عندما رأتْ ليَل جالسًا، فقدْ كانتْ تظُنُّ أنَّهُ ماتَ مثلَ أسلمَ وحميدةَ! لكنَّها سُرعانَ ما تماسكتْ، ودخلتْ وهيَ تُحاولُ ألاَّ يُلاحظَ الملكُ اضطرابَها، وقالتْ وهيَ تنحني:

ـ لقدْ قُمتم باستدعائي أيُّها الملكُ العظيمُ، ويا شقيقَ زوجي العزيزَ. ما الَّذي أستطيعُ أنْ أقدِّمَهُ لجلالتِكم؟

أشارَ الملكُ إلى ليَل، وقالَ:

ـ هذا الفتى الجالسُ هنا يُدعى ليَل، وقدْ تحدَّثَ لي أنَّكِ قُمتِ بالتَّخطيطِ لقتلِ الأميرِ أسلمَ والأميرةِ حميدةَ. وقدْ أعطيتِ للحُرَّاسِ الثَّلاثةِ صُرَّةً مملوءةً بالذَّهبِ، حتَّى يقوموا بقتلِهما.

فردَّتِ الخالةُ بصَلَفٍ:

ـ إنَّ لِيَمْـل هـذا كـذّابٌ وقِـحٌ. إنَّـهُ أجنبـيٌّ، وغريـبٌ! إنَّـهُ ليـسَ مِـنْ بِلادنـا! وينبغـي أنْ يُقْطَـعَ رأسُـهُ، لكَذِبِـهِ عَـلى الملـكِ عِيانًـا.

ـ هلْ تُنكرينَ إذن كُلَّ ما قالَهُ؟ صاحَ الملكُ.

ـ لا داعـيَ لأنْ أُنكِـرَ مـا قـالَ، يـا جلالـةَ الملـكِ، إنَّنـي لا أسـتطيعُ أنْ أمَـسَّ أولادَكـم بسـوءٍ عـلى الإطـلاقِ! قالـتِ الخالـةُ كاذبـةً. إنَّ خـيرَ وفـاةٍ أسـلمَ وحيـدةَ قـدْ صـدَّعَ قلبـي، ومـلأهُ بالحـزنِ والألمِ العميقَـينِ. فـماذا سـيقعُ لـو بَقِيـا عـلى قيـدِ الحيـاةِ؟

ـ ومـاذا كُنـتِ سـتقدِّمينَ كـي يَعـودا إلى الحيـاةِ؟ أأنـتِ عـلى اسـتعدادٍ لتقدِّمـي رأسَـكِ؟

ـ ما الَّذي تقصِدُهُ يا صاحبَ الجلالةِ؟

صمـتَ الملـكُ، ونهـضَ، وسـحبَ إحـدى السَّـتائرِ جانبًـا. كانَ خلـفَ السِّـتارةِ أسـلمُ وحيـدةُ. وكانَ الكلـبُ (مـوك) يُقعـي إلى جوارِهمـا.

كانَ منظـرُ الكلـبِ مُؤلِمًـا: فقـدْ كانـتْ قدمُـهُ الأماميَّـةُ اليُسرى جريحـةً. وكانـتْ إحـدى أُذنَيـهِ قـدِ انتُزعـتْ، لكنَّـهُ كانَ مـا يـزالُ عـلى قيـدِ الحيـاةِ.

صاحَ الملكُ:

ـ يـا لَلبُـؤسِ! أتريديـنَ أنْ تقتُـلي أبنائـي؟ إنَّ عليـكِ أنْ تُعاقَبـي بالعُقوبـةِ الَّتـي كنـتِ تريديـنَ أنْ تَحُـلَّ بالفَتـى ليَمْـل.

ـ الرَّحمةَ، الرَّحمةَ! صاحتِ الخالةُ، وهيَ تنحني على رُكبَتَيها.

ـ اقطعوا رأسَها، فهيَ لَمْ تطلبِ الرَّحمةَ لليَمْل. قالَ الملكُ.

وهنـا تقـدَّمَ أسـلمُ قليـلًا، وبـيَّنَ أنَّ الحكمـةَ الَّتـي سـبقَ أنْ تعلَّمَهـا عنـدَ السِّـندبادِ لَمْ تذهـبْ أدراجَ الرِّيـاحِ. فقـالَ يخاطـبُ أبـاهُ:

ـ أبي. ها أنتَ تُصْدِرُ ثانيةً قرارًا قاسيًا شبيهًا بالقرارِ الَّذي أصدَرْتَهُ عندما قرَّرْتَ أَنْ تنفيَني. وقد أَلَمْتُكم هذا القرارُ، يا صاحبَ الجلالةِ، وأخشى أَنْ تندَموا بسببِهِ، حيثُ لا ينفعُ النَّدمُ. لِهذا أرجو أَنْ تتكرَّموا بتخفيفِ العقوبةِ.

ـ ماذا عليَّ أَنْ أفعلَ؟ وماذا تقترحُ يا بُنَيَّ؟

ـ إنَّ عليها أَنْ تتلَقَّى العُقوبةَ نفسَها الَّتي تلقَّيناها. يجبُ أَنْ تُنفى مِنَ البلادِ

طيلةَ حياتِها.

وهذا ما جَرى فعلًا.

أمَّا المرأةُ السَّمينةُ صاحبةُ النُّزُلِ الَّتي ساعدتِ الأولادَ طَوعًا، فعُيِّنَتْ مُشرفةً عُلْيا عَلى فواكهِ القصرِ، وسُمِحَ لها بتحضيرِ التِّينِ المحفوظِ مِنْ بساتينِ القصرِ، وعُيِّنَ لِزوجِها مُرتَّبٌ سنويٌّ يبلغُ اثْنَي عشَرَ ألفَ دينارٍ.

الفصلُ الثّالثُ والثّلاثونَ
الخـاتِمَـةُ

نظرتِ الأمُّ إلى المستمعينَ الثّلاثةِ بترقُّبٍ، وسألَتْهم:

ـ هلْ أعجبتكُم حِكايتي؟

ـ تقصدينَ خاتمةَ حِكايتي! قالَ ليّل.

ـ رائـعٌ. إنّـني أعـرفُ الآنَ أنَّ كلَّ شيءٍ سـارَ عَـلى مـا يُـرامُ. هـذا رائـعٌ. قـالَ الأبُ، ووافَقَتْـهُ السَّـيِّدةُ (يشـكي). اضطجَـعَ ليّـل فـوقَ (الكَنَبَـةِ) وأخـذَ يقلِّـبُ صَفحـاتِ الكتـابِ.

يـا لَـهُ مِـنْ يـومٍ رائـعٍ! فَكَّـرَ ليّـل: لقـدْ عـادَ أبـوهُ وأمُّـهُ إلى المنـزلِ، وجمـعَ النُّقـاطَ المئـةَ، وسـيقومُ غَـدًا باللَّعـبِ مَـعَ صديقَيـهِ الجديديـنِ. وكانَ للحكايـةِ الشَّرقيَّـةِ نهايـةٌ جميلـةٌ.

(بـاول مـار): مِـنْ مواليـدِ عـام ١٩٣٧ في (شـفاينفورت/ ألمانيـا). أنهـى دراسَـةَ الرَّسْـم وتاريـخ الفـنِّ، ويُعَـدُّ مِـنْ أشـهرِ وأهـمِّ الكُتّـابِ في مجـالِ كتابـةِ أدبِ الأطفـالِ والنّاشـئةِ. كَتَـبَ العديـدَ مِـنَ الرِّوايـاتِ والأشـعارِ و(السّـيناريوهاتِ) والمسرحيّـاتِ، ويعمـلُ بالإضافـةِ إلى ذلـك رَسّـامًا ومترجِمًـا. ابتـدعَ شـخصيّةَ (زامـس) الشّـهيرةَ، وكتـبَ قِصَصَهـا الّتـي صُـوِّرَتْ أفلامًـا، وحقّقـتْ نجاحًـا باهِـرًا. وتَجْـدُرُ الإشـارَةُ إلى أنَّ هـذا الكتـابَ جَـرى تحويلُـهُ إلى فيلـمٍ، وعُـرِضَ في مِهرجـانِ السّـينما العالمـيِّ (ببرلـينَ) عـامَ ٢٠٠٩. حصـدتْ أعمـالُ (بـاول مـار) كثيـرًا مِـنَ الجوائـز.

التأنيب (اسم) (ج) [أ ن ب]

أنَّبَ، يؤنِّبُ تأنيبًا، فهو مؤنِّبٌ.

أنَّبَ الشَّخصَ: وبَّخهُ ولامهُ، وعنَّفهُ بقولهِ. تأنيبُ الضَّمير: ما يحسُّهُ الفردُ مِنْ عذابٍ أوْ ندمٍ أوِ اتِّهامٍ لذاتِهِ بارتكابِ غلطةٍ أوْ خطأٍ أوْ نصيحةِ سلوكٍ قامَ بِهِ.

(سَمِعَ المعلِّمُ بصوتِ علوِّهِ **بالتأنيبِ**.)

جُمْلَتي:

سحابةُ يومِهِ (تركيبٌ) (ج) [س ح ب]

السَّحابةُ هيَ القِطْعةُ. والجمعُ: سَحابات وسَحائِبُ وسُحُبٌ وسُحْبٌ.

سَحابةُ يَوْمِهِ: طَوالَ يَوْمِهِ. سحابةُ الليلِ: طولُهُ. سحابةٌ رعديَّةٌ: سحابةٌ كبيرةٌ داكنةٌ مشحونةٌ بالكهرباءِ، منذرةٌ بالرَّعدِ. سَحابةُ صَيْفٍ: أمرٌ عابرٌ، أو مريحُ الزَّوالِ.

(كانَ والدُهُ يُعطي **سحابةَ يومِهِ** في القولِ؛ لكتبِ مقالةَ الصَّحيفةِ الَّتي يعملُ فيها).

جُمْلَتي:

يَسْري (فعلٌ) (ج) [س ر ي]

سَرَى/ سَرَى على، يَسْري سَرَيانًا، سَرْيًا، سِرايَةً، فَهُوَ سارٍ.

سَرَى اللَّيْلُ: مَضَى وَذَهَبَ. سَرَى بِهِ لَيْلًا: جَعَلَهُ يَسِيرُ لَيْلًا. سَرَى الهَمُّ: ذَهَبَ، زالَ

سَرَى عِرْقٌ أو قانونٌ: صالَ الفِئْدانَ. هذا يَسري على الماشي: لهُ مفعولٌ رجعيٌّ.

(اسمُ عائلةِ هذا الفتى هي «مائتهام» وهذا الأمرُ **يَسْري** على أبيهِ، وعلى أمِّهِ، وعلى ابنِهِ بطبيعةِ الحالِ).

جُمْلَتي:

(المُغْرَمين) (اسمٌ) (ج) [غ ر م]

أغْرَمَ الأغرمَ بـ... / يُغْرِمُ إغرامًا، فَهُوَ مُغْرِمٌ بِهِ

أُغْرِمَ بالفتاةِ: أحبَّها كثيرًا، ولم يصبرْ على مفارقتِها، عَشِقَهَا. أَغْرَمَهُ الفتاةَ أو الثَّمنَ: أَلْزَمَهُ بأدائِها.

(كانَ هذا المُعلِّمُ فارسًا نُواطِئًا للحريةِ، مثلما كانَ أحدُ **المُغْرمينَ** عضوَ البرلمانِ).

جُمْلَتي:

يُقْعي (فعلٌ) (ج) [ق ع ي]

أقْعى في، يُقْعي إقْعاءً، فَهُوَ مُقْعٍ.

أقْعى الرَّجُلُ في جلوسِهِ: ثَنَى ونَصَبَ ساقيهِ وفخذَيهِ.

أقْعى الكَلْبُ في جلوسِهِ: جلسَ وبسطَ ذراعيهِ مُفْتَرِشًا رجليهِ والصِّقًا يديهِ.

(كانَ **يُقْعي** أمامَ سياجِ إحدى الحدائقِ الكَلْبُ الَّذي رآهُ في منامِهِ.)

جُمْلَتي:

بَتَأَطَ (فعلٌ) (ج) [أ ب ط]

تأَطَ، يتأبط تأبُطًا، فهو متأبطٌ.

تأَبَّطَ كِتابًا: وَضَعَهُ تحتَ الإبطِ. تأبَّطَ الولَدَ: حضَنَهُ، ضَمَّهُ.

(كانَ لِهِيل يُفْحَصُ مِنْ سَريرِهِ بِحُجَّةِ الذَّهابِ إلى الحَمّامِ (وَهُوَ يَتَأَبَّطُ كِتابَهُ.)

مُحَلَّلَتي:

فَمُقَرِّاسْمٌ (ج) [ث م م]

اسمُ إشارةٍ للمكانِ البعيدِ بمعنى: هناكَ. مبنيٌّ على الفتحِ، وهوَ ظرفٌ لا يتصرَّفُ، أصلُهُ: ثَمَّ، وزيدتْ عليهِ الكافُ ويوقَفُ عليهِ بالهاءِ. ليسَ ثَمَّةَ مِنْ سبيلٍ غيرِ العلمِ والصَّناعةِ. ثَمَّةَ حدودٌ للصَّبْرِ.

(ثَمَّ شيءٌ غيرُ مفهومٍ يحدثُ ها هُنا.)

مُحَلَّلَتي:

أحلد إلى النوم جُمْلَةٌ (ج) [خ ل د]

- أَخْلَدَ/ أخلدَ إلى/ أخلدَ في، يُخْلِدُ إخلادًا، فَهُوَ مُخْلِدٌ.

- أَخْلَدَ إلى الرَّاحَةِ وَالْهُدُوءِ والنَّومِ: مالَ، رَكَنَ. أَخْلَدَ فلانٌ: أَسَنَّ، ولم يَشِبْ، لم يصبحْ عجوزًا. أخلدَ بالمكانِ: لزمَهُ مستقرًّا فيهِ، أقامَ بِهِ. أَخْلَدَهُ التَّاريخُ: جعلَهُ خالدًا. أخلدَ الشَّيءَ: أبقاهُ وأدامَهُ.

(النَّومُ مُطْلَقًا في غُرْفَةِ ليل، يَبْدو أنَّهُ أَخْلَدَ إلى النَّومِ.)

مُحَلَّلَتي:

أَرْمَلَةٌ(اسْمٌ)(ج) [ر م ل]

الأَرْمَلَةُ: مَنْ ماتَ زوجُها، والأَرْمَلُ مَنْ ماتَتْ زَوْجَتُهُ. إنسانٌ أَرْمَلُ: فَقِيرٌ ليسَ لَهُ مَنْ يَعُولُهُ وَيُطْعِمُهُ، لا أَهْلَ لَهُ.

الأَرْمَلُ: العَرَبُ. الأَرْمَلُ مِنَ الأَعوامِ: القليلةُ المطرِ والنَّفعِ والخيرِ. الجمعُ: أَرامِلُ وأَرامِلَةٌ.

(وأحيوا أَرْمَلَةَ أحي بالحضورِ إلى قاعةِ العَرْضِ.)

مُحَلَّلَتي:

المُراوِغُ (اسْمٌ) (ج) [ر و غ]

راوغَ، يُراوغُ مُراوَغَةً، فهوَ مُراوِغٌ.

راوَغَهُ: حادَعَهُ. راوَغَهُ: صارَعَهُ. رَاوَغَ في كَلامِهِ: لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَراحَةٍ وَوُضُوحٍ.

(صارَ لِهِيل يعشقُ التَّسَوُّقَ، ويكرِّسُ نفسَهُ لَهُ. حتَّى في أثناءِ ذلكَ النَّمَطِ المُراوِغِ الَّذي يسودُ المدينةَ.)

مُحَلَّلَتي:

يَسودُ (فعلٌ) (ج) [س و د]

سادَ/ سادَ على/ سادَ في، يَسُود سيادةً وسُؤْدَدًا، فَهُوَ سائدٌ وسيِّدٌ.

سادَ الشَّيءُ: اشتهرَ، عمَّ، شاعَ. سادَ الرَّجُلُ: عَظُمَ. سادَ قَوْمَهُ: حَكَمَهُمْ سَيِّدًا، هُمْ مَنْ عَلَيْهِمْ. سادَ النِّظامُ والهُدوءُ البلدةَ: استقرَّ، وانْتَزَعَ مِنْ دونِ تحكُّمٍ. سادَ الصَّمتُ المكانَ: أصبحَ لا يُسمَعُ فيهِ صوتٌ.

(صارَ لِهِيل يعشقُ التَّسَوُّقَ ويكرِّسُ نفسَهُ لَهُ. حتَّى في أثناءِ ذلكَ النَّمَطِ المُراوِغِ الَّذي يسودُ المدينةَ.)

مُحَلَّلَتي:

مِحْوَرٌ (فعْلٌ) (ج) [م ح ر]

مَحْوَرَ، يمحورُ تَمْحُوُرًا، فهو مُمحوِرٌ.

مَحْوَرَ حولَ الشَّيءِ: دارَ حولَهُ. المِحْوَرُ: مركزُ دورانِ كلِّ شيءٍ. المِحْوَرُ: العودُ بينَ جنوبٍ أو غيرِهِ تدورُ عليهِ البَكَرَةُ. المِحْوَرُ: الخطُّ المستقيمُ الواصلُ بينَ قُطبَي الكُرةِ. ومحورُ الأرضِ: خطٌّ وهميٌّ تدورُ الأرضُ حولَهُ. تُشْكِلَةٌ بِمِحْوَرِيَّةٌ: مركزيَّةٌ أساسيَّةٌ ترتبطُ بها مشكلاتٌ أخرى. مِحْوَرُ التَّوْطِيدِ: فِكْرَةُ الرِّئاسَةِ.

(إنَّهُ يحبُّ في الواقعِ أشياءَ كثيرةً، لكنَّها كلَّها تمحورُ حولَ تلكَ الأشياءِ الثَّلاثةِ.)

مُسْتَعْمَلٌ: .....

الفصل: مخطط السفر

اللُّغولُ (اسْمٌ) (ج) [ذ ه ل]

ذَهِلَ/ ذَهِلَ عنْ يذْهَلُ ذُهولاً وذَهَلاً، فهُوَ ذاهِلٌ.

ذَهِلَ الشَّيءُ/ ذَهِلَ عنِ الشَّيءِ: نَسِيَهُ، وغَفِلَ عنهُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَمُّقِ أوِ التَّكَرُّبِ.

(وماذا عنّي؟ تسابلُ أمل، وهوَ يهمزُ باللُّغولِ، ألنْ أرافقَكُما؟)

مُسْتَعْمَلٌ: .....

زَوَنٌ/ الزَّوانُ (اسْمٌ) (ج) [ز و ن]

زَوَنَ، يَزُونُ زوانةً وزُؤُونًا، فهُوَ زَوِنٌ.

زَوَنَ الوَلَدُ: كانَ ثقيلًا جامدًا. زَوَنُ الرَّجُلِ: وَقْرٌ، حَلْمٌ، تمكُّنٌ. الزَّوِنُ: الفاضلُ مِنْ كلِّ شيءٍ. وامرأةٌ زَوانٌ: إذا كانتْ ذاتَ ثباتٍ ووَقارٍ وعفافٍ.

(دعلَ والدُهُ إلى المطبخِ بوجهٍ زوِنٍ، وعاملَهُ فاقلًا.....) (لكنَّ نظراتِهِ كانتْ تنمُّ عنِ الجِدِّيَّةِ والزَّوانةِ.)

مُسْتَعْمَلٌ: .....

نَفَسُ الصُّعَداءِ (جُمْلَةٌ) (ج) [ص ع د]

الصُّعَداءُ: الفَقْدُ. وصوتٌ رفيعٌ طويلٌ مِنَ التَّعَبِ. ونَفَسُ الصُّعَداءِ: أصلُ نَفَسًا مَمْدودًا أوْ مَعَ توجُّعٍ

(لقدْ قرَّرْتُ أنْ أسافرَ مَعَ أمّكَ إلى فيينا. ردَّ أبوهُ، ثمَّ نفَسَ الصُّعَداءَ.)

مُسْتَعْمَلٌ: .....

في طَوْرِ البحثِ

(تَرْكِيبٌ) (ج) [ط و ر]

في طَوْرِ البحثِ: في فَتْرَةِ البحثِ. الطَّوْرُ: المَرَّةُ والتَّارَةُ والرِّحلةُ. الطَّوْرُ: الحَدُّ. الطَّوْرُ: ما كانَ على حالةِ الشَّيءِ أو بحيالِهِ. عَدَا أوْ تَعَدَّى طَوْرَهُ: أيْ جاوزَ حَدَّهُ وقَدْرَهُ. خرجَ عنْ طورِهِ: فَقَدَ سيطرتَهُ على نفسِهِ.

(مازلنا في طورِ البحثِ عنهُ، لكنّي أعدُكَ أنّا لنْ نُسافرَ إلّا إذا عثرْنا على شخصٍ لطيفٍ يرعاكَ.)

مُسْتَعْمَلٌ: .....

أَرْدَفَ (فعل) (ج) [ر د ف]
أردف، يُردِفُ، إردافًا، فهو مُردِفٌ.
أَرْدَفَ: تولّى وتبِعَ. أَرْدَفَ فلانًا: جاء بعدَهُ. ردَفَ الرَّجُلَ: ركِبَ خلفَهُ. ردَفَ أعداءَهُ: تبِعَهُ
(قالَ ليل موطِّئًا ذلك بفخرٍ، فأردفَتْ الشَّيْخَةُ يعقوبُ بعدَ هذا قائلةً: هذا رائعٌ تمامًا.)

جُمْلَتِي: .....

على ما يرامُ (تركيبٌ) (ج) [ر و م]
رامَ، يَرومُ رَوْمًا، فهو رائمٌ.
رامَ الشَّيءَ: طلَبَهُ، رغِبَ فيه، أرادَهُ ورجاهُ. كُلُّ شيءٍ على ما يُرامُ: على أحسنِ ما يُرجى ويُتوقَّعُ ويُنتظَرُ.
(أنا واثقةٌ أنَّ العلاقةَ بيننا ستكونُ على ما يرامُ.)

جُمْلَتِي: .....

رانَ الصَّمْتُ (جُمْلَةٌ) (ج) [ر ي ن]
رانَ/ رانَ على، يَرينُ رَيْنًا، فهو رانٌ.
رانَ الأمرُ/ الصَّمتُ: لَبِثَتْ وَطَأَتُهُ. رانَ النَّهارُ: اشْتَدَّ حَرُّهُ. رانَ الرَّجُلُ: اشْتَدَّ حُزْنُهُ وَغَمُّهُ. رانت القصّة: غَلَبَتْ. رانَ عليهِ النَّومُ: غَلَبَهُ وغطَّاهُ. رانَ على قلبِهِ الذَّنبُ: قسا قلبُهُ لاقترافِ الذَّنبِ بعدَ الذَّنبِ.
(فسَرَحَ والدا ليل بنظراتٍ إلى بعضِهما بارتباكٍ، ورانَ الصَّمتُ فترةً مِنَ الوقتِ.)

جُمْلَتِي: .....

شَرَعَتْ (فعل) (ج) [ش ر ع]
شَرَعَ في، يَشرَعُ شُروعًا، فهو شارِعٌ.
شَرَعَ في العملِ: أخذَ فيهِ، وبَدَأَ. شَرَعَ في الماءِ: دخلَ فيهِ، أو شَرِبَ منهُ بكفِّهِ.
(وما إنْ شَرَعَتِ الشَّيْخَةُ كاوي بالإعلانِ عنِ الوظيفةِ الشَّاغِرةِ، حتَّى هَمَسَ ليل.)

جُمْلَتِي: .....

الصَّمتُ المُخيِّمُ (تركيبٌ) (ج) [خ ي م]
خيَّمَ / خيَّمَ على، يُخيِّمُ تخييمًا، فهو مُخيِّمٌ.
الصَّمتُ المُخيِّمُ: الشاملُ المنتشرُ. خيَّمَ الصَّمتُ عليهِمْ: عمَّهُمُ الهدوءُ. خيَّمَ في الدَّارِ: نَصَبَ خَيْمَةً.
فلماذا والدةُ ليل قاطعةُ الصَّمتَ المُخيِّمَ ما الَّذي لا تعرفينَهُ؟

جُمْلَتِي: .....

الغرافاتُ (اسم) (ج) [غ ر ف]
الغرافُ: المُعْجَمُ مَنْ يَدَّعي القُدْرَةَ على كَشْفِ المُستقبلِ والغيبِ.
(كانتْ تبدو شبيهةً ببعضِ الغرافاتِ في التِّلفزيونِ.)

جُمْلَتِي: .....

الفصل: وداع

دَسَّ (فَعَّلَ) (ج) [د س س]

دسّ، يَدُسُّ، دَسًّا ودَسيسًا، فهو دَاسٌّ

دسّ السُّمَّ في الدَّواءِ ونحوِه: دَفَنَه وأخفاه

دَسَّ الدَّسائِسَ: دبَّرها وحاكها

يَدُسُّ يَدَهُ في جَيْبِهِ: يُدْخِلُها

دسّ أنفَه في كذا: تدخّل فيما لا يعنيه

دسّ نفسَه بين الجماعة: دخل عليهم وهو ليس منهم

(دسَّ المَرْءُ غطاءَ علبةِ اللَّبنِ في حبِّ بطاطا)

جُمْلَتِي:

الطَّارِئَة (اسْمٌ) (ج) [ط ر أ]

الطَّارِئَةُ: مؤنثُ الطَّارِئِ.

والطَّارِئَةُ الدَّاهِيَةُ التي لا يُعرف من أيْنَ أتتْ. والجمع: طوارِئُ

(النُّقودُ الموجودةُ في الصُّندوقِ الخشبيِّ الصَّغيرِ الموضوعِ فوقَ الخزانةِ للحالاتِ الطَّارِئَةِ.)

جُمْلَتِي:

قُصاصَة (اسْمٌ) (ج) [ق ص ص]

القُصَاصَةُ: ما قُصَّ من الثَّوب والشعر والورق ونحوِها، و الجمع: قُصَاصَاتٌ

قُصَاصَاتُ الصُّحُفِ: مَا يُقَصُّ مِنْ مَقَالاتِ الصُّحُفِ لِيُحْتَفَظَ بِهَا فِي الأَرْشِيفِ

(كُتِبَ رَقْمُ هاتفِ الفندقِ عَلى قُصاصةِ ورقٍ)

جُمْلَتِي:

الفصل: الاثنين الجدد

الثَّاقِب (اسْمٌ) (ج) [ث ق ب]

ثَقَبَ، يَثْقُبُ ثَاقِبًا، فَهُوَ مُثْقِبٌ.

ثَقَبَ الفَحْصُ: وَضَحَ ولاَمَهُ، وعَنَفَهُ بِشِدَّةٍ. ثاقِبُ الضَّعيفِ: ما يحسّهُ الفردُ مِنْ عذابٍ أوْ ندمٍ أوِ اتِّهامٍ لذاتِهِ بارتكابِ غلطةٍ أوْ خطأٍ لفحةَ سلوكٍ قامَ بِهِ.

(وكانتْ لوحةُ حديدٍ تنطوي على شيءٍ مِنَ الثَّاقِبِ)

جُمْلَتِي:

الإِحْباطُ (اسْمٌ) (ج) [ح ب ط]

أحبطَ، يُحبِطُ إحْباطًا، فَهُوَ مُحبِطٌ.

أحبطَ اللهُ العملَ: أبطلَهُ وأضاعَ ثوابَهُ. أحْبَطَ ما في البِئْرِ: ذَهَبَ، وَلَمْ يَبْقَ كَما كَانَ. أحبطَ مساعيهِ: حالَ دونَ نجاحِها.

فسارَ بخطًى على امتدادِ الشَّارعِ الوصيلِ إلى المدرسةِ، وكانَ يشعرُ بالإحباطِ والوحدةِ.)

جُمْلَتِي:

حِدْقَانِ (فِعْلٌ) (ج) [ح د ق]

حَدَقَ إلى/ حَدَقَ بـ / حَدَقَ في، يَحْدِقُ تَحْديقًا، فَهُوَ مُحَدِّقٌ.

حَدَّقُوا بِالْمَريضِ: أَحاطوا بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. حَدَّقَ إليهِ: شَدَّدَ النَّظَرَ.

(بَقِيَ الفِرَقُ والقَنَاةُ والقِنانِ إلى جانِبِ المُعلِّمةِ، وهما **بِحِدْقَانِ** في الأرضِ.)

حُمْلَانِ:

الاسْتِيَاءُ (اسْمٌ) (ج) [س و أ]

اسْتَاءَ مِنْ، يَسْتَاءُ اسْتِيَاءً، فَهُوَ مُسْتَاء.

إِسْتَاءَ مِنْ تَصَرُّفِهِ: كَرِهَهُ. اسْتَاءَ: تَأَلَّمَ واكْتَأَبَ وتَأَثَّرَ وتَضايَقَ.

(**ابتعدَ** عنهما قليلًا وهوَ يشعرُ بشيءٍ مِنَ **الاستياءِ**، ولَمْ يتحدَّثْ مَعَ الاثنينِ بعدَ ذلكَ.)

حُمْلَانِ:

تَصَدَّتْ (فِعْلٌ) (ج) [ص د ي]

- تَصَدَّى لـ، يَتَصَدَّى تَصَدِّيًا، فهو مُتَصَدٍّ.

تصدَّى لفلانٍ: تعرَّضَ لَهُ رافعًا رايَتَهُ إليهِ، أقبلَ عليهِ بوجهٍ مُصمِّمًا لكفاحِهِ، وواجَهَهُ.

تَصَدَّى لِلْمَشَاكِلِ: وَاجَهَهَا بِإِتْقَانِ نَظَرٍ.

(**فتصدَّتْ** حينَهُ بحدَّةٍ للإجابةِ وأوضحتْ: إنَّ إرسالَكَ خاطئٌ؛ لأنَّهُ خارجَ مدينةِ «سنابل فحم».)

حُمْلَانِ:

أَطْرَقَ أَرْضًا (جُمْلَةٌ) (ج) [ط ر ق]

أطرقَ/ أطرقَ إلى/ أطرقَ بـ ، يُطرِقُ إطراقًا، فهوَ مُطرِقٌ.

أطرقَ رأسَهُ/ أطرقَ برأسِهِ: أمالَ رأسَهُ إلى صدرِهِ وسكتَ، أو أرخى عَيْنَيْهِ إلى الأرضِ، وأمسكَ عَنِ الكلامِ.

أَطْرَقَ: سكتَ لحيرةٍ أَوْ خَوْفٍ أَوْ نحوِهما.

(أَجَلْ. رَدَّ ليلى و**أطرقَ أرْضًا**، مَعَ أنَّهُ لَمْ يكنْ يعرفُ أينَ تقعُ الديسمانيةُ.)

حُمْلَانِ:

القَتْوُ (اسْمٌ) (ج) [ق ب و]

القَتْوُ: بيئةٌ تحتَ الأرضِ تنخفضُ حرارتُهُ في الصَّيفِ؛ فَيُحْفَظُ فيهِ الجُبْنُ والزُّبْدُ والفواكِهُ ونحوُها، والجمعُ: أَقْبِيَةٌ وأَقْتَاءٌ.

(ركضَ (موك) خلفَ (الثعالبِ) ونزلَ الدَّرجاتِ الموصلةَ إلى **القَتْوِ**.)

حُمْلَانِ:

لِلْوَهْلَةِ (اسْمٌ) (ج) [و ه ل]

وَهْلَةٌ، وَهْلَةٌ. الجمعُ: وَهَلاتٌ ووَهْلاتٌ.

لأوَّلِ وَهْلَةٍ: أيْ أوَّلِ ما تَراهُ، أوْ أوَّلِ شَيءٍ أوْ لأوَّلِ نظرةٍ. **للوَهْلةِ** الأولى : للمرَّةِ الأولى.

نظرَ ليلى إلى الشَّرْطَةِ بعقوبةٍ، وبدا لَهُ **للوهلةِ** الأولى أنَّها متربِّصةٌ.)

حُمْلَانِ:

لَمْ يُجِزْ جَوابًا جُمْلَةٌ (ج) [ح ر ا]
حَرى الشَّيءُ/ الهدفَ: قَصَدَهُ، اتَّجَهَ إِلَيْهِ. لم يُجِزْ جوابًا: تَجافَلَهُ وَلَمْ يكترثْ لَهُ، و لَمْ يستطعْهُ.
(لَمْ يُجِزْ لَهيل جوابًا، و لَمْ تنتظرِ الشَّرْطَةُ يعقوبَ منهُ أنْ يُجيبَ.)
تَمْرِينٌ:

أَرْهَفَ (فِعْلٌ) (ج) [ر هـ ف]
أرهفَ، يُرهفُ إرهافًا، فَهُوَ مُرهِفٌ.
أَرْهَفَ إِلَيْهِ السَّمْعَ: أَصْغى إِلَيْهِ بانتباهٍ. أرهفَ الرمْحَ جِسَّهُ: أحمقَهُ، ولحلهُ وأرقَّهُ.
(سأَلَ نحوَ البابِ، وارهفَ السَّمْعَ)
تَمْرِينٌ:

الرَّهانُ (اسْمٌ) (ج) [ر هـ ن]
راهنَ، يُراهنُ رهانًا ومُراهنةً، فَهُوَ مُراهِنٌ.
الرِّهانُ: السِّباقُ أو الاتِّفاقُ بينَ شخصينِ عَلى شيءٍ ما. راهنَ فلانٌ فلانًا على كذا: اتَّفقا على أنْ يكونَ للسّابقِ أوْ للفائزِ منهما مالٌ ونحوُهُ يأخذُهُ مِنَ الخاسرِ. هُما كفرسي رِهانٍ:(مَثَلٌ يُضرَبُ للمتساويَيْنِ في الفَضْلِ وَغيرِهِ).
رَهَنَ بالمكانِ: ثَبَتَ، أقامَ بِهِ. الرَّهْنُ: ما وُضِعَ عِنْدَكَ ليَكونَ مَتاعَ ما أُعِدَّ منكَ.
(أَرى هَلْ رَبِحْتُ الرِّهانَ؟)
تَمْرِينٌ:

سالِفُ العصرِ (تَرْكيبٌ) (ج) [س ل ف]
سَلَفَ، يَسْلُفُ سَلْفًا وسُلُوفًا، فَهُوَ سالِفٌ.
سَلَفَ الشَّيءَ: تَقَدَّمَ وَمَضَى، مَضى وَانْقَضى. في سالِفِ الزَّمانِ: في الماضي. سالِفُ الذِّكْرِ: ما ذُكِرَ سابِقًا.
السَّلَفُ: كُلُّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ آبائِكَ وذوي قرابتِكَ في السِّنِّ أَوِ الفَضْلِ.
(كانَ يعيشُ في قديمِ الزَّمانِ وفي سالِفِ العصرِ والأوانِ.)
تَمْرِينٌ:

الشَّاكِلَةُ (اسْمٌ) (ج) [ش ك ل]
الشَّاكِلَةُ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ والعادةُ. الجمعُ: شَوَاكِلُ. فِيهِ شَاكِلٌ مِنْ أَبِيهِ: فِيهِ شَبَهٌ، مُشَابَهَةٌ، مُمَاثَلَةٌ
عَلَى شَاكِلَتِهِ: عَلَى طَبِيعَتِهِ، عَلَى سَجِيَّتِهِ، عَلَى هَيْئَتِهِ. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ الإسراء آية ٨٤
(لَنْ تستطيعَ الاستقامَ إنْ بقيتَ على هذه الشَّاكِلَةِ.)
تَمْرِينٌ:

تَتَضَوَّرُ جوعًا (جُمْلَةٌ) (ج) [ض و ر]
تضوَّرَ، يتضوَّرُ تضوُّرًا، فهوَ مُتضوِّرٌ.
تَضَوَّرَ: تلوَّى وصاحَ مِنْ وَجَعِ الضَّرْبِ أو الجوعِ ونحوِهما. ضارَ الفقيرُ: جاعَ جوعًا شديدًا.
والضَّوَرُ: مَرَضٌ يتميَّزُ بالإحساسِ بالجوعِ المستمرِّ والشَّهيَّةِ لالتهامِ الطَّعامِ.
(سألهمُني والدتُكَ بأنَّني تركتُكَ تتضوَّرُ جوعًا.)
تَمْرِينٌ:

غَيَانٌ (اسم) (ج) [غ ث ي]

غَثِيَ، يَغْثِي غَيَانًا وغَثْيًا، فَهُوَ غَاثٍ.

غَثَتْ نَفْسُهُ: اضْطَرَبَتْ وَحَانَتْ وَفَاتُهَا لِقَيْءٍ أَوْ حَرَكَةِ دَوَرَانٍ: بِاضْطِرَابٍ وَدُوَارٍ وَإِحْسَاسٍ بِالْقَيْءِ. غَثَى الْكَلَامَ يَغْثِيهِ وَيَغْثَاهُ: عَلَّطَهُ. غَثَتِ السَّمَاءُ بِالسَّحَابِ: غَيَّمَتْ. غَثِيَتِ الْأَرْضُ بِالْبَاذِرِ: كَثُرَ فِيهَا.

(افْتَحْ صُدُورَ الْمَاءِ بِأَصَابِعِهَا، وَتَمِيلُ بِتَمِيهَا، بَعْدَ ذَلِكَ أَمْسَكَتْ، وَهِيَ تَغْمِزُ بِالْغَثَيَانِ.)

جُمْلَتِي: .....

كَوْرَلَةَ (ج) [ك ر ل]

كَوْرَلَ يُكَوْرِلُ تَكْوِيرًا، فَهُوَ مُكَوْرِلٌ

كَوْرَلَ الدَّاجَنَ: أَلْقَى بِعِطَّتِهِ عَلَى بَعْضٍ أَوْ جَمَعَهُ وَشَدَّهُ. كَوْرَلَ الشَّيْءَ: لَفَّهُ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِدَارَةِ. كَوْرَلَ اللَّهُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ: أَدْخَلَ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ. تَكْوِيرُ الْكُرَةِ: دَحْرَجَتُهَا

(قَامَتِ السَّيِّدَةُ يَعْقُوبُ بِاقْتِرَاحِ كُلِّ مَا فِي رَاحَةِ يَدِهِ، ثُمَّ مَرْكَلَةً وَكَوْرَلَتْهُ، وَرَمَتْ بِهِ فِي سَلَّةِ الْمُهْمَلَاتِ.)

جُمْلَتِي: .....

مَضْضٌ (اسم) (ج) [م ض ض]

مَضَّ، يَمُضُّ مَضْضًا، وَمَضَاضَةً، وَمَضِيضًا، فَهُوَ مَاضٌّ.

مَضُّ الْمَضْغِ: أَلَمُ مِنْ وَجَعِ اللِّسَانِ. مَضَّ مِنَ الْقَيْءِ: أَلَمَّ وَتَوَجَّعَ. مَضَّ الْجُرْحُ الرِّيضَ: آلَمَهُ، أَوْجَعَهُ. عَلَى مَضَضٍ: عَلَى كُرْهٍ. الْمَضَضُ: الْأَلَمُ. فَعَلَتْ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى مَضَضٍ: أَيْ: كَارِهًا مُتَأَلِّمًا.

(هَبَّتِ السَّيِّدَةُ يَعْقُوبُ لِكُلِّ مَحَايِلِهِ وَهُوَ يَفْتَحُ الثَّغْرَ عَلَى مَضَضٍ.)

جُمْلَتِي: .....

تَفَكَّرْ مَلِيًّا (جُمْلَةٌ) (ج) [م ل ي]

المَلِيُّ: الزَّمَانُ الطَّوِيلُ: مُدَّةٌ أَوْ زَمَانًا وَاسِعًا. اسْتَمْلَيْتُهُ مَلِيًّا: مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَانِ.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ﴿٤٦ مريم﴾ فَارِقْنِي دَهْرًا طَوِيلًا. والمَلِيُّ: الطَّائِفَةُ مِنَ الزَّمَانِ لَا حَدَّ لَهَا.

المَلَاوَةُ وَالْمُلَاوَةُ وَالْمَلَاوَةُ وَالْمَلَا وَالْمَلِيُّ، كُلُّهُ: مُدَّةُ الصَّيْفِ. إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ

الإِمْلَاءُ: الإِمْهَالُ وَالتَّأَخُّرُ وَإِطَالَةُ الْعُمُرِ.

(رَدَّتِ السَّيِّدَةُ يَعْقُوبُ، وَهِيَ تُفَكِّرُ مَلِيًّا.)

جُمْلَتِي: .....

الفصل: لغة على غير توقع

يَسْرِي (فِعْلٌ) (ج) [س ر ي]

سَرَى/ سَرَى عَلَى، يَسْرِي سَرْيًا، سَرَيَانًا، فَهُوَ سَارٍ.

سَرَى اللَّيْلَ: مَضَى وَذَهَبَ. سَرَى بِهِ لَيْلًا: جَعَلَهُ يَسِيرُ لَيْلًا. سَرَى الْهَمُّ: ذَهَبَ، رَاحَ

سَرَى عِرْقٌ أَوْ قَانُونٌ: صَارَ الْفِعْلُ. هَذَا يَسْرِي عَلَى الْمَاضِي: لَهُ مَفْعُولٌ رَجْعِيٌّ.

(وَهَذَا يَسْرِي عَلَى جَمِيعِ الْحَكَايَاتِ.)

جُمْلَتِي: .....

شَرَعَ (فِعْلٌ) (ج) [ش ر ع]

شَرَعَ فِي، يَشْرَعُ شُرُوعًا، فَهُوَ شَارِعٌ.

شَرَعَ فِي الفِعْلِ: أَخَذَ فِيهِ، وَبَدَأَ. شَرَعَ فِي المَاءِ: دَخَلَ فِيهِ، أَوْ شَرِبَ مِنْهُ بِكَفِّهِ.
«وَمَا إِنْ شَرَعَتِ الشُّرْطَةُ تَقُومُ بِالإِعْلَانِ عَنِ الوَظِيفَةِ الشَّاغِرَةِ، حَتَّى امْتَلَأَ لَيْلٌ.

جُمْلَتِي:

اضْطَجَعَ (فِعْلٌ) (ج) [ض ج ع]
اضْطَجَعَ، يَضْطَجِعُ اضْطِجَاعًا، فَهُوَ مُضْطَجِعٌ.
اضْطَجَعَ: اسْتَلْقَى، وَضَعَ جَنْبَهُ عَلَى الأَرْضِ. اضْطَجَعَ النَّعْسُ: مَالَ لِلغُرُوبِ. ضَجَعَ فِي عَمَلِهِ: قَصَّرَ فِيهِ.
«اضْطَجَعَ لَيْلٌ عَلَى جَانِبِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ حَفِيفٍ تَحْتَ غِطَاءِ السَّرِيرِ.»

جُمْلَتِي:

قُصَاصَةٌ (اسْمٌ) (ج) [ق ص ص]
القُصَاصَةُ: مَا قُصَّ مِنَ القِدْحِ وَالعُمُرِ وَالوَرَقِ وَنَحْوِهَا، وَالجَمْعُ: قُصَاصَاتٌ
قُصَاصَاتُ الصُّحُفِ: مَا يُتَقَصَّ مِنْ مَقَالَاتِ الصُّحُفِ لِيُحْتَفَظَ بِهَا فِي الأَرْشِيفِ
«رَفَعَ القِطَّةُ فَوْجَهَا عَلَى أَحَدِ الجَدَّةِ قُصَاصَةَ وَرَقٍ.»

جُمْلَتِي:

الفصل: الحيا المكشف

مُوَاتِيَةٌ/ (اسْمٌ) (ج) [أ ت ي]
مُوَاتٍ/ مُوَاتٍ: مُلَائِمٌ وَمُنَاسِبٌ.
الثِّقَةُ الفُرْصَةُ: وَافَقَتْهُ، مَنَحَتْ لَهُ. وَقْتٌ مُوَاتٍ: وَقْتٌ مُنَاسِبٌ لِحُدُوثِهِ.
(كَانَ يَرَى أَنَّ الفُرْصَةَ مُوَاتِيَةٌ.)

جُمْلَتِي:

إِزَاءَ (اسْمٌ) (ج) [أ ز ي]
مُقَابِلَ وَأَمَامَ، مُحَايِدٍ. يَلِيهِ إِزَاءَ مِنْ: أَمَامَ مِنْ. هَزَّ إِزَاءَ الأَمْرِ: عَبَّرَ بِهِ قَامَ عَلَيْهِ
«إِنَّا إِزَاءَ خَطَرٍ دَاهِمٍ.»

جُمْلَتِي:

أُهْبَةٌ (اسْمٌ) (ج) [أ هـ ب]
اهَبَ، تَهِبُ إِهَابَةً، فَهُوَ مُهِبٌّ.
اهَبَ لِلأَمْرِ: اسْتَعَدَّ لَهُ وَتَأَهَّبَ. اهَبَ الرِّيحَ: أَهَاجَهَا، جَعَلَهَا هَبَّتْ. أُهْبَةُ لِلأَمْرِ أُهْبَتُهُ: اسْتِعْدَادٌ لَهُ، أُهْبَةُ لَهُ عُدَّتُهُ.
عَلَى أُهْبَةِ السَّفَرِ: عَلَى وَشْكِ أَنْ يُسَافِرَ. الجَمْعُ: أُهَبٌ.
«أَمْسَكَ الفُرْسَانُ بِرِمَاحِهِمْ وَهُمْ عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِلقِتَالِ.»

جُمْلَتِي:

أَوَانَ (اسْمٌ) (ج) [أ و ن]
الأَوَانُ: الحِينُ. وَالجَمْعُ: آوِنَةٌ.
هَذَا أَوَانُ الوَرْدِ: فَصْلُهُ. لِكُلِّ شَيْءٍ أَوَانُهُ: وَقْتُهُ. وَصَلَ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ: بَعْدَ فَوَاتِ الزَّمَنِ المُحَدَّدِ.
أَوَانُ اكْتِمَالِهِ: أَيْ حِينَ لَوْ وَقْتَ اكْتِمَالِهِ.

(استجابَ اللهُ لدعائِهِ ورزقَهُ صبيًّا جميلًا شبيهًا بالبدرِ في أوانِ اكتمالِهِ.)

مُعْجَمُنَا:

بازِخًا (اسْمٌ) (ج) [ب ذ خ]

بذَخَ، يَبْذَخُ بَذْخًا، فَهُوَ بازِخٌ.

بذَخَ الرَّجُلُ: تَكَبَّرَ واقتحرَ فعالَ في فخرِهِ. بذَخَ الجبلُ بُذُوخًا: عَلا فإنَّ عُلُوَّهُ. البَذَخُ: الرِّفاهيةُ والتَّرَفُ.

(كانَ القصرُ الشَّرقيُّ بازِخًا.)

مُعْجَمُنَا:

تارَةً (اسْمٌ)...ظرف (ج) [ت و ر]

التَّارَةُ: المرَّةُ والحينُ.

كانَ يلعبُ تارةً ويعملُ تارةً: يلعبُ مرَّةً ويعملُ مرَّةً أخرى. أسيرُ تارةً راكبًا وتارةً ماشيًا: حينًا، مرَّةً.

(تارةً يكونُ مُشاغبًا، وكأنَّهُ في قلبِ سندبادٍ، وتارةً يكونُ جزءًا مِنَ الحكايةِ.)

مُعْجَمُنَا:

تَمْتَمَ (فعَّلَ)(ج) [ت م ت م]

تَمْتَمَ، يُتَمْتِمُ تَمْتَمَةً، فَهُوَ مُتَمْتِمٌ.

تَمْتَمَ المُتَكَلِّمُ: غَمْغَمَ، عَجَلَ بالكلامِ فَلَمْ تُفْهَمْ. تَمْتَمَ الرَّجُلُ: لَكَأَ، أيْ مَنْ لا يُخْرِجُ الحُروفَ مِنْ مَخارِجِها وَلا تُبَيِّنُها. تَمْتَمَ: عَبَّرَ عَنْ عَلَمِ رِطلاه بِتَرْدِيدِ كَلامٍ عَجِيٍّ غَيْرِ واضِحٍ.

– (تَمْتَمَ ليلى وَهُوَ جالِسٌ في سَريرِهِ: الشَّمْسُ، أيْنَ ثُمَّةَ رِمالٌ، لَقَدْ نَحَوْتُ).

مُعْجَمُنَا:

ثَمَّةَ (اسْمٌ) (ج) [ث م م]

اسمُ إشارةٍ للمكانِ البعيدِ بمعنى: هناكَ. مبنيٌّ على الفتحِ، وهوَ ظرفٌ لا يتصرَّفُ، أصلُهُ: ثَمَّ، وزيدتْ عليهِ التَّاءُ ويوقَفُ عليهِ بالهاءِ. ليسَ ثَمَّةَ مِنْ سبيلٍ غيرِ العلمِ والصَّناعةِ. ثَمَّةَ حدودٌ للصَّبرِ.

(ثَمَّةَ شيءٌ غيرُ مفهومٍ يحدثُ ها هُنا.)

مُعْجَمُنَا:

حاشِيَةُ (اسْمٌ) (ج) [ح ش و]

حاشِيَةُ المَلِكِ: أعوانُهُ المقرَّبونَ. الحاشِيَةُ: الأهلُ والخاصَّةُ. الحاشِيةُ مِنَ الإبلِ: صغارُها الَّتي لا كِبارَ فيها.

والحاشِيةُ مِنْ كلِّ شيءٍ: حافَّتُهُ وطرفُهُ. كلامٌ رقيقُ الحواشي: لَيِّنٌ.

(كانَ في حاشِيَةِ المَلِكِ رَجُلٌ حكيمٌ.)

مُعْجَمُنَا:

خاطِفَةً (اسْمٌ) (ج) [خ ط ف]

خَطِفَ، يَخْطِفُ خَطْفًا، فَهُوَ خاطِفٌ.

خاطِفَةً: سريعةً جدًّا. خَطِفَ الأضْواءَ: جلبَ الانتباهَ إليهِ. خطَفَ الشَّمعَ: اشتعلَ.

(كانَ بودٌّ لو تصعدُ الدَّرجَ بسرعةٍ خاطِفَةٍ.)

مُعْجَمُنَا:

الذُّرْوَةُ (اسْمٌ) (ج) [ذ ر و]

الذُّرْوَةُ: أعلى الشَّيء وقمَّتُه. ذُرْوَةُ الأحداث: عنفُوانها. ذُرْوَةُ اللَّيل: قمَّتُه. ذُرْوَةُ الجَمَل: سنامُه.

ذُرْوَةُ الرِّوايَة/ القِصَّة/المسرحيَّة: اللَّحظةُ الحاسمةُ الَّتي تَتَمَثَّلُ فيها الأحداثُ، والجمعُ ذُرُواتٌ وذُرًى وذُرًا.

(في هذه اللَّحظة اكتشفتُ أنَّ الكتابَ بدأ يدنو ليل.. في الواقع من الذُّروة)

خُمَاسِيّ:

رشَفَ رشْفَةً (جُمْلَةٌ) (ج) [ر ش ف]

رشَفَ، يَرْشَفُ ويَرشِفُ، رَشْفًا ورشيفًا، فهُوَ راشِفٌ.

الرَّشْفُ: البَيْعةُ اليسيرةُ مِنَ العَسَلِ يُرْشَفُ بالشَّفَةِ. رشَفَ الإناءَ: استقصاهُ، ولَمْ يترُكْ فيهِ شيئًا.

(وبعدَ أنْ رَشَفَ رَشْفَةً كبيرةً مِنْ عصيرِ اللَّيمون، أسندَ ظهرَهُ إلى الحائط.)

خُمَاسِيّ:

الرِّيبةُ/ ريب ارتيابٌ (اسْمٌ) (ج) [ر ي ب]

رابَ، يَريبُ ريبةً وريبًا، فهوَ رائبٌ.

الرِّيبةُ: الظَّنُّ والشَّكُّ والتُّهْمَةُ. رَيْبُ الدَّهْرِ: صُروفُهُ ونوائبُهُ.عَمَلٌ مُرِيبٌ: مُثيرٌ للرِّيبةِ، مَشْكوكٌ فيهِ.

ارتابَ بـ... / ارتابَ في/ ارتابَ من، يرتابُ ارتيابًا، فهوَ مُرتابٌ. إرْتابَ: شَكَّ.

- (الأطفالُ الَّذينَ يلعبونَ إلى السِّرِّيَّةِ طواعيةً، دونَ إبداءِ اعتراضٍ، تُطوى الرِّيبةُ)

- (سألَ ليلى وهوَ يشعرُ بشيءٍ منَ الارتيابِ.)

خُمَاسِيّ:

يَظْفَرُ بِفِعْلٍ (ج) [ظ ف ر]

- ظفِرَ/ ظفِرَ بـ... / ظفِرَ على، يظفَرُ ظَفَرًا، فهُوَ ظافِرٌ وظَفِرٌ.

ظفِرَ الشَّيءَ / ظفِرَ بالشَّيء: فازَ بِهِ ونالَهُ، حَصَلَ عليهِ.

(كانَ الليلُ يطاردُهُ، وهوَ يفكِّرُ كيفَ يمكنُهُ أنْ يظفرَ بالكتابِ مِنْ جديدٍ.)

خُمَاسِيّ:

المَقصورةُ (اسْمٌ) (ج) [ق ص ر]

- المَقصورةُ: غرفةٌ عاليَّةٌ مسدولةٌ عنْ باقي غُرَفِ الدَّارِ وأعلى منْها. والمَقْصورةُ : مَقامُ الإمامِ. والمَقْصورةُ مِنَ الدَّارِ: حجرةٌ عاليَّةٌ مفصولةٌ عنِ الحُجَرِ المجاورةِ فوقَ الطَّبقةِ الأرضيَّةِ. والجمعُ: مَقْصوراتٌ ومقاصيرُ ومقاصيرُ.

(شعرَ المالكُ بالحيرةِ، وأمرَ بإدخالِ وليدٍ إلى المقصورةِ العاليةِ.)

خُمَاسِيّ:

يتكبَّدا (فِعْلٌ) (ج) [ك ب د]

تكبَّدَ يتكبَّدُ تكبُّدًا، فهُوَ مُتكبِّدٌ.

تكبَّدَ غِناءَ السَّفَرِ: تحمَّلَ مَشَقَّتَهُ. تكبَّدتِ الشَّمسُ السَّماءَ: صارَتْ في تَيهاءِ، أي في وَسَطِها.

(يستطيعُ والدانِ أنْ يمرضا... إذا ما كانَ الثَّورُ في غرفتِهِ مضاءً أو غيرَ مضاءٍ دونَ أنْ يتكبَّدا مشقَّةَ صعودِ الدَّرَجِ.)

خُمَاسِيّ:

يكرّسُ (فعلٌ) (ج) [ك ر س]
كرّسَ، يكرّسُ تكريسًا، فهوَ مُكرّسٌ.
كرّسَ البناءَ: أسّسَهُ. كرّسَ لهُ وقتًا كافيًا: خصّصَ لهُ وقتًا. كرّسَ خبرتَهُ لِخدمةِ بلادِهِ: أوقفَها لها.
(مدةُ ذلكَ الوقتِ صارَ لهُ يعشقُ السوّاقُ، ويكرّسُ نفسَهُ لهُ).

مُعْلَقٌ:

كوكبةٌ (اسمٌ) (ج) [ك و ك ب]
الكوكبةُ النجمُ، أو الزهرةُ بينَ النجومِ. والجماعةُ منَ الناسِ. كوكبةُ النجومِ: مَجْموعةٌ منَ النجومِ تُمثّلُ بِصورةٍ مُعيّنةٍ، وتُعرفُ بها كالنسرِ الطائرِ والنسرِ الواقعِ، وهيَ أجملُ صُوَرِ السماءِ وأشهرُها.
(أحضرَ اللهُ كوكبةً منْ أحسنِ فرسانِ العربِ)

مُعْلَقٌ:

النقيضُ (اسمٌ) (ج) [ن ق ض]
نقضَ، ينقُضُ نقضًا، فهوَ ناقضٌ.
النقيضُ: المُخالفُ والمعارضُ. على النقيضِ منْ هذا: بخلافِهِ، على عكسِهِ. هما على طرَفَي نقيضٍ: مختلفانِ، متناقضانِ، لا يجتمعانِ على وجهٍ واحدٍ. نقضَ الأمرَ ونحوَهُ: أفسدَهُ بعدَ إحكامِهِ.
(كانتْ السيّدةُ يعقوبُ، على النقيضِ منْ ليل.)

مُعْلَقٌ:

التهجُّمُ (اسمٌ) (ج) [ه ج م]
هجَمَ، يهجمُ هجْمًا، فهوَ مُتهجّمٌ.
تهجّمَ عليهِ: اعتدى، هجمَ عليهِ، أهانَهُ. تهجّمَ الرجلُ: تكلّفَ الهجومَ.
(صوتٌ عاليةٌ بالتهجُّمِ.)

مُعْلَقٌ:

الفصل: شيء من الحلم والخالين

يزعمون (فعلٌ) (ج) [ز ع م]
– زعَمَ بـ يزعُمُ، زَعْمًا وزَعامةً، فهو زعيم
زَعَمَ اللبنَ: أنجدَ يَطيبُ، زَعَمَ زَعْمًا: ظنّ، زَعَمَ: اعتقدَ، زَعَمَ: قالَ، زَعَمَ: وَعَدَ
زَعَمَ على القومِ: تأمّرَ، فهو زعيمٌ
زَعَمَ به زَعَمَ زَعْمًا، وزَعامةً: كَفَلَ به ، فهو زعيم به : أي كفيلٌ
(هناكَ مَنْ يزعُمونَ جدّيًا، أنهم لا يحلمونَ أبدًا .)

مُعْلَقٌ:

سِرْبٌ (اسمٌ) (ج) [س ر ب]
– السِّربُ: الماشيةُ كلُّها
– السِّربُ: الطريقُ والوِجْهَةُ
– السِّربُ : الصَّدرُ والجمعُ : سُروبٌ

(عندما يذكّرُ لمثل بوضوح سِرًّا مِنَ الفِتاةِ الخُضرِ الصّغيرةِ، يعي في الحالِ أنّ هذه الذّكرياتِ تعودُ إلى ذلكَ النّوعِ مِنَ الأحلامِ المحمولةِ.)

مُحَلَّلَ:

يكُفُّونَ (فعْلٌ) (ج) [ك ف ف]

كَفَّ / كَفَّ عن كَفَفْتُ، يَكُفُّ، كَفًّا ، فهو كافٌّ ،

والجمع: مكافيف وهو كفيف أيضًا والجمع: أَكِفَّاءُ

كَفَّ بَصَرُهُ: ذهب، عَمِيَ

كَفَّهُ عَنْ أَشْغَالِهِ: صَرَفَهُ عَنْهَا، مَنَعَهُ

كَفَّ عَنْ كَلامٍ بِلاَ فَالِيَتِهِ: تَوَقَّفَ لَمْ يَكُفَّ عَنِ الْمُنَاقِمِ طَوَالَ الوَقْتِ

كَفَّ عَنْ عَادَةٍ سَيِّئَةٍ: تَرَكَهَا

كَفَّ الثوبَ: حاطه الخياطة الثانية بعد الغَزْل

(يستطيعُ بعضُ النّاسِ الّذين لا **يكُفُّونَ** عَنِ الحلمِ، ويتعاملونَ مَعَ أحلامِهم بحذَرٍ أنْ يسيطروا على تلكَ الأحلامِ).

مُحَلَّلَ:

الفصل: الحلم الأول

مُحاذاةً (اسْمٌ) (ج) [ح ذ و]

حاذى، يُحاذي مُحاذاةً وحِذاءً، فَهُوَ مُحاذٍ.

مُحاذاةً: تسويةُ الأشياءِ بحيثُ تكونُ على صفٍّ واحدٍ. بِمُحاذاةِ النّهرِ: بِإزائِهِ، بِمُقابِلِهِ. حاذَاهُ: وازاهُ، وصارَ مُقابِلاً أو موازيًا لَهُ.

(العرشُ الّذي اعتادَ الملكُ أنْ يجلسَ فوقَهُ، فكانَ إلى **فحاذاةِ** سَحّادةِ استقالةِ الجمالِ.)

مُحَلَّلَ:

الجمالُ (اسْمٌ) (ج) [خ م ر]

خَمَرَ، يَخمُر خَمْرًا، فَهُوَ خامِرٌ.

الخِمارُ: الغطاءُ وما يُستَرُ بِهِ. الخَمَرُ: ما وارى الشّيءَ مِنْ شَجَرٍ أوْ بناءٍ أو جَبَلٍ أو نحوِهِ.

خَمَّرَتِ المرأةُ رأسَها: غطّتْهُ وستَرَتْهُ بالخِمارِ. خمِرَ عنهُ: توارَى واختفَى.

(امرأةٌ تضعُ **الجمالَ** على وجهِها.)

مُحَلَّلَ:

مُنْدَاعٍ (اسْمٌ) (ج) [د ع ي]

نَدَاعَى، يَتَدَاعَى، تَدَاعِيًا، فَهُوَ مُتَدَاعٍ

تداعى البناءُ/ السّورُ/ الجدارُ: تَصَدَّعَ وآذَنَ بالانهيارِ والسّقوطِ. تداعى القومُ: دعا بعضُهم بعضًا.

تداعتِ الأفكارُ: تواردَتْ، وتوارَدَتْ، واستَدْعى بعضُها بعضًا.

(قبعَ الفرَسُ والأسْرى وراءَ سورٍ طينيٍّ **مُتداعٍ**.)

مُحَلَّلَ:

مُزَرْكَشَةٌ (اسْمٌ) (ج) [ز ر ك ش]
زَرْكَشَ، يزَرْكِشُ زركَشَةً، فَهُوَ مُزَرْكِشٌ.
زركشَ الخيّاطُ الثوبَ: نسجهُ بخيوطٍ مِنَ الذّهبِ أو الفضّة أو نحوهما.
زركشَ البنّاءُ قاعةَ الحفلِ: زيّنها. ثَوْبٌ مُزَرْكَشٌ: مطرّزٌ وَمُلَوّنٌ بِعِدّةِ أَلْوانٍ.
(السّقفُ المُقَبّبُ للقصرِ، فوقَ أعمدةٍ بيضٍ، مزركشةٍ بميناتٍ ذهبيّةٍ)

تُمْلَأُ:

زِمامٌ فرمليٌّ/ زمٌّ (تَرْكيبٌ) (ج) [ز م م]
زَمَّ، يَزُمُّ زَمْمًا وزُمومًا، فَهُوَ زامٌّ.
الزِّمامُ ما أُقادَ بِهِ الدّابّةُ مِنْ حبلٍ ونحوِهِ. والجمعُ: أَزِمّةٌ. زَمَّ الشَّيءَ: شدَّهُ. زِمامُ السَّيّارَةِ: مِقْوَدُها. زَمَّ زِمامَ جِمارِهِ: رَبَطَهُ. تولّى زِمامَ الحُكْمِ: تولّى السُّلْطَةَ. أفلتَ الزِّمامُ مِنْ يدِهِ: فقدَ السّيطرةَ على الأمرِ.
(تولّى القائدُ بنفسِهِ حراسةَ ليلٍ، فأيقظَ على مقربةٍ منهُ، وأمسكَ بزمامِ فرسِهِ.)

تُمْلَأُ:

أَزاحَتْ (فِعْلٌ) (ج) [ز ي ح]
أزاحَ، يُزيحُ إزاحةً، فهوَ مُزيحٌ.
أزاحَ الشَّيْءَ: أبعدَهُ عنْ موضِعِهِ. زاحَ مَرَضُهُ: زالَ، شُفِيَ. زاحَ الماشِيَةَ: فرّقَها. زاحَ البطاةَ: وَقَفَهُ، نَزَعَهُ.
– (أزاحَتِ السَّيّدَةُ بعقوبَ السّتارَةَ).

تُمْلَأُ:

السَّرْجُ (اسْمٌ) (ج) [س ر ج]
السَّرْجُ: رَحْلُ الفَرَسِ. والجمعُ سُروجٌ.
السَّرْجُ هوَ جسمٌ داعمٌ للرّاكبِ أوْ أيِّ حمولةٍ أخرى، تُثبّتُ على ظهرِ الحيوانِ بروابطَ خاصّةٍ.
(وكانَ على الفلاحِ أنْ يركبوا الخيولَ الثلاثةَ، وأنْ تُربطَ أمامَهم بعُقْدَةِ السَّرْجِ)

تُمْلَأُ:

صُرّةٌ (اسْمٌ) (ج) [ص ر ر]
الصُّرّةُ: ما يُجمَعُ فيهِ الشّيءُ ويُشدُّ. صُرّةُ أمتعةٍ: حاجيّاتُ الشّخصِ المنقولُ.
أَخْرَجَتْ أُنوثًا مِنْ صُرّتِها: جرّةً تُجمَعُ فيها النُّقودُ وَغَيْرُهَا وَتُشَدُّ. والجمعُ: صُرّاتٌ وصُرَرٌ.
(مدّتِ المرأةُ يدَها إلى داخلِ السّرجِ، وأخرجتْ صُرّةً جلديّةً، ورمتها نحوَ الفتاةِ.)

تُمْلَأُ:

رقّتْ بِصَرامَةٍ جِدًّا (ج) [ص ر م]
صرُمَ، يَصرُمُ صَرَامَةً وصُرُومةً، فهوَ صارِمٌ، وصَرُومٌ.
صَرُمَ الرَّجُلُ: كانَ صَلْبًا قويًّا، حازمًا في أمرِهِ، شديدًا، عزمَ على فِعْلِ ما. صَرُمَ السَّيْفُ: كانَ حادًّا قاطِعًا. عَامَلَهُ بِصَرَامَةٍ: بِقَسْوَةٍ، وبِشِدّةٍ.
(دعْ عنكَ هذا الولدَ الكاذبَ، فأنا راغبةٌ في التّحدُّثِ معَكَ على انفرادٍ. رقّتِ المرأةُ بصرامةٍ.)

تُمْلَأُ:

صَقيلٌ (اسْمٌ) (ج) [ص ق ل]
صقِلَ، يَصقَلُ صَقَلًا، فَهُوَ صَقيلٌ.

صَقِلَ الإناءُ: كانَ أَمْلَسَ مَصْقولًا. صَقِلَ الفَرَسُ: ضَمُرَ. صَقِلَ كَلامَهُ: هَذَّبَهُ، زَيَّنَهُ.
(يدفعُ ملؤها الصّانِ مِنْ حوضٍ رُخامِيٍّ صقيلٍ.)

حُمّلَتْ:

عَيِّنات (اسم) (ج) [ع ي ن]
العَيِّنَة: جُزْءٌ مِنَ المادّةِ يؤخَذُ مِنْها نموذَجٌ يَدُلُّها في خَصائِصِها وصِفاتِها.
(مُرَوِّجَةً بِعَيِّناتٍ ذَهَبِيَّةٍ)

حُمّلَتْ:

قَفَّى (فعّلَ) (ج) [ف ش ي]
- اقْفى، يَقْفي إقْفاءً، فَهُوَ مُقْفٍ.
اقْفى لَهُ سِرًّا مِنْ أَسْرارِهِ: باحَ بِهِ، كَشَفَ غِطاءَهُ. قَفَّى المَرَضُ بَيْنَ النّاسِ: انْتَشَرَ فيهِمْ وَعَمَّهُمْ.
(حَذارِ أَنْ تُقفِيَ هذا السِّرَّ لأحدٍ.)

حُمّلَتْ:

تَلَثَّموا (فعّلَ) (ج) [ل ث م]
تلثّمَ، يتلثّمُ تلثُّمًا، فَهُوَ مُتلثِّمٌ.
تلثّمَ الشَّخْصُ بالثَّوبِ: تغطّى بِهِ. تَلَثَّمَ فلانٌ: جعلَ الثَّوبَ. التِّلثامُ ما يُكَمَّلُ بِهِ الجلسةُ كلُّهُ، كجلسةِ كانَ أَمْ غيرِهِ.
(كانوا قَدْ أحكَموا الأغطيَةَ فوقَ رؤوسِهِمْ، وتلثَّموا عمائِمَهُمُ الصّوفيّةَ.)

حُمّلَتْ:

تَفَثُ (فعَلٌ) (ج) [ت ف ث]
تَفِثَ، يَتْفَثُ ويَتْفِثُ تَفَثًا وتَفَثانًا، فَهُوَ تافِثٌ.
تَفَثَ مِنْ فَمِهِ: رَمى بِهِ. تَفَثَ اللهُ الصَّبْرَ: أَلْقاهُ. تَفَثَ غَيْظَهُ: تَفَجَّعَ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ.
(رأتْ حالُهُ أنّ الفرصةَ مواتيةٌ كي تَتَفَثَّ أحقادَها.)

حُمّلَتْ:

الهُراءُ (اسْمٌ)(ج) [ه ر أ]
هرأَ هرْأً في، يهرأُ هَرْءًا وهَرَاءَةً، وهراءً، فهوَ هارِئٌ.
الهُراءُ: الهَذَيانُ، كلامٌ كثيرٌ فاسِدٌ، وكلماتٌ أو عباراتٌ دونَ معنى لها. وغَيْرُ صالِحٍ لِلمَنْطِقِ.
رَجُلٌ هُراءٌ: كَثيرُ الكَلامِ بِلا مَعْنى.
(هلْ تريدينَ أنْ تلوّثي سُمعةَ ولدي؟ توقّفي عنْ هذا الهُراءِ!)

حُمّلَتْ:

هَزيمُ الرَّعْدِ (تَرْكيبٌ) (ج) [ه ز م]
هزَمَ، يهزِمُ هزيمةً وهَزْمًا، وهزيمًا، فهوَ هازِمٌ.
هَزَمَ الرَّعْدُ: أَزَّ، صَوَّتَ بِقُوَّةٍ. الهَزيمُ: صَوْتُ الرَّعْدِ. الهَزيمُ: صَوْتُ حَرْيِ الفَرَسِ. الهَزيمُ مِنَ الخَيْلِ: شَديدُ الصَّوْتِ. الهَزيمُ مِنَ الأَعداءِ: المَهْزومُ. هزَمَ خَصمَهُ: كَسَرَ شوكَتَهُ وانتصرَ عليهِ، فَهَزيمُهُ، خائِبٌ.
(أما أنكِ لَمِنْ هَزيمِ الرَّعْدِ لَيْلًا، هَلْ ضيعتِهِمْ)

حُمّلَتْ:

أَرْدَفَتْ (فعْلٌ) (ج) [ر د ف]

أردفَ، يُردِفُ، إردافًا، فهوَ مُردِفٌ.

أَرْدَفَ: توالَى وتتابَعَ. أَرْدَفَ فلانًا: جاءَ بعدَهُ. رَدِفَ الرَّجُلَ: ركِبَ خلفَهُ. رَدِفَ المسافَةَ: تبِعَهُ

(لكنَّكَ لا تكتفي بالأمنِ وحدَهُ؟ سألَتْهُ، ثُمَّ **أَرْدَفَتْ** قائلةً: إنَّ الفنَ في مثلِ سِنِّكَ يحتاجُ إلى طعامٍ مُغذٍّ.)

مُعْجَمِيّ:

أَبُوحُ (فعْلٌ) (ج) [ب و ح]

باحَ/ باحَ بـ، يَبُوحُ بَوْحًا، فَهُوَ بائِحٌ.

باحَ بَوْحًا: ظَهَرَ. باحَ فُلانٌ بالسِّرِّ: أظْهَرَهُ

- (**سأبوحُ** لكَ بسرٍّ، إنَّكَ إنْ فعلْتَ هذا سأتصلُ بوالديكَ هاتفيًّا، وأحكي لهُمْ).

مُعْجَمِيّ:

ثَمَّةَ (اسْمٌ) (ج) [ث م م]

اسمُ إشارةٍ للمكانِ البعيدِ بمعنى: هناكَ. مبنيٌّ على الفتحِ، وهوَ ظرفٌ لا يتصرَّفُ، أصلُهُ: ثَمَّ، وزيدتْ عليهِ التاءُ، ويوقَفُ عليهِ بالهاءِ. ليسَ ثَمَّةَ مِنْ سبيلٍ غيرِ العلمِ والصَّناعةِ. ثَمَّةَ حدودٌ للصَّبرِ.

(عندَما تذكُرُهُ، كانَ خطأُ الطَّبيبِ قدْ غُرِّقَ. لكنَّ ثَمَّةَ نقطةً ما تراقُ فوقَ ثيابِكَ تستطيعُ أنْ تُقصِّها.)

مُعْجَمِيّ:

مُتَلَعْثِمًا (اسْمٌ) (ج) [ذ م ر]

تلعثَمَ/ تلعثَمَ على/ تلعثَمَ مِنْ، يتلعثَمُ تلعثُمًا، فَهُوَ مُتلعثِمٌ.

تَلَعْثَمَ: خطِئَ، وعثَرَ عَنِ استيفائِهِ وسَخَطِهِ وعدمِ رضاهُ. تَلَعْثَمَ مِنْ مُسْتَوَاهُ: لامَ نَفْسَهُ لَوْمًا شَدِيدًا.

(أنا أُحبُّ تناوُلَ الغَداءِ في الصَّباحِ. لكنَّهُ صارَ يحسبُ وهوَ **يتلعثَمُ**: إذا استمرَّ الأمرُ على هذهِ الشَّاكِلةِ، فإنِّي أحتاجُ إلى أسبوعٍ كي أتمكَّنَ مِنْ جَمْعِ النَّفائِسِ النَّادِرةِ.)

مُعْجَمِيّ:

يَتَنامى (فعْلٌ) (ج) [ن م ى]

تنامى إلى يتنامى، تَنامَ، تنامِيًا، فهو مُتنامٍ

تَنامَى الزَّرْعُ: كَثُرَ، زَادَ

تنامى الخبرُ إليه: بلغه، تناهى إليه

(عددُ المسافرينَ عبرَ القناةِ **يتنامى** بقوَّةٍ.)

مُعْجَمِيّ:

تَجْلِبُ (فعْلٌ) (ج) [ج ل ب]

جلَبَ، يَجلِبُ ويَجلِبِ جَلْبًا، فَهُوَ جالِبٌ.

جَلَبَ التَّضائِعَ مِنَ الخارجِ: إسْتَوْرَدَها. جَلَبَ الخَيْرَ: كَسَبَ الخَيْرَ. جلَبَ لهُ الشَّيءَ: سبَّبَهُ لَهُ.

– (هَلْ لاحَظْتَ أَنَّكَ تَجْلِبُ المَصَائِبَ كُلَّمَا تَحَدَّثْتَ..)

مُضَافٌ: .....

الذُّهُولُ (اسْمٌ) (ج) [ذ ه ل]

ذَهِلَ/ ذَهِلَ عَنْ، يَذْهَلُ ذُهُولاً وذَهْلاً، فَهُوَ ذَاهِلٌ.

ذَهِلَ الشَّيْءُ/ ذَهِلَ عَنِ الشَّيْءِ: نَسِيَهُ، وقِيلَ عِنْهُ بِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ أَوِ الكَرْبِ.

(وَكَانَ لِكُلِّ مُصَابٍ) بِالذُّهُولِ بَعْضَ الشَّيْءِ ؟

مُضَافٌ: .....

تَسَلَّلَ (فِعْلٌ) (ج) [س ل ل]

تَسَلَّلَ، يَتَسَلَّلُ تَسَلُّلاً، فَهُوَ مُتَسَلِّلٌ.

تَسَلَّلَ مِنْ تَحْتِهِ فِي هُدُوءٍ: خَرَجَ مِنْهُ فِي اسْتِخْفَاءٍ. تَسَلَّلَ إِلَى الكَهْفِ: إِنْسَلَّ إِلَيْهِ خُفْيَةً.

(كَلاَّ يَصِلُ مُتَأَخِّرًا إِلَى المَدْرَسَةِ، فَقَدْ تَسَلَّلَ مِنْ أَمَامِ مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ، وَدَخَلَ الصَّفَّ.)

مُضَافٌ: .....

تَهَلَّى (فِعْلٌ) (ج) [ه ذ ي]

هَذَى/ هَذَى بِـ ، يَهْذِي هَذْيًا وهَذَيَانًا، فَهُوَ هَاذٍ، وهَذَّاءٌ.

هَذَى الشَّخْصُ: تَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ غَيْرِ مَعْقُولٍ لِمَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ.

هَذَى بِكَذَا: ذَكَرَهُ فِي هَذَيَانِهِ، أَيْ فِي أَثْنَاءِ مَرَضِهِ، وَاضْطِرَابِهِ.

– (إِنَّكَ تَهْذِي، قَالَتْ خَيَانَةُ صَاحِبَتِهَا، ثُمَّ أَضَافَتْ هَذَا أَمْرٌ لَيْسَ فِي وُسْعِكَ أَنْ تَعْرِفَهُ).

مُضَافٌ: .....

الفصل: زيارة للسيدة بشكي

أَحَلَّهُ إِلَى النَّوْمِ جُمْلَةً (ج) [خ ل د]

– أَخْلَدَ/ أَخْلَدَ إِلَى/ أَخْلَدَ فِي، يُخْلِدُ إِخْلاَدًا، فَهُوَ مُخْلِدٌ.

– أَخْلَدَ إِلَى الرَّاحَةِ وَالهُدُوءِ وَالنَّوْمِ: مَالَ، رَكَنَ. أَخْلَدَ فُلاَنٌ: أَسَنَّ، وَلَمْ يَخِبْ، لَمْ يَصِحَّ عَجُوزًا. أَخْلَدَ بِالمَكَانِ: لَزِمَهُ مُسْتَقِرًّا فِيهِ، أَقَامَ بِهِ. أَخْلَدَتِ الكَرِيحُ: جَفَّتْ عَنِ الدَّمِ. أَخْلَدَ الشَّيْءَ: أَبْقَاهُ وَأَدَامَهُ.

(عَلَيَّ أَنْ أَخْلُدَ إِلَى النَّوْمِ فِي الحَالِ، وَإِلاَّ تَعَذَّرَ عَلَيَّ القِيَامُ بِالحِكَايَةِ إِلَى نِهَايَتِهَا.)

مُضَافٌ: .....

بِرَحَايَةِ صَدْرٍ (تَرْكِيبٌ) (ج) [ر ح ب]

رَحُبَ/ رَحُبَ بِـ ، يَرْحُبُ رَحْبًا ورَحَابَةً، فَهُوَ رَحِبٌ ورَحْبٌ.

اِتَّسَعَ إِلَيْهِ بِصَدْرٍ رَحِبٍ: بِصَبْرٍ وَأَنَاةٍ. رَحُبَ المَكَانُ: اِتَّسَعَ. هُوَ رَحْبُ الصَّدْرِ: واسِعُهُ، طَوِيلُ الأَنَاةِ. وَرَحْبُ الذِّرَاعِ: واسِعُ القُوَّةِ، كَرِيمٌ. وَرَحْبُ الفَهْمِ: مُتَّسِعُ العَقْلِ. اِسْتَقَرُّوا فِي مَكَانٍ رَحْبٍ: مُتَّسِعٍ.

(رَدَّتِ السَّيِّدَةُ بِعُيُوبٍ بِرَحَايَةِ صَدْرٍ عَلَى أَهْلِ).

مُضَافٌ: .....

أَشْدَلَ (فعْلَلَ) (ج) [س د ل]

أَشْدَلَ، يُشْدِلُ إِشْدالًا، فَهُوَ مُشْدِلٌ.

أَشْدَلَ السِّتْرَ: سَدَلَهُ أَرْخاهُ وَأَرْسَلَهُ. أَشْدَلَ السِّدالَ على المَسْرَحِيَّةِ: اللهث. أَشْدَلَ اللَّيْلُ شمولَهُ: أَظْلَمَ.

أَشْدَلَ على الأَمْرِ سِدالًا: أَهْمَلَهُ وَقاساهُ. أَشْدَلَ سِدالًا على الخَبَرِ: أَحْفاهُ، أَحاطَهُ بِالكِتْمانِ.

– (أَسْتَطِيعُ أَنْ أُشْدِلَ السِّتارَ في الغُرْفَةِ).

مُعْجَمُ:

غَدَوْتُ (فعَلْتُ) (ج) [غ د و]

غَدا /غَدا إِلى / غَدا على / يَغْدو غَدْوًا وغُدُوَّةً وغُدُوًّا فَهُوَ غادٍ.

غَدا عَلَيْهِ: بَكَّرَ. غَدا إِلى كَذا: أَصْبَحَ إِلَيْهِ. غَدا يُجيدُ عَمَلَهُ: شَرَعَ فِيهِ فِي الغُدْوَةِ.

– (اخْتَلَطَتِ الأُمورُ عَلَيَّ، وَغَدَوْتُ في حيرةٍ في أَمْري).

مُعْجَمُ:

بَقَدَ (فعَلَ) (ج) [ب ق د]

– بَقِدَ، يَبْقَدُ بَقَدًا وبَقَدَهُ فَهُوَ بَاقِدٌ.

– بَقِدَ الشَّيْءُ: فَنِيَ وذَهَبَ بأكمله، لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شيءٌ. بَاقِدٌ مِنَ الصُّوفِ: غيرُ مُوفَّرٍ.

(وكانَ لِمَيْلٍ يَقِفُ إِلى جانِبِها، ومعهُ فوطةُ التَّنظيفِ، وقدْ أَعادَ صورةً بَقَدَ).

مُعْجَمُ:

الزَّرَقُ (اسْمٌ) (ج) [ز ر ق]

ــ الزَّرَقُ: حَيَوانٌ مِنْ فَصيلَةِ القِطِّ، وَزُرْقَةُ الوَاجِبِ مِنَ الثَّدْيَاتِ، وَهُوَ بَيْنَ القِطِّ والنَّمِرِ؛ رَأْسُهُ كَبيرٌ، وَعَلى طَرَفَيْ كُلٍّ مِنْ أُذُنَيْهِ خُصلَةٌ مِنَ الشَّعْرِ، وَذَيْلُهُ قَصيرٌ، يَقْطُنُ الغاباتِ، كَما يوجَدُ في الصَّحارى، وَالمَناطِقِ الزِّراعِيَّةِ.

(قالَتِ السَّيِّدَةُ تَحْكي مُداعِبَةً: أَنْتَ كالزَّرَقِ في القَفَصِ.)

مُعْجَمُ:

الفصل: الحلم الثاني

بَنَّ (فعَلَّ) (ج) [ا ن ن]

أَنَّ، يَئِنُّ أَنًّا وأَنينًا، فَهُوَ أَنٌّ.

أَنَّ المَريضُ: أَلَمَّ أَلَمًا بِصَوْتٍ عَميقٍ وَشَكْوى مُتواصِلَةٍ.

(صارَ الكَلْبُ يَئِنُّ، وَتَرَكَ مَحالًّا لِلقَلَقِ تَرْبُتُ على كَتِفِهِ.)

مُعْجَمُ:

مَحْفوفَةٌ (اسْمٌ) (ج) [ح ف ف]

حَفَّ /حَفَّ بـ يَحُفُّ حَفًّا وحِفافًا فَهُوَ حافٌّ.

حَفَّ مِنْ حَوْلِ الشَّيْءِ: أَحاطَ بِهِ. حَفَّ النَّاسُ بِالوَلَدِ: تَحَلَّقُوا حَوْلَهُ، أَحاطُوا بِهِ. تَحُفُّ بِهِ العيونُ: كانَ موضِعَ إِعجابٍ واهتمامٍ. حَفَّ المُمْتَحَنَ: اعْتَنى بِهِ، وَمَدَحَهُ.

(وَلَكِنَّهُ يُدْرِكُ أَنَّ العَوْدَةَ مَحْفوفَةٌ بِالمَخاطِرِ.)

مُعْجَمُ:

بَرَتْ (فعلٌ) (ج) [ر ب ت]

رَبْتَ/ ربْتَ عَلى، يَرْبِتُ، رَبْتًا، فَهُوَ مُرَبِّتٌ.

رَبْتَ عَلى كَتِفِهِ: ضَرَبَهُ عَلَيْهِ ضَرْبًا خَفِيفًا؛ إِيذَانًا. رَبْتَ الصَّبِيَّ: ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى جَنْبِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا؛ لِيَنَامَ.

(صارَ الكَلْبُ يَهُشُّ، وَتَرَكَ مَجالًا لِلَّقِيطِ يُرَبِّتُ عَلى كَتِفِهِ.)

جُمْلَتِي: .....

زَوْبَعَةٌ (اسْمٌ) (ج) [ز ب ع]

الجَمْعُ: زَوْبَعاتٌ وزَوابِعُ

الزَّوبَعَةُ: إِعْصارٌ/ رِيحٌ تُثِيرُ الغُبارَ، وَالحَرَّةُ في الأَرضِ، ثُمَّ تَرْفَعُهُ إِلى السَّماءِ.

زَوْبَعَةٌ في فِنْجانٍ: هَيَجانٌ طَفِيفُ الأَثَرِ، ثَوَرانٌ لا يَدُومُ طَوِيلًا.

(شاهَدَ لَيْلَ زَوْبَعَةً تُرابِيَّةً سَوْداءَ.)

جُمْلَتِي: .....

صَهْوَةُ الجَوادِ (تَرْكِيبٌ) (ج) [ص ه و]

الصَّهْوَةُ: مَوْضِعُ السَّرْجِ مِنْ ظَهْرِ الفَرَسِ. الصَّهْوَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلاهُ. والتَّرْجُ تَتَمَّةُ فَوقَ الرَّابِيَةِ. الصَّهْوَةُ: مَنْبَعُ الماءِ في الجَبَلِ. الجَمْعُ: صَهَواتٌ، وصُهُواتٌ، وصِهاءٌ.

(أَمْسَكَ أَسْلَمُ بِصَدِيقِهِ، وَجَعَلَهُ يَمْتَطِي صَهْوَةَ الجَوادِ.)

جُمْلَتِي: .....

طَوَّحَ (فعلٌ) (ج) [ط و ح]

طَوَّحَ بِـ ، يُطَوِّحُ تَطْوِيحًا، فهوَ مُطَوِّحٌ.

طَوَّحَ بِهِ بَعِيدًا: أَلْقَاهُ بَعِيدًا. طَوَّحَ فُلانًا: تَوْهَهُ وَذَهَبَ بِهِ هنا وَهُناكَ وَتَهَهُ في أَرْضٍ لا يَرْجِعُ مِنْها.

(لَقَدْ طَوَّحَ الحِصانُ بِي أَرْضًا.)

جُمْلَتِي: .....

اِمْتَطَتْ (فعلٌ) (ج) [م ط ي]

اِمْتَطى يَمْتَطِي اِمْتِطاءً، فَهُوَ مُمْتَطٍ.

اِمْتَطى الدَّابَّةَ وَغَيْرَها: جَعَلَها مَطِيَّتَهُ، وَرَكِبَها، اِسْتَقَلَّها، عَلاها.

(ثُمَّ اِمْتَطَتْ حَمِيدَةُ حَوادَها، وَانْطَلَقَتْ.)

جُمْلَتِي: .....

الفصل: الأربعاء (موك)

ثنايا (اسْمٌ) (ج) [ث ن ي]

ثَنى، يَثْنِي ثَنْيًا، فَهُوَ ثانٍ.

ثَنايا الشَّيْءِ: داخِلُهُ، طَيَّاتُهُ. ثَنى الشَّيْءَ: ردَّ بعضَهُ على بعضٍ وطَوَاهُ. والفردُ: ثَنِيَّةٌ.

الثَّنِيَّةُ: إِحدى الأَسنانِ الأَربعِ الَّتِي في مُقدَّمِ الفمِ، ثِنتانِ مِنْ فَوقُ، وثِنتانِ مِنْ تحتُ.

(اسْتَرجَعَ لَيْلُ قِطْعَةَ الخُبزِ المُخَصَّصَةَ لِلاستِراحَةِ مِنْ ثَنايا حَقِيبَتِهِ.)

جُمْلَتِي: .....

داءُ الكَلَب (تركيب) (ج) [د ر أ]
الدَّاءُ: المرضُ ظاهرًا أو باطنًا. والجمعُ: أدواءٌ
داءُ الكَلَب: مَرَضٌ مُعْدٍ يَنْتَقِلُ فيروسُهُ بِاللُّعابِ مِنْ بَعْضِ الحَيَوانات، وخاصَّةً الكِلابَ إلى الإنسانِ، مِنْ ظَواهِرِهِ: هِياجٌ نُحاوِلُ، واضْطِراباتٌ عصبيَّةٌ تَشَنُّجِيَّةٌ، وسَيَلانُ اللُّعابِ، وخَوفُ الماءِ، فالشَّلَلُ، ثُمَّ المَوتُ.
(الكلابُ وسيلةُ لنقلِ أسوأ أنواعِ المرضِ كداءِ الكَلَب.)
تُمْلَأُ:.....

الفصل: درس الرسم

الأَثِيرُ (اسْمٌ) [أ ث ر]
آثَرَ، يُؤْثِرُ إِيثارًا، فَهُوَ مُؤْثِرٌ.
الأَثِيرُ الْمُفَضَّلُ على غيرِهِ.
(الكلبُ الأفضلُ عندي وهو الأثيرُ المُحَلَّلُ.)
تُمْلَأُ:.....

المُحَلَّلُ (اسْمٌ) (ج) [ب ج ل]
حَلَّلَ، يُحَلِّلُ تَحليلاً، فَهُوَ مُحَلِّلٌ.
بَجَّلَهُ: عظَّمَهُ ووقَّرَهُ.
(قالَ معلِّمُهُ: كيفَ يكونُ الكلبُ مُبَجَّلًا؟)
تُمْلَأُ:.....

أبياتٌ موزونةٌ (تركيب) (ج) [ب ي ت] / [و ز ن]
بيتُ الشِّعْرِ: كلامٌ موزونٌ أوْ شِعْرٌ مَوْزُونٌ: أيْ شِعْرٌ مَنظومٌ حَسَبَ بَحْرٍ مِنْ بُحورِ الشِّعْرِ، مؤلَّفٌ عادَةً مِنْ شَطْرَين:(صَدْرٌ وعَجُزٌ) يتساويانِ في الحركاتِ والسَّكَناتِ، وقدْ يكونُ شَطْرًا واحِدًا.
(إنَّها أبياتٌ موزونةٌ!)
تُمْلَأُ:.....

قضيا على (تركيب) (ج) [ث ن ي]
أثنى، يُثني إثناءً وثَناءً، فَهُوَ مُثْنٍ.
أَثْنَى عَلَيْهِ ثَناءً عَاطِرًا: مَدَحَهُ، أَشَادَ بِهِ، أَطْرَاهُ، وَذَكَرَ مَزَايَاهُ. أَثْنَى عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ: مَدَحَهُ وَوَصَفَهُ بِخَيرٍ.
(سؤالٌ مهمٌّ. قالَ المُعَلِّمُ قضيًا على السُّؤالِ)
تُمْلَأُ:.....

الفصل: عَصرٌ قصيرٌ

زَرِيُّ المِهنةِ (تركيب) (ج) [زَ رِ يَ]
زَرِيَ، يَزْرَى زَرْيًا وَزَرايَةً، فَهُوَ زارٍ وَزَرِيٌّ.
وَلَهُ زَرِيُّ الْمِهْنَةِ: حَقِيرٌ، ذَمِيمٌ. قَدْمَ لَهُ مَثَلًا زَرِيًّا: مَثَلًا تافِهًا.
(أدرك ليل وهوَ يرتدي لباسَ القومِ الَّذي جرى قطْعُ كُمِّهِ وقُطِّعَ بالطِّينِ كي يبدوَ ليل إنسانًا زريَّ المهنةِ)
تُمْلَأُ:.....

ساخطًا (اسْمٌ) (ج) [س خ ط]

سَخِطَ/ سَخِطَ على، يَسْخَطُ سَخَطًا وسُخْطًا، فَهُوَ ساخِطٌ.

سَخِطَ عَلَيْهِ: غَضِبَ عَلَيْهِ وكَرِهَهُ.

(قالَ لَيْلَ ساخِطًا، فأنتِ تعلمونَ عَلى وجهِ التَّحديدِ مَنْ هوَ (موك))

جُمْلَتي:

كَرْنَفالٌ (اسْمٌ)

الكَرْنَفالُ هوَ احْتِفالٌ ضخمٌ ومشهورٌ بها رقصٌ وغناءٌ. والجمعُ: كرنفالاتٌ.

(ارتدى في الكرنفالِ الَّذي أُقيمَ في آذار زيًّا يُشبِه زيَّ الحاجِ حلَفِ عمرًا)

جُمْلَتي:

الفصل: الحلم الثالث

الإسكافيونَ (اسْمٌ) جَمْعٌ (ج) [أ س ك ف]

المفردُ: الإسْكافُ والسَّكافُ. والإسكافُ: صانعُ الأحذيةِ ومصلحُها، والجمعُ أساكفةٌ.

(كانَ الإسكافيونَ يصنعونَ النَّعالَ.)

جُمْلَتي:

لِبْنٌ (اسْمٌ) (ج) [ل ب ن]

لَبَنٌ، لَبِنٌ لَبَنٌ، فَهُوَ لابِنٌ.

اللَّبَنُ: ما انْهَضَمَ مِنْ سنابلِ القمحِ والشَّعيرِ بعدَ تَرْبيعِه، أعلَفُ الماشيةِ. الجمعُ: أَلْبانٌ

(لدينا حظوةٌ مشهورةٌ لِجمالِنا، وأنتم تعلمونَ أنْ تدبّروا أمورَكم، وفيها لِبْنٌ يمكنُكُمْ أنْ تأتوا فوقَه.)

جُمْلَتي:

تكيةٌ (اسْمٌ) (ج) [ت ك ك]

التَّكِيَّةُ: المكانُ الَّذي يُعَدُّ لإيواءِ المسافرينَ الفقراءِ. والجمعُ: تكيّاتٌ وتكايا. (كلمةٌ مُعَرَّبَةٌ)

(علينا أنْ نجدَ تكيّةً أو نُزُلًا)

جُمْلَتي:

تَوّاقٌ (اسْمٌ) (ج) [ت و ق]

تاقَ، يَتُوقُ تَوْقًا وتَوَقانًا، فَهُوَ تائقٌ، والتَّوّاقُ كثيرُ التَّوقِ.

التَّوقُ: هُوَ النُّزوعُ الكثيرُ إلى شيءٍ ما. تاقَتْ نَفْسُهُ إليْهِ: اشْتاقَتْ إليْهِ.

(أنتِ تَوّاقٌ لمعرفةِ المكانِ الَّذي يوجَدُ فيهِ أهالِيكُمْ.)

جُمْلَتي:

الحواري (اسْمٌ) (ج) [ح ا ر]

عِلَّةٌ متّصلةُ المنازلِ، مَدْخَلُها ضيّقٌ. مجموعةٌ مِنَ المنازلِ القَديمَةِ يَتَفَرَّعُ بعضُها مِنْ بَعْضٍ. المفردُ: الحَارة.

(أعدَّ الثَّلاثةُ يحوّلونَ ...، ويفتّشونَ في الحواري الضَّيِّقةِ والمُرَبَّعة.)

جُمْلَتي:

الحُشود (اسم) (ج) [ح ش د]
حشَدَ، يَحشِدُ حَشْدًا، فَهُوَ حاشِدٌ.
المفردُ: الحَشْدُ، والحشدُ مِنَ النَّاسِ: الجماعَةُ. حَشَدُوا لِلأَمْرِ: اجْتَمَعُوا لَهُ، وتعاونوا.
(حسبَ أنَّ بقعةَ الكلأِ في جِلْدِ هذهِ الحشودِ البشريَّةِ).

مُعْجَمَاتِ:

دامِس (اسم) (ج) [د م س]
دَمَسَ، يَدْمُسُ ويَدمِسُ دَمْسًا ودُمُوسًا، فَهُوَ دامِسٌ.
دَمَسَ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ، لِشِدَّةِ حوالكِهِ. دَمَسَهُ في الأَرْضِ: غَيَّبَهُ، دَفَنَهُ. دَمَسَ الإِناءَ: غَطَّاهُ. والجمعُ: دَوامِسُ.
(كانَ الظَّلامُ دامِسًا، وصارتِ الرُّؤْيَةُ متعذِّرَةً تمامًا.)

مُعْجَمَاتِ:

الارتجالُ (اسم) (ج) [ر ج ل]
ارْتَجَلَ، يرتجلُ ارتجالًا، فَهُوَ مُرتجِلٌ.
ارتجلَ المتكلِّمُ الخطبةَ: ألقى بِهِ دونَ إعدادٍ سابقٍ. ارْتَجَلَ: سَارَ على رِجْلَيْهِ.
(إنَّهُ يستطيعُ النَّظْمَ والارتجالَ على كلِّ حالٍ!)

مُعْجَمَاتِ:

مَراجِلُ الماءِ (تَرْكِيبٌ) (ج) [ر ج ل]
– المِرْجَلُ: قِدْرٌ مِنْ طِينٍ أَوْ نُحاسٍ تُغْلَى فِيهِ المَاءُ. والمفردُ: مِرْجَلٌ. المِرْجَلُ: جِهازٌ تَمَّ بِهِ عمليَّةُ تولِيدِ البخارِ مِنَ الماءِ أَوْ مِنْ غيرِهِ. ويقالُ: حاشَتْ مراجِلُهُ: اشتدَّ غضبُهُ.
(كانَ النَّحاسيُّونَ يجلسونَ فوقَ كراسيهِمْ، ويصنعونَ مراجِلَ الماءِ مِنْ صفائحِ النُّحاسِ.)

مُعْجَمَاتِ:

الأَزِقَّةُ (اسم) (ج) [ز ق ق]
الأَزِقَّةُ: الدُّروبُ الضَّيِّقَةُ، والطَّرِيقُ الضَّيِّقُ الطَّوِيلُ أَوْ غيرُ النافذِ. والمُفردُ: الزُّقاقُ.
أَيَّتُها الأَزِقَّةُ: المُشَرَّدُونَ الَّذينَ لاَ مَأْوَى لَهُمْ، دُونَ مَوْرِدٍ وَلاَ عَمَلٍ.
(ركضَ ليلى وراءَ أسلمَ وحمدةَ وساروا في أحدِ الأَزِقَّةِ المظلمةِ.)

مُعْجَمَاتِ:

شقَّ طريقَهُ بُجُمْلَةٍ [ش ق ق]
شَقَّ، يَشُقُّ شقًّا وشُقوقًا، فَهُوَ شاقٌّ.
شقَّ طريقَهُ: اخْتَرَقَها بصعوبةٍ. شقَّ الشَّيءَ: أحدثَ بِهِ شرْخًا أو فَلْقًا، أوْ خَرْقًا، أو ثَقْبًا نافِذًا.
(شقَّ طريقَهُ بينَ الحشودِ البشريَّةِ.)

مُعْجَمَاتِ:

يَعْكُفونَ (فعلٌ) (ج) [ع ك ف]
– عكَفَ، يعكُفُ عُكوفًا وعَكْفًا، فَهُوَ عاكِفٌ.
عَكَفَ في خُلُوَتِهِ: اسْتَقَرَّ فيها، لَزِمَها، لَبِثَ فيها. وَعَكَفَهُ عَاكِفًا عَلَى مُراجَعَةِ دُرُوسِهِ: لاَزَمَهُ، قَيَّدَهُ.
(صالحو الرَّحابِ يعكُفونَ على أعمالِهِمْ.)

مُعْجَمَاتِ:

القُفْطَانُ جمع ليس في المعجم (اسْمٌ)

القُفْطَانُ: ثوبٌ فَضْفاضٌ سابِغٌ مشقوقُ المُقدَّم، يضمُّ طرفَيْهِ جِراب، ويُتَّخَذُ مِنَ الحَرِيرِ أَوِ القُطنِ، وتُلبَسُ فوقَ الجُبَّةِ. وتَخْتَلِفُ أَشْكالُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ والجَمْعُ: قَفاطِينُ.

(الخَيّاطونَ يقومونَ بتفصيلِ القُفْطانِ)

حُسْنَاتِي:

دونَ اكتراثٍ (تَرْكِيبٌ) (ج) [ك ر ث]

اكترثَ، يكترثُ اكتِراثًا، فَهُوَ مُكترِثٌ.

دونَ اكتراثٍ: مِنْ غيرِ مبالاةٍ، أَوْ عنايةٍ، أَوِ اهتمامٍ، أَوْ حزنٍ. كَرَثَهُ الأمرُ: اشتدَّ عليهِ، وبلغَ منهُ المشقَّةَ.

(قاموا باجتيازِ النَّاسِ المحتشدينَ دونَ اكتراثٍ، وانطلقوا بسرعةٍ.)

حُسْنَاتِي:

النُّزُلُ (اسْمٌ) (ج) [ن ز ل]

نَزَلَ / نَزَلَ بـ / نَزَلَ على / نَزَلَ في، يَنْزِلُ نُزُولًا، فهوَ نازِلٌ.

النُّزُلُ/ النَّزْلُ: النُّدُلُ أو النُّزُلُ أو البِرْكَةُ. ونُزُلُ الطَّرِيقِ: فندقٌ صغيرٌ أو مطعمٌ أو نادٍ ليليٌّ على طريقٍ خارجَ المدينةِ. والجمعُ: أنزالٌ. نُزُلٌ: مكانٌ يُهيَّأُ للضَّيفِ يأكلُ وينامُ فيهِ.

(بعدَ عُدَّةٍ عنِ الثَّلاثةِ على النُّزُلِ المطلوبِ.)

حُسْنَاتِي:

تمَّ (فِعْلٌ) (ج) [ت م م]

تَمَّ / تَمَّ عنْ، يَتِمُّ وتَيِمُّ تَمًّا، وتَمامًا، فَهُوَ تامٌّ.

تَمَّ الْحَدِيثُ: ظَهَرَ. تَمَّ العِطْرُ: انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ. تَمَّتِ الرِّيحُ : خَلَّتِ الرَّائِحَةَ.

تَمَّ الْحَدِيثَ: أَعْلَنَهُ، أَظْهَرَهُ وَسَعَى بِهِ لِلْوِشَايَةِ وَالإِفْسَادِ. تمَّ عنْ كذا: كَشَفَ عَنْهُ، دَلَّ عَلَيْهِ.

(لكنَّ نظراتِهِ كانتْ تَنُمُّ عنِ الجِدِّيَّةِ والرَّزانةِ.)

حُسْنَاتِي:

بافطةٌ (اسْمٌ)

لافتةُ للدِّعايةِ والإعلانِ، لوحةٌ مِنْ خشبٍ أو معدنٍ أو نحوِهما يُكتبُ عليها اسمٌ أو شعارٌ لتوجيهِ النَّظرِ إليهِ. والجمعُ: بافطاتٌ.

(قرؤوا بافطةً كُتِبَ عليها: نُزُلُ الحياةِ السَّعيدةِ، الإقامةُ المريحةُ والرَّخيصةُ»)

حُسْنَاتِي:

الفصل: الخميـــــس / صباحٌ خيرٌ عاديٌّ

رَوْعُها (اسْمٌ) (ج) [ر و ع]

رَوِعَ، يَرْوَعُ رَوَعًا، فهوَ رائعٌ.

أَدْخَلَ الرَّوْعَ على قَلْبِهِ: الفَزَعَ، الهَلَعَ. روَّعَ فلانًا: أفزعَهُ، أخافَهُ. الرَّوْعُ: (القَلْبُ/ الذِّهْنُ/ العَقْلُ/ الفَزَعُ.

(هدَّأَ ليلُ مِنْ روعِها قائلًا: ليسَ الأمرُ هذا النحوِ يا سيِّدةُ يعقوب.)

حُسْنَاتِي:

زَعَمَتْ (فعلٌ) (ج) [ز ع م]
زَعَمَ، يَزْعُمُ زَعْمًا وزَعامةً، فَهُوَ زاعِمٌ وزعيمٌ.
زَعَمَ: اعتقدَ. زَعَمَ: قالَ أو ظنَّ. زَعَمَ: وَعَدَ.
(قامتْ بإعدادِ عصيرِ التُّفاحِ في النِّهايةِ، وقدْ زَعَمَتْ أنَّها تفعلُ ذلكَ للحصولِ على التِّعاميناتِ.)
تُمْلَأُ:

مُشَتَّتُ الذِّهْنِ (تَرْكيبٌ) (ج) [ش ت ت]
شَتَّتَ، يُشَتِّتُ تشتيتًا، فَهُوَ مُشَتِّتٌ، والمفعولُ: مشتَّتٌ.
مُشَتَّتُ الذِّهْنِ: الشَّارِدُ، وَمَنْ تُفَكِّرُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ. شَتَّتَ الأَشياءَ: فَرَّقَها.
(أنا أعرفُ أنَّكَ تحلمُ في بعضِ الأحيانِ، لكنِّي لمْ أعهدْكَ مشتَّتَ الذِّهْنِ.)
تُمْلَأُ:

الشَّاكِلَةُ (اسْمٌ) (ج) [ش ك ل]
الشَّاكِلَةُ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ والعادةُ. الجمعُ: شَوَاكِلُ. فِيهِ شَاكِلٌ مِنْ أَبِيهِ: فِيهِ شَبَهٌ، مُشَابَهَةٌ، مُمَاثَلَةٌ
عَلَى شَاكِلَتِهِ: عَلَى طَبِيعَتِهِ، عَلَى سَجِيَّتِهِ عَلَى عَادَتِهِ. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ الإسراء آية ٨٤
(أعرفُ أنَّكَ تحلمُ في بعضِ الأحيانِ. لكنِّي لَمْ أعهدْكَ مُشَتَّتَ الذِّهنِ على هذهِ الشَّاكلةِ مِنْ قبلُ على الإطلاقِ.)
تُمْلَأُ:

الهُوَيْنا (اسْمٌ) (ج) [ه و ن]
تَمْشِي الْهُوَيْنَا: تَمْشِي بِتُؤَدَةٍ وَرِفْقٍ، على مهلٍ.
(كانَ ليلى يمشي الهُوَيْنا.)
تُمْلَأُ:

الفصل: أرسلان

المُحايِدُ (اسْمٌ) (ج) [ح ي د]
حايدَ/ حايدَ في، يحايد مُحايدةً وحِيادًا، فَهُوَ مُحايِدٌ.
حايَدَ الشَّخصَ: حاذَرَهُ، مالَ عنهُ، وَكفَّ عنْ خصومتِهِ. وقَفَ على الحيادِ: لَمْ يَنحَزْ إلى طَرَفٍ على حسابِ الآخرِ.
(قالَ أرسلانُ متلعثمًا: المصيبةُ في أدواتِ التَّعريفِ الخاصَّةِ بالذَّكرِ والمؤنَّثِ والمُحايِدِ.)
تُمْلَأُ:

متلَعْثِمًا (اسْمٌ) (ج) [ث م ر]
التَّمْرُ/ تلعثمَ على/ التَّمْرُ مِنْ، يتلعثمُ التَّمْرُ، فَهُوَ مُتلعثِمٌ.
تَلَعْثَمَ: خطِئَ، وعثَرَ عنِ استرسالِهِ وسَخطِهِ وعدمِ رضاهُ. تَلَعْثَمَ مِنْ مُشْكِلَاتِهِ: لَاكَ لُقْمَةً لَوْمًا شَدِيدًا.
(قالَ أرسلانُ متلعثمًا: المصيبةُ في أدواتِ التَّعريفِ الخاصَّةِ بالذَّكرِ والمؤنَّثِ والمحايدِ.)
تُمْلَأُ:

ساخطًا (اسم) (ج) [س خ ط]

سخِطَ/ سخِطَ على، يَسخَطُ سَخَطًا وسُخْطًا، فَهُوَ ساخِطٌ.

سَخِطَ عَلَيْهِ: غَضِبَ عَلَيْهِ وكرِهَهُ.

(أرأيتَ: قالَ أرسلانُ ساخطًا)

خُمّانَق: .....

الفصل: اتصال هاتفي

صَرِيرُ (اسم) (ج) [ص ر ر]

صرَّ، يَصِرُّ صريرًا، فَهُوَ صارٌّ.

أَجْدَتْ البَابُ صَرِيرًا: صَوَّتَ، طَنَّ. صَرِيرُ الأُذُنِ: طَنِينُها. صَرِيرُ القَلَمِ: صَوْتٌ عِنْدَ الكِتابَةِ بِهِ. صَرِيرُ الأَسْنانِ: صَوْتُها حِينَ يُحَكُّ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ.

(عَرَفَ لَيْلَ ذَلِكَ مِنْ عِلالِ صَرِيرِ تِلْكَ الأبوابِ.)

خُمّانَق: .....

المُقفِرُ (اسم) (ج) [ق ف ر]

أقفرَ، يُقفِرُ إقفارًا، فَهُوَ مُقْفِرٌ.

أقفرَ المكانُ، قَفُرَ: خلا مِنَ الماءِ والعُشْبِ والنَّاسِ. القَفْرُ: الخَلاةُ مِنَ الأَرضِ لا ماءَ فيهِ، ولا نَبْتَ، ولا كَلأَ. ودارٌ قَفْرٌ: خاليةٌ. قفِرَ المالُ: قلَّ.

(لَمْ يَكُنْ هناكَ سوى الفراخِ، ودَرْجِ السَّرْدابِ المُقفِرِ)

خُمّانَق: .....

مِرِنَةٌ (اسم) (ج) [م ر د]

مرَدَ/ مرَنَ على، يَمْرُنُ مَرانَةً ومُرونَةً، فَهُوَ مَرِنٌ.

مَرَنَ سلوكُ الشَّخصِ: سلِسَ وتكيَّفَ حسبَ الظُّروفِ. مَرَنَ الشَّيءُ: لانَ في صلابَةٍ.

مَرَنَكَ يدُكَ على العملِ: تعوَّدَتْهُ ومهرتْ فيهِ.

(يدكِ مِرِنَةٌ أكثرَ مِنَ المُعتادِ.)

خُمّانَق: .....

انتعاضٌ (اسم) (ج) [ن ع ض]

انْتَعَضَ مِنْ، يَنتَعِضُ انْتِعاضًا، فَهُوَ مُنْتَعِضٌ.

عَبَّرَ عَنِ انْتِعاضِهِ: عَنْ غَضَبِهِ وَتَبَرُّمِهِ. انْتَعَضَ مِنَ الحَادِثَةِ: انْخَلَعَ لَهَا، انْعَاظَ، أَوْجَعَتْهُ، شَقَّتْ عَلَيْهِ، غَضِبَ لِذَلِكَ وَتَأَلَّمَ.

(يُبدي انتعاضَهُ عَنْ طريقِ اللُّجوءِ إلى إجاباتٍ مختصرةٍ وحادَّةٍ.)

خُمّانَق: .....

لغاء (اسْمٌ) (ج) [ث غ ر]

ثغا، يَثْغُو ثُغاءً، فَهُوَ ثاغٍ.

ثُغاءُ الشَّاةِ: صَوْتُها، صَوْتُ الغَنَمِ، وصوتُ الظِّباءِ عِنْدَ الولادةِ، وصوتُ الكَبْشِ إذا صارَ في صوتِهِ بُحُوحةٌ. ثغتِ الشَّاةُ وثَغَتْ: صاحتْ وصوّتتْ.

(أصغى ليملأ أوّلًا لِلُغاءِ الماعِزِ.)

مُعْجَمِي:

مُتَجَهِّمَةٌ (اسْمٌ) (ج) [ج ه م]

جَهَّمَ /يُجَهِّمُ/ ـــ، تجهُّمًا، فَهُوَ مُتجهِّمٌ. جَهَّمَ الشَّخصُ: صارَ عابِسَ الوجْهِ كريهَهُ.

(كانتْ تعابيرُ وجهِهِ مُتَجَهِّمَةً)

مُعْجَمِي:

يعوبونَ (فِعْلٌ) (ج) [ج و ب]

جابَ/ جابَ في، يَجوبُ، جَوْبًا، فَهُوَ جائِبٌ.

جابَ البِلادَ: قَطَعَها سَيْرًا. وطافَها. جابَ الخَبَرُ البِلادَ: ذاعَ فِيها وَانْتَشَرَ. جابَ الشَّعْرَ: لَقَبَهُ، خَرَقَهُ. جابَ الظَّلامَ: دَخَلَ فِيهِ.

(ظَلُّوا يعوبونَ المدينةَ بحثًا عنهُ طِوالَ ليلةِ أمْسِ.)

مُعْجَمِي:

مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ (تَرْكِيبٌ) (ج) [ح د ب] / [ص و ب]

الحَدَبُ: ما ارتفعَ وغلُظَ مِنَ الأرضِ. والجمعُ أحداب، حِدابٌ. والصَّوبُ: الجِهَةُ.

مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ: مِنْ كُلِّ الجِهاتِ.

(الجِيَرانُ كانتْ تَهالُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ)

مُعْجَمِي:

أُسَرِّي عَنْهُ (جملة) (ج) [س ر ي]

سَرَى/ سرَى عن، يَسْرِي سَرْيًا، فَهُوَ سارٍ.

سرَى الهمَّ عنْ فؤادِهِ: كشفَهُ، نفَّسَهُ. سَرَى عَنْ ثَوْبِهِ: أَلْقَى عَنْهُ الهَمَّ وَالحُزْنَ.

(عندَما عَرَفْتُ...مقدارَ ما يعانيهِ والِدُنا مِنْ حُزْنٍ صَمَمْتُ عَلى الذَّهابِ لِكي أُسَرِّيَ عنْهُ.)

مُعْجَمِي:

قضينا نَحْبَنا (جُمْلَةٌ) (ج) [ن ح ب]

نَحَبَ، يَنْحَبُ نَحْبًا ونَحِيبًا، فهوَ ناحِبٌ.

قضى نَحْبَهُ: ماتَ، استوفى أَجَلَهُ. نَحَبَ الرَّجُلُ: نَذَرَ، أَيْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا. نَحَبَتِ المَرْأَةُ: رَفَعَتْ صَوْتَها بِالبُكاءِ. نَحَبَ القَوْمُ فِي سَيْرِهِمْ: حَثُّوا فِيهِ، أَسْرَعُوا.

زعموا أنّنا قضينا نحبَنا في الصّحراءِ.)

مُعْجَمِي:

الوَغْدان (اسْمٌ) مُثَنّى (ج) [و غ د]

وغُدَ، يوغُدُ وغادةً، فَهُوَ وَغْدٌ.

الوَغْدُ: ضَعيفُ العَقْلِ، الأَحْمَقُ. الضَّعيفُ الجسمِ. الوَغْدُ: الدَّنِيءُ الرَّذْلُ. الجمعُ: أَوْغادٌ ووُغْدانٌ ووِغْدانٌ.
(لقدْ عادَ هذانِ الوَحشانِ، هذانِ الوَغْدانِ.)

جُمْلَتي:

الفصل: مائلةٌ خوني

تبتزُّ (فعلٌ) (ج) [ب ز ز]

ابْتَزَّ، يَبْتَزُّ ابْتِزازًا، فَهُوَ مُبْتَزٌّ.

ابتزَّهُ: سَلَبَهُ. ابتزَّ الشَّيْءَ: نَزَعَهُ وأَعدَّهُ بِعِفاءٍ وقَهْرٍ.

قالتِ السَّيِّدةُ يعقوبُ: هلْ تريدُ أنْ تبتزّني؟ بلْ مَدْحيهُ إلى هذا بمفردِكَ، وتداولُ الطَّعامَ معي.)

جُمْلَتي:

رَدَهاتٌ (اسمٌ) (ج) [ر د هـ]

المفردُ: رَدْهَةٌ. رَدْهَةُ الثَّوبِ: المَرُّ الكَبيرُ الَّذي يَقُودُكَ إلى وَسَطِ الثَّوبِ وَمَخْرَجِهِ. فاتحةٌ، حجرةٌ واسعةٌ.

(فبدأَ ليلى بتحويلِ الدراسةِ والأزقَّةِ والنُّزُلِ، ورُدهاتِ القصرِ.)

جُمْلَتي:

المِشْجَبُ (اسمٌ) (ج) [ش ج ب]

عَصَيَةٌ ذاتُ ثَلاثِ أَوْ مُسْتَطيلَةٌ تُعلَّقُ عَلَيْهَا الثِّيابُ أو تُنْشَرُ. اسمُ آلةٍ مِنْ شَجَبَ. والجمعُ: مَشَاجِبُ.

(فالمِعطفُ سيكونُ مُعلَّقًا على المِشْجَبِ الموجودِ أمامَ غرفةِ الضَّيفِ.)

جُمْلَتي:

مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ (تَرْكيبٌ) (ج) [ش ر ح]

انشرحَ لـ ، ينشرحُ انْشراحًا، فهوَ مُنشرِحٌ.

انْشَرَحَتْ نَفْسُهُ: صدرُهُ: ابْتَهَجَ، وسُرَّ بِفَرَحٍ وَسُرورٍ كبيرٍ، طابَتْ نَفْسُهُ، وسُرَّ خاطِرُهُ.

(هذا صحيحٌ تمامًا. قالَ ليلى سعيدًا. ثُمَّ عادَ إلى القولِ منشرحَ الصَّدرِ.)

جُمْلَتي:

لنْ يضيرَها (جُمْلَةٌ) (ج) [ض ي ر]

ضارَّ، يَضيرُ ضَيْرًا، فَهُوَ ضارٌّ.

يضيرُهُ: يَضُرُّ بِهِ. ضارَّ فلانًا: أَضَرَّ بِهِ.

(لنْ تضيرَها أنْ تطبخَ طعامًا إضافيًّا لِيلةَ.)

جُمْلَتي:

غَدَّ خُطاهُ (جُمْلَةٌ) (ج) [غ د د]

غَدَّ، يَغُدُّ غَدًّا، فَهُوَ غادٌّ.

أَغَدَّ السَّيْرَ وفي السَّيْرِ: أَسْرَعَ فيهِ. غَدَّ الجرحُ: سالَ ما فيهِ مِنْ قيحٍ وصَديدٍ.

(غدَّ ليلى خطاهُ لِلحاقِ بِهما)

جُمْلَتي:

الوَعيد (اسْم) (ج) [و ع د]
ـ وَعَدَ، يَعِدُ وَعيدًا، فَهُوَ واعِدٌ.
وَعَدَ فلانًا وعيدًا: أنذرَهُ وهدَّدَهُ بالعقابِ والشَّرِّ. يومُ الوعيدِ: يومُ القيامةِ. والوعيدُ هوَ التَّوَعُّدُ والتَّهديدُ بالشَّرِّ أمَّا الوعدُ فيكونُ بالخيرِ.
(فقالتِ الشَّيْخَةُ يعقوبُ بلهجةٍ مملوءةٍ بالوعيدِ.)
مُعْجَمِي: .....

الفصل: الحلم الخامس

يَتَجَلَّى (فِعْلٌ) (ج) [ج ل و]
تَجَلَّى، تَتَجَلَّى تَجَلِّيًا، فَهُوَ مُتَجَلٍّ.
يَتَجَلَّى الأمرُ: يَنْكَشِفُ ويظهرُ. جلا السَّيفَ والفِضَّةَ والمرآةَ جَلْوًا وجِلاءً: كَشفَ صَدأَها وصَقَلَها.
(السُّؤالُ الَّذي آملُ يَتَجَلَّى بوضوحٍ هوَ: كيفَ سيتمكَّنُ ليل مِنْ مُشاغلةِ الحرسِ وصرفِ انتباهِهِمْ؟»
مُعْجَمِي: .....

مُتَرَبِّصٌ (اسْم) (ج) [ر ب ص]
تَرَبَّصَ، يَتَرَبَّصُ تَرَبُّصًا، فَهُوَ مُتَرَبِّصٌ.
تَرَبَّصَ: انتظرَ. تَرَبَّصَ بفلانٍ: انتظرَ خيرًا أو شرًّا يَحِلُّ بِهِ.
(وهناكَ يقبعُ حارسٌ مُتَرَبِّصٌ، هو عاجزٌ عنْ أنْ يسهرَ مسهورٍ.)
مُعْجَمِي: .....

شَتَّى (اسْم) (ج) [ش ت ت]
أَشْياءُ شَتَّى: أشياءُ مُخْتَلِفَةٌ. قَوْمٌ شَتَّى: مُتَفَرِّقُونَ. قالَ تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ طه آية ٥٣ لَمُخْتَلِفٌ، لَمُتَفَرِّقٌ، والفردُ: شتيتٌ.
(وفي النِّهايةِ بدؤوا يعبسونَ، وظلُّوا يعبسونَ الحانًا شَتَّى حتَّى الرَّابعةَ إلَّا رُبعًا.)
مُعْجَمِي: .....

يَقْبَعُ (فِعْلٌ) (ج) [ق ب ع]
قَبَعَ، قَبَعَ فِي/ قَبَعَ عنْ/ قَبَعَ لـ ـ يَقْبَعُ قُبُوعًا، فَهُوَ قابِعٌ.
قَبَعَ الأسدُ لفريسَتِهِ: تربَّصَ بِها، واستعدَّ لصيدِها. قَبَعَ الرَّجُلُ: أدخلَ رأسَهُ في ثوبِهِ. قَبَعَ الراكعُ: طأطأَ في الرُّكوعِ شديدًا. قَبَعَ في مَنزِلِهِ: انْزَوَى فِيهِ وَتَوَارَى عَنِ الأنظارِ.
(وهناكَ يقبعُ حارسٌ متربِّصٌ هوَ عاجزٌ عنْ أنْ يسهرَ مَسهورٍ.)
مُعْجَمِي: .....

تُنْبِرُ (فِعْلٌ) (ج) [ن ب ر]
أَنْبَرَ، يُنْبِرُ إِنْبَارًا، فَهُوَ مُنْبِرٌ.
أَنْبَرَهُ الأمرَ أَوْ بِهِ: أَعْلَمَهُ، أَخْبَرَهُ، خَوَّفَهُ بالعواقبِ قَبْلَ وُقوعِها نَبَرَ بالعَدُوِّ: خَبَرَهُ وَاسْتَعَدَّ لَهُ.
(فجأةً الشَّيْخَةُ يعقوبُ بابَ المنزلِ، قالتْ لخاطبِ ليل بلهجةٍ تُنْبِرُ بالشَّرِّ: لقدْ عدتُ أخيرًا!)
مُعْجَمِي: .....

النَّمطيَّة (اسم) (ج) [ن م ط]
النَّمطُ: طريقةٌ وأسلوبٌ وشكلٌ أو مذهبٌ. النَّمطُ: الجماعةُ من الناسِ أمرُهُمْ واحدٌ. النَّمطُ: الصِّنفُ أو النوعُ أو الطِّرازُ من الشيء. هُمْ على نمطٍ واحدٍ: متشابهونَ.
يسيرُ العملُ على نمطٍ واحدٍ: رتيبٌ، لا يتغيَّرُ.
(ضحكتْ الشَّيْخَةُ يعقوبُ بخبْثٍ وقالتْ: إنَّها أوهامُ هذا الزمنِ النَّمطيَّة!.)
جُمْلَتي:

فهرعَ (فعَلَ) (ج) [ه ر ع]
هرِعَ، هرَعَ إلى، يهرَعُ هَرَعًا، فهُوَ هَرِعٌ.
هَرَعَ: هَرْوَلَ ومشى باضطرابٍ وسرعةٍ. هَرِعَ النَّمْرُ هرَعًا: سالَ.
(قُرِعَ بابُ الغرفةِ، فهرعَ آسِلُمْ صوبَ البابِ.)
جُمْلَتي:

هَرْوَلَ (فعْلَلَ) (ج) [ه ر و ل]
هرولَ، يهرولُ هرولةً، فهُوَ مُهرولٌ.
– هرولَ الفحصُ: أسرعَ في مشيهِ، جرى بينَ المشيِ والعَدْوِ.
(أشعلَ هذا الشهيدُ غضبَ الخارسِ تمامًا! فحاةَ يُهرولُ سريعًا نحوَ السُّورِ
جُمْلَتي:

بخُطًى وَئيدةٍ (تركيبٌ) (ج) [و أ د]
أَدَّ، يؤُدُّ أَدًّا، فهوَ مُؤِدٌّ.
أَدَّ في أمرِهِ: تأنَّى. التُّؤَدَةُ: الرَّزانةُ والتأنِّي. أَدَّ في مِشْيَتِهِ: مشى بخُطًى مُتأنِّيةٍ: مشى مشيًا وئيدًا: على مهلٍ.
أَدَّ الفحصُ تأنَّى وتمهَّلَ.
(لكنَّهم اقتربوا من السُّورِ بخطًى وئيدةٍ وهمْ يتأمَّلونَ بفضولٍ هذا الشهدَ الغريبَ.)
جُمْلَتي:

يُحكِمُ الوِثاقَ (جُمْلَةٌ) (ج) [و ث ق]
أَوْثَقَ، يوثِقُ إيثاقًا، فهُوَ موثِقٌ.
الوَثاقُ/ الوِثاقُ: ما يُشَدُّ بِهِ كالحبلِ وغيرِهِ. وَثُقَ الشَّيْءُ: قَوِيَ وتَمَّ وصارَ مُحْكَمًا. أوثقَ الأسيرَ ونحْوَهُ في الوِثاقِ (أو الوَثاقِ): شَدَّهُ فيهِ. والجمعُ: وُثُقٌ.
(وفي تلكَ الأثناءِ استطاعوا أنْ يُحكِموا الوثاقَ حولَ يدي ليلى.)
جُمْلَتي:

الفصل: الأحـــــــدُ / كِتابُ ليلى

حوزة (اسم) (ج) [ح و ز]
حازَ / حازَ على، يَحوز حَوْزًا وحِيازةً، فهُوَ حائزٌ.
حازَ الشيءَ: ضمَّهُ وملكَهُ، وحصلَ عليهِ ونالَهُ. حازَتِ المَرْأةُ طِفْلَها إلى صَدْرِها: ضمَّتْهُ إليْها. حازَ الأرضَ: أعلَمَها وأحيا حدودَها. حازَ قصَبَ السَّبْقِ: مَلَكَ، سَبَقَ غيرَهُ، تفوَّقَ على غيرِهِ.

(وكيفَ يمكِنُ أنْ يكونَ في حوزةِ الحارِيَةِ قِطَعُ ذهبيّةٌ كهذهِ؟)

مُعْجَمُ:

أدْلَدَ (فعْلٌ) (ج) [د د د]

دَلْدَدَ، يُدَلْدِدُ دَلْدَدَةً، فَهُوَ مُدَلْدِدٌ.

يُدَلْدِدُ: يُخْرِجُ لَثَمًا عالقًا غَيْرَ واضحٍ مِنْ فَمِهِ. دَلْدَدَ الطِّفْلُ: طَنَّ. دَلْدَدَ الرَّجُلُ: تَكَلَّمَ بِما يُسْمَعُ ولاَ يُفْهَمُ .

(مالا جَرى لَكَ؟ هَلْ أَبْقَطَكَ وَأَنْا أُدَلْدِدُ بِأُغْنِيَتِي؟)

مُعْجَمُ:

تَرَنَّمَ (فعْلٌ) (ج) [ر ن م]

تَرَنَّمَ: يترنَّمُ تَرَنُّمًا، فَهُوَ مُتَرَنِّمٌ.

ترنَّمَ المُغَنِّي ونحوُهُ، ولَهُ: رجَّعَ صوتَهُ، وتغنَّى في تطريبٍ وألحانٍ.

(مرَّتِ السَّيَّارةُ يشكي بفرقةِ ليل وهيَ **تترنَّمُ** بإحدى الأغنياتِ.)

مُعْجَمُ:

فطٌّ (اسْمٌ)(ج) [ف ط ط]

فَطٌّ، يَفِطُّ فَطًّا، وَفَطَاطَةً، فَهُوَ فَطٌّ.

الفَطُّ: الخالي الْحِسِّ القاسي، مفتقرٌ للسلوكِ الحسنِ والتصرُّفاتِ المهذَّبةِ.

(صباحُ الخيرِ. ردَّ ليل بِشَكْلٍ **فظٍّ**.)

مُعْجَمُ:

الفصل: القـــــودةُ

الْمُصَرِّمُ (اسْمٌ) (ج) [ص ر م]

الصرمُ: مصرِمُ الصرامُ، فَهُوَ مُصرِمٌ.

الشَّهْرُ الْمُنْصَرِمُ: الْمُنْقَضِي، الْمُنْتَهِي الماضي. صرَمَ الشَّيءَ: حزَّهُ وقطَّعَهُ. صَرَمَ الصَّيْدَ: هَجَرَهُ، قَاطَعَهُ.

(إنَّ مِنَ الأفضلِ أنْ تحكي لنا كلَّ ما وَقَعَ لكَ في الأسبوعِ **الْمُنْصَرِمِ** بالتَّسَلْسُلِ.)

مُعْجَمُ:

الطوت (فعْلٌ) (ج) [ط و ي]

الْطَوَى، يَطْوِي الْطِوَاءً، فَهُوَ مُطْوٍ.

الْطَوَتِ القَصِيدَةُ على صُوَرٍ خَيالِيَّةٍ: اشْتَمَلَتْ، تَضَمَّنَتْ. الْطَوَى في غِطَائِهِ: الْتَفَّ، الْتَوَى. الْطَوى على نَفْسِهِ: انْكَمَشَ وَانْعَزَلَ في وَحْدَتِهِ، في عُزْلَتِهِ. الْطَوَى العُمْرُ: ذَهَبَ. الطوى الحديثُ بينَهما: انْكَتَمَ.

(والحكاياتُ أثمنُ ما **الطوتْ** عليهِ أحلاكُ مِنْ ثمانيناتٍ.)

مُعْجَمُ:

القيادُ (اسْمٌ) (ج) [ق و د]

الْقِيَادُ، يَقْتَادُ قِيَادًا، فَهُوَ مُقْتَادٌ.

الْقِيَادُ لِلدَّابَّةِ: قادَها، سارَ بِها. القِيادُ إلى السَّجنِ: حملَهُ إليهِ.

(كانَ الليلُ قدْ غادرَ مقرَّهُ، وحطَّ في قاعةِ العرضِ عندَما تمَّ **القيادُ** ليل إلى هناكَ.)

مُعْجَمُ: